قصـــة

الزير سالم الكبرى

أبو ليلى المهلهل

وفيه ما كان من كليب وحسان اليمانى
وجساس بن مرة وما وقع بينهم
من الحروب والأهوال
بالتمام والكمال

والحمد لله على كل حال

الملتزم
سعيد على الخصوصى
صاحب المطبعة والمكتبة السعيدية
بجوار الأزهر بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله . والصلاة والسلام على رسله وأنبيائه وبعد فهذه سيرة الأسد الكرار والبطل المغوار الذي شاع ذكره في الأقطار وأذل بسيفه كل صنديد وجبار المهلهل بن ربيعة صاحب الاشعار البديعة والوقائع المهولة المريعة وما جرى له في تلك الايام مع ملوك التبابعة وفرسان الصدام من الحوادث والوقائع التي تطرب القارىء وتلذ السامع ولكن قبل الشروع في هذه السيرة العجيبة وأخبارها المطربة الغريبة رأينا أن نذكر طرفا من أخبار العرب أهل الفضل والأدب إفادة للمطالعين ونزهة للسامعين فنقول وبالله المستعان أن أصل العرب من قديم الزمان وسالف العصر والاوان من ولد نزار بن معد بن عدنان وكان قد ولد لنزار المذكور أربعة أولاد من الذكور وكل منهم بالفضل والبأس مشهور وهم مضر وربيعة وأنمار وأياد وربيعة فارس الطراد ومنهم تشعبت قبائل الاعراب وملأت البراري والهضاب فمن نسل أياد ملوك التبابعة الذين أخبارهم بين الناس شائعة ومن نسل ربيعة ومضر وانمار عرب الحجاز ونجد والعراق وسكان القفار وكانت العرب في ذلك الزمان منقسمة الى جزأين وهما قيس ويمن فكان اليمن هم اليمنيون وباقي العرب هم القيسيون ومازالت العرب تنمو وتكثر وتتسع في البر الاقفر حتى اشتهرت العشائر والقبائل وظهر الامير ربيعة وأخوه مرة أبناء وائل وربيعة المذكور وهو ابو الزير الفارس المشهور صاحب هذه السيرة ووقائعها الشهيرة

(قال الراوي) وكان ربيعة في ذلك الزمان من جملة ملوك العربان وأخوه مرة من الامراء والاعيان وكانت منازلهما في تلك الايام في أطراف بلاد الشام وكانا يحكمان على قبيلتين من العرب وهما بكر وتغلب وولد لربيعة خمسة أولاد مثل الاقمار وهم كليب الاسد الكرار وسالم البطل الشهير الملقب بالزير وعدي ودريعان وغيرهم من الشجعان وكان له بنت جميلة الطباع شديدة الباع تمارك الاسود والضباع اسمها أسمى وتلقب بضباع وأما الامير مرة فكان له عدة أولاد أبطال أمجاد قد اشتهروا بالشجاعة وقوة البأس منهم همام وسلطان وجساس وله بنت جميلة فاضلة نبيلة يقال لها الجليلة فاتفق في بعض الايام أن الامير مرة دخل على أخيه ربيعة في الخيام وخطب ابنته ضباع لابنه همام وخاطبه بهذا الشعر والنظام

يقول أمير مرة في قصيد	معانيه حكت درر الجواهر
ربيعة ياأخي اسمع كلامي	أيا قمر فرسان الجبابر
أريد ضباع بنتك ياربيعة	الى همام يافخر الاكابر
ولما ينتشي ابنك كليباً	ويركب ياأخي الخيل الضوامر
وتكبر يامالك بنتي الجليلة	نخذها له وزوج لاتشاور
هذا ياأخي قصدي ومرادي	أيا صدام آساد كواسر

تبدى له ربيعة ثم قاله　　　كلامك ياأخي مثل العنابر
تريد ضباع خذها يامسمى　　　وزوجها لابنك لاتشاور
ومهرها مية حر كالعرائس　　　ومية قعود مع ميتين قاطر
ومهرها الحجل الفاخر وأطلس　　　زياد مسك فايح دوم عاطر
وهمام ابن مرة مثل ابنى　　　لغيرك من أناسب أو اصاهر
فقم انهض وزوجها بمرة　　　وفرح فيه واعمل عرس فاخر

فلما فرغ ربيعة من كلامه وشعره ونظامه اعتنقه أخوه مرة وشكره على حسن اهتمامه ثم باشر القوم بأمر العرس من ذلك اليوم وفى الغد واعقد الامير همام على ضباع بنت الكرام كما جرت عادة الملوك العظام فأولموا الولائم وذبحوا الذبائح واطعموا كل آت ورائح وما زالوا فى سرور وافراح وبسط وانشراح ودق طبول ولعب خيول وشرب مدام مدة عشر أيام ثم زفوا ضباع على الامير همام فكانت ليلة عظيمة لم يسمع بمثلها فى الايام القديمة حضر فيها كثير من سادات العرب وأهل المناصب والرتب ودخل همام على ضباع وحظى بحسنها وجمالها ونالت منه غاية آمالها لانها كانت تحبه محبة شديدة وتوده مودة زائدة وسوف يظهر لها ولدان وهما الهيبون وشيبان سيأتى حديثهما فيما بعد لان هذا ما كان من خبر بنى قيس المدعوين بالقيسية ولنتكلم الآن عن حديث اليمنية وما جرى لهم فى تلك الايام من الامور والاحكام والحروب والاهوال فى ميادين القتال فنقول

انه كان فى قديم الزمان فى بلاد اليمن ملك عظيم الشان صاحب جند واعوان وابطال وفرسان يقال له الملك حسان اليمانى بالتبع اليمنى ولم يكن له بين الملوك ثانى فى زمانه وأول اليمانية كما كان ربيعة أول القيسية وكان شديد البأس قوى المراس طويل القامة عريض الهامة لا يعرف الحلال من الحرام ولا يحفظ العهود والذمام وكان يحب النساء الملاح والمزاح ويسهر فى المساء والصباح ومن أعماله الغريبة وأفعاله العجيبة كما ذكر أصحاب الروايات انه كان فى ليلة يتزوج بصبية من بنات الملوك والسادات وكانت الملوك تخافه وتخشاه وتحسب حسابه وتترضاه وتحمل له الخراج وتعمل له الخاطر والمزاج وكان عنده من الابطال والفرسان ما ينيف على ثمانين ألف وهم عشر كرات مستعدين للحرب والغارات وكان يشرب المدام بالليل والنهار ولا يبالى بهول ولا اخطار وكان له وزير عاقل خبير قوى الجنان اسمه نبهان وكان مقتدرا على الاتيان بفعل الخير والاحسان وكان كثيرا ما ينهى الملك حسان عن ارتكاب الظلم والعدوان فاتفق فى بعض الايام ان الملك تبع اتفق بوزيره نبهان وقال له فى الديوان بحضور الامراء والاعيان هل سمعت ايها الوزير العاقل الخبير من ملك كبير عنده رجال كرجالى وأموال كأموالى فقبل الوزير الارض ووقف فى مقام العرض وقال اعطنى الامان يا ملك الزمان وأنا أحدثك بأخبار ملوك الامم أصحاب البطش والهمم بما عندهم من الجيوش والعساكر والمهمات والذخائر الهائل وعايلك لامن نوائب الزمان اعلم ايها الملك المعظم

ايها الملك المعظم انه لا يوجد مثلك في هذه الاقطار من الملوك الكبار اصحاب المدن والامصار ولكن يوجد خارج البحار عرب من أهل الشجاعة والاقتدار عددهم كثير وجيشهم غزير يقال لهم بنو قيس وسيدهم اسمه الامير ربيعة ولهم في الحروب والغارات وقائع مهولة مريعة وهم من أولاد مضر الاسد الغضنفر وقد امتلكوا أكثر جهات الارض في الطول والعرض وهم أعظم منا واكثر وأشد بأسا وأقدر فلما انتهى الوزير من هذا الكلام وسمعه من حضر في ذلك المقام اغتاظ الملك وتأثر وكان عليه أشد من ضرب السيف الابتر فصاح على الوزير وزعق وقال له بكلام الحنق أهكذا يا تيس تفضل على بني قيس وما دام الامر كذلك لا بد أن اقصدهم بفرسان المعارك واقتل ملكهم ربيعة وأوردهم موارد المهالك واخرب بلادهم وديارهم وامحو بالسيف آثارهم وأملك تلك الديار بالقوة والاقتدار ثم انشد هذه الابيات على مسامع امراء والسادات

يقول التبعي اليمني المسمى ... بحسان فما للقول زورا
ملكت الارض غصبا واقتدارا ... وصرت على ملوك الارض سورا
وطاعتني الممالك والقبائل ... وفرسان المسامع والصدورا
لقد اخبرت عن بطل عنيد ... شديد البأس جبارا جسورا
وقالوا إنه يدعى ربيعة ... اميرا قد حوى مدنا ودورا
تولى الارض في طول وعرض ... فكم اخرب وكم شيد قصورا
فقصدي اليوم اغزوه بجيشي ... واترك ارضه قفرا وبورا
ايا نبهان اجمع لي العساكر ... فيأتوا فوق خيل كالنسورا
وجهز الف مركب يا وزيري ... واوسقهن في وسط البحورا
ثلاث شهور اسرع لا تطيل ... يكون جميع ما قلته حضورا
اسير بهم الى تلك الاراضي ... واملك للقلاع والقصورا
ويغنم عسكري منهم مكاسب ... وازوجهم بنات كالبدورا
ويبقى الحكم لي برا وبحرا ... ويصفى خاطري بعد الكدور

قال الراوي فلما انتهى النعمان من شعره ونظامه وفهم الوزير فحوى حديثه وكلامه ندم وتكدر مما بدا منه من الخبر ولم يعد يمكنه الا الامتثال وتجهيز الفرسان والابطال الى الحرب والقتال فنزل من الديوان وهو مقهور وغضبان وأمر بدق طبل النحاس لاجتماع العساكر والناس وكان هذا الطبل يقال له ترجيج وهو من اعظم الطبول وكانت تدقه عشرة من العبيد الفحول وهو من صنعة الملوك العظام وكانت الناس تسمع صوته من مسافة ثلاثة أيام وكان الملك حسان اذا غزا قبيلة من العربان يأخذ ذلك الطبل معه واينما ذهب يتبعه ولم يزل هذا الطبل في ذلك الزمان يتصل من ملك الى ملك حتى اتصل الى الامير حسن سيد بني هلال المشهور بالاحسان والافضال فلما دق

العبيد الطبل وسمعت صوته قواد الفرسان اقبلت على الوزير من كل جهة ومكان . فسلموا عليه وقالوا بين يديه يسألونه عن سبب دق طبل الرحيل فحدثهم بذلك الايرادوا المسير إلى تلك البلاد للغزو والجهاد ثم بعد ذلك فرق عليهم السلاح وآلات الحرب والكفاح ولم تكن إلا مدة قصيرة حتى تجهزت المراكب وتجمعت العساكر من كل جانب وكان من جملتهم عشرة ملوك كبار كل ملك يحكم على مائة ألف بطل مغوار فحضروا أمام الملك ابى حسان فسلموا عليه وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له نحن بين يديك لا نبخل بارواحنا عليك فشكرهم وخلع عليهم الخلع الفاخرة والتحف الباهرة ووعدهم بالمال الجزيل وبكل خير جميل ثم امر الوزير بالاستعداد والرحيل الى غربي تونس تلك البلاد وطلب منه أن يأتي العساكر من تحت القصر وهي نازلة الى البحر ليشاهد أحوالها ويرى سلاحها وأثقالها فامتثل الوزير للامر وفعل كما ذكر فانشرح صدر الملك بمرؤية العساكر والجحافل وهي بالسلاح الكامل والاستعداد للحرب والقتال فأنشد وقال

يقول التبع الملك اليماني ... صفا عيشي وقد طاب فؤادي
أتتني عساكري كالاسد تجري ... الوف راكبين على جياد
عليهم كل درع من حديد ... له زرد كما عين الجراد
وفيهم كل جبار عنيد ... يقابل الف ليث في الطراد
برؤيتهم فقد زاد انشراحي ... وزال الهم عني بابتعاد
اسير بهم لذاك البر حالا ... واقتل كل من يطلب عنادي
وارجع غانما في طيب عيش ... ولا يبقى اتبع من يعادي
الا يا عسكري قروا وطيبوا ... على نيل المقاصد والمراد
ومني ابشروا فيما تريدوا ... ومهما تطلبوه بازدياد

فلما فرغ الملك من شعره ونظامه صرخت الامراء والاكابر وقياد الجيوش والعساكر ودعوا للملك بالنصر وطول العمر وقد استبشروا في غزو تلك البلاد وايقنوا بالنجاح وبلوغ المراد ثم نزلت العساكر والاجناد في المراكب مع الامراء والقواد وكان الملك حسان قبل خروجه من الاوطان قد سلم زمام ملك اليمن الى الصباح بن الحسن وهو ملك كبير وفارس شهير كان يميل اليه ويعتمد عليه وأوصاه أن يجمع له المال في كل عام ويرسله الى بلاد الشام ثم نزل مع الوزير في مركب كبير واقلعوا من الاوطان وقصدوا بلاد الحبش والسودان وعند وصولهم الى ذلك الجانب القوا المراسي ونزلوا الى البر في قوارب ونصبوا الخيام والمضارب وفي الحال ارسل الملك تبع وزيره واسمه زيد بن عتبة بألف فارس منتخبة ليعلم ابن اخته الرعيني بقدومه الى تلك الاقطار لانه كان ملك هاتيك الديار وبأمره بسرعة الحضور وتقديم الذخائر الى الجيش والعسكر فلما علم الرعيني

بذلك الخبر بادر في الحال وسار بالفرسان والأبطال والمهريات الثقال الى ان التقى به في اصحابه في
من حوله الوزراء والأعيان فدخل وسلم عليه وقبل بين عينيه وقدم له الذخائر والهدايا وسأله عن
سبب قدومه الى تلك الجهات فأعلمه بواقع الحال وبقصده غزو بني قيس وتلك الاطلال ثم باتوا
تلك الليلة في الخيام وفي الصباح أمر الملك العساكر ان يتأهبوا للرحيل الى بلاد الشام
وأن يتقدموا الى قيصر ويتفرقوا فرقا كل فرقة خمسة من الجيش وخمسة آلاف راجل وأوصاهم
أنهم كلما أقبلوا الى مدينة يملكوها في الحال ويقيموا فيها نائبا من سادات الرجال فاجابوا أمره
بالخضوع والامتثال فعند ذلك دقت الطبول وركبت الفرسان ظهور الخيول وارتفع الصياح ولمع
السلاح وترتبت الكتائب وسارت المواكب في تلك البراري والسباسب وكانوا كلما وصلوا الى مدينة
أو بلد امتلكوها بحد السيف المهند حتى ملكوا أكثر البلاد وأطاعتهم العباد ولم يزل تبع يتقدم الى
أمام حتى أقبل الى مدينة الشام فأحاط بها من جميع الجوانب بالمواكب والكتائب وكان نائب الملك
ربيعة في دمشق الشام يدعى زيد بن علام وكان ربيعة وأخوه مرة في وادي لا يميز وهو يكون
يبعد عن المدينة مسافة يومين فأرسل الملك تبع الى نائب الامير ربيعة أحد الوزراء العمد يطلب
منه الخضوع لامره وتسليم البلد فلما وصل اليه ودخل عليه أعلمه بالخبر وما قال تبع من أمر فأجاب
بالسمع والطاعة وأجاب من مره في تلك الساعة وأخذ معه الأموال والذخائر وخرج في جماعة من
الأكابر حتى التقى بتبع في الخيام فحياه بالسلام فترحب به تبع غاية الترحيب وأمره بالجلوس فجلس
بمكان قريب منه فقال له تبع هل أنت ملك الشام قال نعم أيها الملك الهمام فسأله عن حكم ربيعة فقال له
ظالم على قومه وكل الرعايا تشكو من ظلمه ونتمنى له الأذى والضرر والموت والحمد لله رب البرية
الذي أغاثنا بك حتى نتخلص من نير العبودية فنستخدمك خدمة مرضية ونصير من جملة الرعية
وما كان قوله ذلك الا ليتبع الامن الخوف والفزع فتبسم تبع من هذا الكلام وقال ابشر ببلوغ
المرام فانك ستكون نائبي في بلاد الشام وتحمل لي الخراج في كل عام فقال سمعا وطاعة يا ملك الزمان
وجوهرة هذا الاوان ثم أعرض عليه الذخائر وما جاء به من نفيس الجواهر فانشرح صدر تبع و
عليه الخلع وقال له اذهب الآن مع وجوه أهل المدينة وباشر في أمر الضيافة والزينة فاننا سن
الى عندك بعد ثلاثة أيام ونتفرج على الشام ثم نرجع الى المضارب والخيام فقال أهلا وسهلا الارض
أرضك والبلاد بلادك ثم ودع الملك وسار بمن معه من الأكابر والتجار واخذ يسعى في أمر الوليمة
وقد حامت معه أرض الشام خوفا من السبي والهزيمة هذا ما جرى لهؤلاء من الأخبار وأما ما كان
من ربيعة وبني قيس الاخيار فانهم لما سمعوا بقدوم الملك تبع الى تلك الديار وافتتاحه المدن
والامصار فأخذهم القلق والافتكار وكان قد بلغ ربيعة قول زيد الى تبع حسان وكيف انه نسبه الى
الظلم والعدوان مع أنه كان من أعدل ملوك الزمان فأخذه الغضب والقلق وزاد به الحنق فجمع أكابر
قومه واخيه مرة ومن يعتمد عليهم من اهل الشجاعة والسادات وجعل يخاطبهم بهذه الابيات

غنا ربيعة شعراً من ضمايره دمع العيون على الوجنات طوفان
ياقومنا اسمعوا واستمثلوا قولى انتم بنو قيس ابطال وشجعان
كنا بخير وكان السعد يخدمنا نقرى الضيوف ونكسى كل عريان
والروح والخز والسمور يأتى لنا من سائر الارض والملبوس الوان
جانا من البحر ذا التبع يحاربنا صعب المراس شديد للبطش سلطان
معه رجال عوايس الف الف بطل من كل درغام قلبه مثل صوان
حاز البلاد وما امير خالفه الكل طاعته القاصى مع الدان
أتى الينا وماحسب حساب لنا منا ومن غيرنا ليس هو فزعان
معه عسكر كتير ماله عدد أبطال حرب وفرسان وشجعان
أنا بقيت كبير السن ياعربى مالى جلد فى اللقا فى وسط ميدان
مرة أخى بهذا الرأى ساعدنى همام ياابن أخى ما كنت كسلان
مايترك الكاس من يده ولا ساعة الا بوقت اللقا أو بعض أحيان
كيف العمل ننهزم أو أن نقابله شوروا الصواب اخوانى وخلانى

فلما فرغ ربيعة من شعره قالت السادات والفرسان عن فرد لسان ان هذا الامر لا يطاق وعلقم مر المذاق وليس لنا غير الهزيمة بهى أو فر غنيمة والاحكم سيفه فينا ولا شئ أنا عن بكرة ابينا وبعد مداولة طويلة وجلسة مستطيلة استقر رأى الجمهور على أن يذهبوا الى عند تبع المذكور فيسلموا عليه ويقبلوا ايديه ويطلبون لانفسهم الامان ويقدموا له التحف الحسان لعلهم يتخلصون بهذه الوسيلة من تلك الورطة الوبيلة هذا ما كان من امر بنى قيس وأما الملك تبع فانه فى اليوم الثالث ركب فى وجوه قومه وتوجه الى مدينة الشام لاجل الزيارة كما تقدم فلما بلغ الغابة ووصل الى السراية التقاه زيد بالتعظيم والاكرام وأجلسه فى أعز مقام وصنع له وليمة عظيمة ذات قدر وقيمة فأحسن اليه وخلع عليه وفرق التحف الثمينه على أكابر أهل المدينة ثم رتب عليهم الخراج فى كل عام وبعد ذلك رجع الى المضارب والخيام وهو مسرور والقواد على المرام وأما بنو قيس فانهم جمعوا التحف الحسان والاموال التى بكل عناو صنف الدمال من عقود جواهر ومهمات وذخائر وقماش فاخر وحملوها على مائة جمال وركب ربيعة مع أخيه مرة فى مائة بطل وسار معهما جماعة من الامراء والقواد الذين عليهم الاعتماد وجدوا فى قطع البرارى والقفار حتى وصلوا الى تلك الديار وعند وصولهم المضارب نزلوا عن ظهور الجنائب واجتمعوا بالخزندار الملك تبع وكان اسمه ثعلبة بن الابشع افقدموا له تلك التحف الحسان ليقدمها الى الملك تبع حسان ويعلمهم بقدومهم الى الديار فقدمها الخزندار وأعلم الملك بمجىء القوم فى ذلك اليوم وان مرادهم الدخول عليه ليتشرفوا بتقبيل يديه ورجليه ويحسدوا أمامه ويكونوا من جملة خدامه وأعوانه فتبسم تبع والتفت الى وزيره نبهان وقال

لأني من ملوك قيس العظام الذين كنت ذات لي عليهم وكذا وكذا من الكلام واني لا أصلح أن أكون لهم من جملة الخدام ومع ذلك فقد حضروا الآن الى تقبيل أقدامي ليكونوا من جملة أعواني وخدامي فقال الوزير وذلك لله من كل شر وضير وجعل عاقبة هذا الامر الى خير فبينما هم في الحديث والكلام اذ دخل على الملك امراء بني قيس الكرام فقبلوا الارض بين يديه ووقفوا على رجليهم فأخذ تبع ينظر اليهم ويتأمل فيهم فحانت منه التفاتة فنظر الامير ربيعة واقف في باب الديوان وهو مثل الاسد الغضبان وكان الامير ربيعة لم يدخل مع قومه على الملك حسان لان نفسه كانت لا تطاوعه على الذل والهوان فالتفت الملك تبع الى الترجمان وقال من يكون هذا الانسان الذي أراه محتجب بنفسه غاية الاحتجاب ولا حاسب لي أدنى حساب فسأل الترجمان عنه فقالوا هذا الاسد الشديد هو سيد بني قيس الامير ربيعة المعظم فلما سمع تبع هذا الخبر شخر ونخر وتبدل صفو عيشه بالكدر واحمرت عيناه حتى صارت مثل الجمر الاحمر ثم ناداه فحضر وقد تعجب من عظم هيبته وبياض لحيته فسلم ربيعة عليه ووقف بين يديه فقال تبع أأنت سيد بني قيس الكرام فقال نعم أيها الملك الهمام قال ولماذا اسأت الادب واحتقرتني دون باقي أمراء العرب الذين تقدموا اليّ وقبلوا أيدي وقد ... فتقدم الآن وقبل رجلي يا انسان والا قتلتك بحد الحسام وجعلتك مثلا بين الانام فقال ربيعة وقد استعظم ذلك الامر واحمرت عيناه من الغيظ حتى صار مثل الجمر لانه كان من أشرف العرب حسبا وأعلاهم نسبا ثم قال اعلم يا ملك الزمان بأني مثلك من ملوك العربان صاحب قدر وشأن وما ذلت نفسي الى انسان وهذه البلاد بلادي وملك آبائي وأجدادي وأنا ما تعديت عليك ولا وصلت أذيتي اليك بل أنت شنيت علينا الغارة وامتلكت بلادنا ولحقت بنا الخسارة وذلك دون سبب من الاسباب فكفى الذي فعلته أيها الملك المهاب وقد طلبت مني بعد ذلك فلا أنت تقبل يدي ولا أنا أقبل يدك فلما سمع تبع منه هذا المقال خرج عن دائرة الاعتدال وقال يا نذل بني قيس من هو أذل من التيس أني ما أتيت من بلادي في هذا الجمع المتزايد الا حتى أجعل زمام الدنيا في قبضة ملك واحد ثم أنه بعد هذا الكلام صاح على الاعوان والخدام بصوت كالرعد في الغمام ويلكم اقبضوا على هذا الشيخ الكبير ومن معه من بني قيس المناحير وقيدوهم في الجنازير فامتثلوا أمره في الحال وقيدوا ربيعة ورفقاءه الرجال وبعد أن قيدوه وأوثقوه أمر الملك بشنقه فشنقوه وهكذا انتهت حياته وانقضت أيامه وساعاته وبقي معلقا ثلاثة أيام حتى جاء نائبه الامير زيد والي الشام فغسله وكفنه ثم واراه التراب ودفنه ثم جاؤوا بباقي الرجال وأرادوا أن يفعلوا بهم مثل تلك الفعال فانهزم الامير مرة من بين أيدي الفرسان وتقدم الى عند الملك تبع حسان وقال الامان يا ملك الزمان نحن الآن عبيدك وطوع يديك وجميع أمورنا راجعة اليك مع عنايا مولانا فقد صرت أنت الملك ثم أنه بعد هذا الحديث والكلام صار يخاطبه بهذا الشعر والنظام

صروف الدهر قد جارت علينا   مقالات امرة في بيوت

الا يا أمير تبع ياهمامي | أيا ملك الورى في العالمينا
أنا في جيرتك إفخر قومك | أجرنا لاتشفي الضد فينا
قتلت أخي ربيعة يامكني | وأشميت العدا والحاسدينا
وتقتلني أنا يا أمير بعده | تهد وجاقنا طول السنينا
ونحن ياملك حكام مثلك | على كل القبائل حاكمينا
فليس بواجب تهدم بيوتي | ولا هذا فعل الماجدينا
وقد حاربتنا وحكمت فينا | ونحن اليوم في حكمك رضينا
وبعد اليوم صرنا لك رعايا | على طول الليالي والسنينا
وندفع كل عام عشر المال كله | فاحكم ما تريد اليوم فينا

(قال الراوي) سمع تبع شعره ونظامه وعرف قصده ومرامه عفى عنه واعطاه الامان وكذلك صفح عن باقي الامراء والاعيان وجعلهم من جملة الرعايا والخدام يدفعون له الخراج في كل عام وقال لمرة اعلم ياسيد القوم اني قد صممت أن أخذ مدينة الشام كرسي مملكتي بعد هذا اليوم فسر أنت بأهلك من هذه الديار وتفرقوا في سائر الاقطار وكونوا لاوامري طائعين ولحكمي خاضعين وسامعين ثم انه قسمهم الى عدة فرق واقام على كل فرقة ملك من سادات بني قيس الاعيان فجعل الامير مرة على الفرقة الاولى وأمره أن يسكن مع قومه في نواحي بيروت وبعلبك والبقاع وجعل الامير عبس على الفرقة الثانية وأمره أن يقيم في بلاد السر وعباده وأقام الأمير عدنان على الفرقة الثالثة وأمره ان يقيم في بلاد العراق وتلك المنازل والآفاق وكان الملك تبع قد شتت بنو قيس بهذه الوسيلة خوفا من أن يقع منهم في حقه مكيدة أو حيلة ثم أنه التفت الى الامير مرة وباقي السادات وأنشأ اليهم بهذه الابيات

يقول التبعي المدعو اليماني | أيا مره لكم مني الاماني
ألا ياقيس روحوا لاتخافوا | فقد سدتم على أهل الزمان
ربيعة أنت يامرة بداله | كبير القوم من قاص وداني
وأولاده فهم موضع أبوهم | وانت كبيرهم فيهم تعاني
ولكن جلق لا تسكنوها | وكونوا في أمان مدى الزمان

فلما فرغ تبع من كلامه وشعره ونظامه أجابت بنو قيس أمره بالامتثال وتفرقت جميعهم في البراري والتلال وهم يبكون على ما جرى عليهم وما وصل من الاذى اليهم لانهم كانوا في أرغد عيش وأهناه في عز وجاه كلمتهم بين الناس مسموعة وراياتهم فوق هام المجد مرفوعة لا يعرفون الهم والكدر ولا يأخذهم قلق ولا ضجر الى أن أصابتهم البلية وحلت بهم تلك الرزية فبكوا على تفرق بعضهم عن بعض وتشتتهم في أقطار الارض بمن غريب الاتفاق المستحق التسطير في الاوراق هو ما جرى

للاربع أخوات الذي اشتهروا من بني قيس بالحمية والنخوة وذلك أنه زوجة الامير ربيعة المذكور والدة كليب والزير الفارس المشهور وأربعة اخوة من الذكور وهم جوشن وناجد وبودرو والامير منجد الاسد الغضنفر وكانوا من أجود الناس قد اتصفوا بالشجاعة وقوة البأس لما رأوا فعل تبع الشنيعة وكيف انه قتل صهرهم ربيعة ساءهم ذلك الامر وقد قابلوه من الغيظ بما يوجب الجزع لكنهم أخفوا الكمد وأظهروا الصبر والجلد ثم ارتحلوا بيوتهم وعيالهم وساقوا اغنامهم وجمالهم وجدوا في قطع البراري والآكام حتى وصلوا الى بلاد الشام فنزلوا بقرب صور تحت حمايته فقال لهم تبع ان تكونوا من الرعية فقال له ناجد اعلم أيها السيد المجد أننا من خيار العرب أصحاب الحسب والنسب وكان الامير ربيعة متزوجا باختنا جليلة وكنا في زماننا في نعم جزيلة ولا زلنا أمسينا في ذل وهوان ليس لنا قدر ولا شان وقد قصدناك وأتينا اليك وجعلنا اعتمادنا بعد الله عليك لعلك ترحمنا وترثي لحالنا وتبلغنا غاية آمالنا وتجعلنا الك من جملة الاعوان والعبيد ولعله ان تستقيم أمورنا بعد الذل والكدر فحظي بالشرف الرفيع وبلوغ لوطره فتعجب من كلامهم وبلاغتهم ومرامهم وجعلهم من جملة وزرائه وأكابر أمرائه وكان يستشيرهم في أكثر الاوقات ويفضلهم على الرؤساء والسادات وكانوا يترقبون الفرص ليأخذوا بالثار ويزيلوا من قلوبهم الغصص ولما بلغ تبع الغاية دخل الى مدينة الشام ونزل بالسراية فأطاعته العباد وخضعت لجميع البلاد وشاع ذكره في الاقطار وتحدث به الملوك الكبار واستمر على هذه الحال مدة ثلاثين سنة وهو في عز وسلطنة تهاديه الملوك الاكاسرة وتهابه ملوك القياصرة وتخدمه كافة الجبابرة وكان قد بنى له قصرا مرتفع البنيان مشيد الاركان وجعل أبوابه من الفضة والذهب ورصع حيطانه بالجواهر والدر المنتخب ما بنى مثله ملك ولا سلطان فكان من عجائب الزمان وتحفة غاية الاتقان وذلك لما فيه من التحف الحسان التي تدهش النواظر وتحير العقول والبصائر فاتفق ذات يوم بينما هو جالس في الديوان ومن حوله الاكابر والاعيان وقواد الجيوش والفرسان وهم يتحدثون بذكر نساء العرب اللواتي اشتهرت بالفضل والادب والحسن والجمال واللطف والكمال اذ قال بعض الوزراء انه لا يوجد في هذا الزمان بين بنات العرب بارز في المحاسن والاوصاف البديعة أجمل من الجليلة ابنة مرة أخي ربيعة وأخذ الوزير يطنب في أوصافها وآدابها وألطافها ثم قال في آخر الكلام ان هذه الصبية التي كأنها البدر التمام مخطوبة لابن عمها الامير كليب ومراده ان يتزوج بها في هذه الايام فهنيئا لمن كانت زوجته وقرينته وحبيبته فلما سمع تبع بذكرها واوصافها من أجمل بنت في عصرها اشتد غرامه بها وتعلق قلبه بحبها وكتب الى أبيها مرة كتابا في الحال يأمره أن يرسل الجليلة ابنته بدون امهال لان مراده أن يتزوج بها ويكون صهره وبهذه الوسيلة يعلو بين الناس قدره ثم ختم الكتاب بهذا الشعر والنظام وبه يتهدده بالانتقام ان لم يمتثل الى هذا الكلام واشار يقول

يقول التبع الملك اليماني ملكت الارض والسبع البحاري

ألا يا غاديا مني لمـــرة على فرس تدابه ريح سارى
بحال وسيل مكتوبي اليه فاعلمه بحالي وانتظارى
أيا مرة فأرسل لى الجليلة بلا إهمال من بين السراري
وركبها على جمل ذليل بهودج فيه تقطع للبراري
سمعت بأنها زينة مليحة ويخجل حسنها ضوء النهار
وحين سمعت فيها طار عقلي وقل اليوم مني اصطبارى
أريد تكون بإكر وسط قصري وتتسلط على كل الجوارى
وأرسل جزية السبع المواضى خزائن في صناديق كبار
واحضر يا ملك مرة لعندى واخضع لى بذل وانكسار
وأدخل على الجليلة وسط قصرى وأتمتع بها وأطفى لنارى
وان كانت كما وصفوا وقالوا سأقضى الليل معها مع نهار
وأعطيك البقاع الى بعلبك وأرفع لك مقاما في جواري
وإن لم تمتثل قولي وأمري ترانى جئتكم مثل الضواري
وأفنى جمعكم في حد سيفى وأنهب مالكم وأنال ثارى

ثم أمر تبع وزيره نبهان ان يركب في جماعة من الفرسان ويقصد تلك القبيلة ويسلم الكتاب الى مرة ويأتيه بالجليلة فامتثل أمره وسار وجد في قطع القفار حتى وصل الى تلك الديار فرأى القوم في سرور وأفراح وشراب مدام وانشراح لانهم كانوا مهتمين في تلك الايام في زواج كليب بالجليلة بدر التمام ولما سمع مرة بقدوم وزير تبع خفق قلبه من شدة الخوف والفزع فنهض في الحال واستقبله حسن استقبال ثم أتى به إلى الخيام واحترمه غاية الاحترام وأمر الخدام ان يأتوا بسفرة الطعام وآنية المدام فامتثلوا الي ما أمر وفعلوا كما ذكر وبعد ان أكلوا وشربوا ولذوا وطابوا قال الامير مرة الى الوزير أيها السيد الخطير لقد زاد سرورنا الآن وتزينت بقدومك الاوطان ثم سأله عن سبب زيارته وما هي غاية حضرته فقال قد أتيتك بكتاب من عند تبع ملك الاعراب وبه يطلب بنتك الجليلة امرأة له وأنت تعلم بطش هذا الجبار وقد قال المثل لا تعانده من إذا قال فعل وأنا والله في غاية الحياء والخجل وليس لى إرادة بهذا العمل ولكنني أتيتكم في زى رسول لاعلمك الخبر اليقين وليس على الرسول إلا البلاغ المبين ثم أخرج الكتاب وسلمه إياه ففتحه الامير مرة وقرأه ولما وقف على حقيقة فحواه تقطعت أمعاه وضل عقله وتاه لانه إن أبى وامتنع بقتله الملك تبع وان أجابه إلى ماطلب يصير معيرة بين قبائل العرب وتشتمه الناس وتزدريه حيث انه قد عزم زواج ابنته الى كليب ابن أخيه فاندهل وحار وأخذه القلق والافتكار واشتغل قلبه بلهيب النار فأطرق برأسه الى الارض وأخذ يتأمل في عاقبة هذا العمل فلم يجد سوى

الخضوع والامتثال لأوامره في الحال خوفا من العواقب وحلول النوائب فالتفت إلى الوزير نبهان وقال له أمام الامراء والأعيان ومن حضر في ذلك المكان لقد أجبت الملك إلى ما طلب بابنته من انتهى غاية الارب لان ليس لنا بعد الله سوى امتثال امره ورضاه لانه الملك الاكبر وبمصاهرته تحقق لي الشرف الرفيع واحفظ الاوفر بعد ثلاثة أيام يكمل جهازها بالتمام فتضعه الصناديق وتحمله على ظهور الجمال مع باقي الامتعة والاحمال وتركب الجلالة في هودجها وتسير امامها الفرسان وتذهب انت معها الى عند الملك ... صدر الوزير بهذا الكلام وايقن ... بلوغ المرام والحصول على الحاجة ... الجلالة في أمان وهو مسرور فرحان

قال الراوي ... الوزير ... الشريف ... أن الضرورة ... الوزير الثلاثة ايام عن المسير حتى ... الامر العسير

قال الراوي ... صادق ... النجاح والتوفيق يدعى العابد نبهان وكان كثيرا ما يوعده بالخير والاحسان ... من أمر الملك تبع حسان فقال له ابشر بالخير ... صناديق كل واحد بطبقتين ففي الطبقة الواحدة تضع فرسان ... وفي الثانية جهاز الجلالة واوقات تكون مهرجانها أمام سادات القبيلة وبهذه الوسيلة تتم الحيلة وتنال المراد برب العباد واعلم لا خفاك عند وصولك إلى هناك تجد سلسلة من النحاس الاصفر معلقة فوق الباب الاكبر وهي مرصودة من سحر هذا الزمان لهلاك من أراد الضرر للتبع حسان فتقع عليه في الحال وتذيقه الوبال ... الحذر واتكل على إله البشر فهو يحفظك ويحميك وينصرك على جميع أعاديك فاذا بلغت الارادة وفزت بالسعادة ابنيت لي مسجدا برسم العبادة وخذ هذا السيف الخشب وبه تنال القصد والارب وأشار يقول

قال نبهان يا بن ربيعة أتاك الخير وسعدك تم	روح لقومك وبشرهم
قول لعمك وابن العم وبشر المعنى همام	بأن الشمل اليوم يلتم
قول للسعد أتى لك بس واستوفى ثارك ولدم	تأخذ ثارك من التبع
تسقيه خمر بكاس السم هذا السيف تقلد فيه	وفي كتفك يا أمير يتم
البس قبوه ... تقي تضرب فيه بعزم	وحط بعينك عرق الشب
تقي ... لدم حط ... في هودج	وتود بها زمام وزم

وسوى عرضك فشرها احذر منه فى حقك زم وان أحد قال ماتكون
فاعجل واعمل حالك صم والعب وارقص وابهرج واحفظ مايخرج من الفم
عمك صره والفرسان باكر لعنده تاتم وأنا دبرت لك رأي
من خالف قولى يندم وسير لعنده الابطال قبل مايغضب وينسم
سلسلة معمولة هنك بعلم السحر مع الطلسم تبين كل أعداه بساعة
احذر منها لاتعدم طيب قلبك لاتغتاظ من ذا العايق لاتهتم
سألت المولى ينصركم ويزيل عنكم كل الهم

فلما فرغ العابد من كلامه وعده كليب ببناء المقام على أحسن نظام ثم رجع على الاثر وأعلم عمه بذلك الخبر وقال له يقتضى الآن أن نبادر بتمام هذا الشأن وننتخب مائة من الفرسان ونضعهم فى الصناديق على ظهور الجمال مع بقى الجهاز والاموال فى صفة أمتعة وأحمال على عيون الرجال ويكونوا جميعاً بالاسلحة الكاملة والعدد الشاملة وتركب الجليلة فى هودجها وهى مزينة بالجواهر ويكون فى صحبتها جماعة من السرارى يدقون أمامها بالدفوف والمظاهر وأنا أجعل نفسى مهرجا حضرتها وأمسك بزمام ناقتها وندخل على تبع بهذه الوسيلة فان تمت عليه الحيلة نلت المرام وأخذت ابنة عمى بحد الحسام وأكون قد بلغت اربى واخذت ثار أبى ومتى قتل الملك تبع يقع فى قلب قومه الخوف والفزع

قال الراوي فاستصوب الامير مرة كلام كليب وعلم انه سينال المراد بدون ادنى شك ولاريب فقال لقد تكلمت بالصواب وأشرت بالامر الذى لايعاب فافعل ماتريد أيها الفارس الصنديد وكان قد أمهل الوزير ثلاثة أيام حتى تمت هذه الامور والاحكام وقد اطلع أمرا ابنته الجليلة على ماتقدم ذكره وعلى ماقصد كليب فعله فلما كان يوم الارتحال انتخب كليب مائة من الابطال وقص على مسامعهم واقعة الحال ثم وضعهم فى صناديق الاحمال وحملوهم على ظهور الجمال وكان من جملتهم الامير همام والامير جساس وجماعة من عظماء الناس وركبت فى هودجها الجليلة وركب أيضا الوزير والامير مرة وجماعة من فرسان القبيلة وتقلد كليب بالسيف من تحت الثياب ولبس فروا من جلود الثعالب والذئاب وأرخى له سوالف طوال من أذناب الكدش والبغال وركب على قطعة من قصب وحمل دبوسا من خشب وكان يقود بزمام ناقة الجليلة أمام فرسان القبيلة فلما رآه الوزير نبهان قال لبعض الفرسان من يكون هذا الانسان فان زيه عجيب وحاله غريب فقالوا هذا مهرج الجليلة بنت مرة واسمه قشمر بن غرة فزاد عجبه وتبسم وهو لايعلم بانه الامير كليب الاسد الغشمشم وكانت السرارى تدق أمام الجليلة بالمزاهر والدفوف والفرسان تلعب بالرماح والسيوف ومازالوا يقطعون البرارى والآكام مدة ثلاثة أيام حتى اقتربوا من مدينة الشام فنزلوا هنالك ونصبوا الخيام ورفعوا الرايات والاعلام وأرسلوا رجلا من أكابر العمدا لكى يعلم تبع بوصولهم

الى البلد فارسا على الاثر واعلم الملك بذلك الخبر ففرح واستبشر و... ... ... واحضر الرمال وكان له رمال شاطر فحضر بين يديه وقال له التبع اضرب لي تخت الرمل فجلس وضرب الرمل فرأى جميع ما فعلته بنو قيس وقال الصناديق فيها رجال وصار يقول

قال الفتي الرمال صادق سقاني الدهر كاسات المرارا
تبعت الرمل أنا كنت طفلا وقلبته يمين مع يسارا
ولا حد مثلي بالرمل عارف ولا غيري يعرف كيف سارا
أخط بالرمل بأربع أمهات وولد الصغار مع الكبارا
ألا يا أمير تبع يا ملكنا يا عز الغرارى يوم غارى
أقلك عن النقادير والجنايب وتحسب ان جابوا لك تجارا
جوا يا ملك هما يقتلوك ويدعوا القصر بعدك دثارا
صناديق التي لك حملوها بها أبطال بالعدد أمارا
يريدون قتلك يا ملك عاجل لهم ثارا عليك وأى ثارا
وهذا قد أعلمتك ياسمعي وبالدنيا يشيع لها خبارا

(قال الراوى) فلما فرغ الرمال من كلامه وتبع يسمع نظامه نادي على العبيد فحضروا مائة عبد فقال لهم روحوا الى العمارة وكل صندوق الذي تلاقوا فيه رجال كسروه فانطلقت العبيد الى العمارة وهما سعد وسعيد وبقية المائة عبد فذاك بيده عصا والآخر في يده بلطه والثانى في يده دبوس حديد ولما وصلوا لى العمارة ابتدوا بكسر الصناديق وكسروا الاول والثانى الي العشرة فصاحت الجليلة يا عبيد السوء لماذا تكسروا صناديقى فقالوا العبيد الرمال قال إن في هذه الصناديق رجال فقالت لهم اسمعوا حتى أفتح لكم بأعينكم الرجال الذي في الصناديق فتقدمت وفتحت لهم عشرة صناديق فما وجدوا فيها غير جهازها والقماش فقالوا ان الرمال كذاب وعادوا يردوا الجواب يقع لهم كلام ثم يرجع الحديث الى عجوز يقال لها عجلان وكانت رمالة وهى التى علمت الرمال فبان لها جميع ما يعلموه بنى قيس وبان لها أن الصناديق طبقتين فى السفلى رجال وفى العليا قماش فافتكرت ساعة من الزمان وضربت تانى رمل رأت أن بنى قيس يقتلون التبع لا محالة فقالت خير لى أن آخذ الوجه الابيض عند بنى قيس فقامت أخذت عصاتها بيدها وسارت الى أن وصلت عند بني قيس وهم في ارتباك عظيم فقالت لهم أنا أتيت من عند التبع فقالوا ما هو قصدك قالت قصدى اكشف الصناديق فان الرمال قال ان فيه رجال ففتحوا أول صندوق والثانى فقالت انى أرى الصناديق من الظاهر ذات عمق ومن الداخل بخلاف ذلك وضربت على الطبقة السفلى فما رأوها عارفة قالوا استرى على ما ستره الله وفتحت الصندوق وأعطوها ثلاث بدلات حرير فقالت لهم من الآن فصاعدا أساعدكم على قتل تبع ثم أن العجوز طلعت الى عند تبع والرمال بين يديه وهم الى يضرب الرمل لان العبيد أخبروا

تبع بما شاهدوا وكذلك العجوز أخبرته كما أخبروه العبيد فقال تبع يا عجوز الرمال عمى قلبه من أكل النوم والبصل فأمر الملك بضرب عنقه وراحت روحه إلى وادي الاحمر تقدمت العجوز الى الملك وأشارت توصف حسن الجارية وما أعطاها الله من الحسن والجمال

تقول العجوز انى شاهدت مليحة تزيح العنا والصدود
يا أمير تبع يهنيك فيها السعد وأقبل الخير لك والسعود
أتوك بنى قيس أهل السماح وجابوا لك الخيل ثم النقود
وجابوا الجارية اشخص لك حايله بخدين حمر وعينين سود
وقامة طويلة كعود القنا فوق الكتاف ترخى الجعود
بشعر طويل وعين كحيل بلا جرميل تصيل الاسود
حواجب كما قوس ترمى الهموم وذات حزام الذهب على النهود
ولها شفف رقاق نظاف عقايل طرايف تزيل النكود
ولها وجه كبدر بالله قدر وجنات حمر كما الورود
وجسم رقيق وريق رحيق وسنان لولو سبت البرود
لها عنق كعنق الغزال وطوق الذهب يوقد وقود
كفوف كما العاج مثل الزجاج والنقش مواج فوق الزنود
وكفين أطرى من الياسمين من قد حواها ينال السعود
وصدر كلوح خلقة الآله قد زين الصدر جوز النهود
وأعطاف وأرداف مثل العجين خلقة إله مهيمن ودود
أما الحجول تزيل العقول حب الطارف يطفي الصدود
أما القلايد سلاسل ذهوب من الرأس المكعوب مثل البنود
وملبوسها مليح حرير مقصب مطيب بمسك وزهر وعود
وان شافها رجل عابد فقيه غدا العقل منه شارد شرود
قد زينوا بنى قيس لك عروسا تجلى لاجلك كل هم وكود
للملك حقا وقد أحضروا مليحة وصالها يزيل النكود
فارسل وراها وخلى المحال واسمع كلامى واجلى الصدود
وادخل على بنت مره وكن لطيفا بقطف ثمار النهود

(قال الراوى) فلما فرغت العجوز من كلامها والملك تبع يسمع نظامها فراح عقله من وصف العجوز ونادى على الوزير يأمره أن يحضر الجارية بالتبجيل والتكريم وخلفها السرارى بموكب عظيم فدخلت على تبع وهو جالسا على كرسى المملكة

على رأسه تاجا من الذهب الفاخر مرصعا بأنواع الجواهر فسلمت عليه ووقفت بين يديه فرد عليها السلام وآنسها بالحديث والكلام وقال أهلا وسهلا بالسيدة الكريمة والدرة التي ليس يقدر لها قيمة



سيف ابن الملك اليمني

[illegible] بنت مسرة

ثم أجلسها بمكان قريب منه وترحب بها غاية الترحيب وقد أدهشه من فرط جمالها وعذوبة ألفاظها وفصاحة كلامها لأنها كانت متصفة بالأدب ومن أجمل نساء العرب فأخذ الملك يسألها عن أهلها وعشيرتها فقالت له بكلام الدلال اعلم أيها الملك المفضال ان اتصالي بجنابك يشرفني وسماحة أبيك جعل لقبيلتنا اسما كبيرا وذكرا بين الناس شهيرا كيف وأنت ملك هذا الزمان والجوهرة الثمينة في هذا الأوان فالله يحفظك لنا ويبقيك وينصرك على جميع حسادك وأعاديك فان كنت تحبني وتعظم شأني وترفع مرتبتي على أقراني فلا تترك أبي وأعمامي وسادات أهلي وأقوامي بعيدين عن فضلك واحسانك لأنهم قد صاروا الآن جملة اتباعك وأعوانك فأمرهم ان ينزلوا فيه الآن وأمر بصناديق جهازي وباقي الأحمال. ان تحضر الى هنا في الحال ومع كل ذلك فنحن أولاد عم

قال الراوي فأمر تبع وزيره نبهان أن يذهب في جماعة من الأعيان ويدعو الى الأمير مرة أبي الجليلة ومن معه من بني عمه قصرا من القصور وأن تنزل بقية الفرسان في أعظم مكان ويقدمون لهم الطعام والشراب وما يلزم من الثياب فأجاب الوزير بالسمع والطاعة وفعل كما أمره مولاه من

تلك الساعة وبعد أن أنفذ الوزير الأمر ووضع الصناديق في داخل القصر التفت الملك تبع إلى مرة وقال له ياعمي ما أنا إلا أنت في مقامي فان غبت أنا أنت تكون حاكم مكاني ثم أنه قربه إليه وأخذ يترحب به اكراما للجليلة ويقول :

يقول التبعي اليمني الكباري ‏ ‏ ‏ أنا ياقيس زال الهم عني
ألا يامرحبا يا أمير مره ‏ ‏ ‏ أنا منكم وأنتم اليوم مني
ترى لولا الجليلة لي تعاتب ‏ ‏ ‏ وجابت لي الحسب والنسب مني
فما علمت أننا يمنا وقيسا ‏ ‏ ‏ بني جدين آخرين بظني
بقينا أولاد عم يا عمي ‏ ‏ ‏ والذي راح راح بلا توانى
فلا تعتب على بفعال أخيك ‏ ‏ ‏ ما قد صار ما بالأمر مني

قال الراوي فلما فرغ تبع من كلامه والحاضرين بسمعه والظ معه أخذ بالكاس والطاس وقال حلت البركة بكم فنمدت بنو قيس تشرب معه المدام وشرب الملك تبع إلى أن سكر وغنت البنات ورقصت ثم تبع للجليلة اعلمي باسيدة الملاح وكوكب الصباح قد اجريا المطلوب طبق المرغوب فهل لك غرض آخر حتى نقضيه وننعم ما ترغبينه وتشتهيه وكانت الجليلة تحاول بأفكارها الاجل أن تستدعي كليب إليها وقد سمعت صوته عند القصر وهو يصرخ ويصيح من جوانب القصر لأنه كان راكب على فرسه القصب وبيده دبوس الخشب وكان يرقص في البستان وينتقل من مكان إلى مكان فقالت نعم أيها السيد الماجد بقي غرض واحد وهو أن لدي أسير قصير لا يوجد مثله بين البشر حلو الصفات سريع الحركات يضحك الحجر بفعاله ويزيل الهموم بغرائب أعماله وقد أحضرته هذه المرة في خدمتي ليسليني عند حزني وشدتي فان حسن لديك آمر له أن يدخل إليك ويلعب بين يديك فيزداد سرورك وانشراحك وتزول احزانك واتراحك فضحك من كلامها وأجابها إلى مرامها وأمر الخدم بإدخاله ليرى طرفا من أعماله وعند وصوله إلى باب الايوان نظر السلسلة التي ذكرها العابد نعمان فامتنع عن الدخول وأخذ يتكلم بكلام مجهول ويقول ما هذه الحيلة التي اراها إنا خايف من شرها واذاها فقال ادخل فما عليك من بأس فما هي إلا سلسلة من النحاس فأبى وامتنع وهو يظهر على نفسه الخوف والفزع ولما طال المطال التفتت جليلة إلى تبع في الحال وقالت له بكلام الدلال اعلم أن قصير من اخوف البشر فان حسن لديك ولم يصعب عليك فأمر الخدام والحجاب برفع السلسلة عن الباب فرفعوها وأتوا بقصير إليه فلما صار بين يديه سلم عليه ودعا له بطول العمر والبقاء ودوام العز والارتقاء وأخذ كليب يمزح أمامه ويلعب بسيفه الخشب قدامه وهو في تلك الثياب التي ذكرناها والصفة المضحكة التي وصفناها فكان تارة يبحلق عينيه ويرفس الارض بيديه ورجليه وتارة يقول أين الفرسان الفحول وأين أبو عطبول

وأحيانا يرقص ويضحك بلا سبب وهو راكب على فرس اللعب ويسوقها بذلك الدبوس الخشب فكان من أعجب العجب فاندهش تبع من أعماله واستغرب من أحواله وأقواله ثم قال للجارية والله يا كاملة المعاني وشريكة عمري وزهو زماني لقد أصبحت منادمة هذا البهلول الذي يدهش بأفعاله العقول فإنه من كثرة هزله وخفة عقله جميل الصورة فصيح الخطاب سريع الكلام في الجواب فقالت له صدقت فيا نعمة ما أرى رجلا مثله بين الأنام في الرزانة وفصاحة الكلام ومتى بقي عندك عشرة أيام يزيد منادمتك حق المعرفة ويدهشك بشروح الخاطر على طول الزمان ثم قالت يا شعر وهو كاتب تبع حسان إن كنت تطرب الآن فأمر سيدتي الجارية أن تغنيك بأبيات من الشعر فإن صوتها مليح وألفاظها فصيح فقال لها أهلا بحسن غناء يا سيدة الصناعة فقالت أي وأبيك فإن كنت تريد أن أغني لك وأطربك وأسليك فأمر شعرا أن يقفل الباب الثالث ويمنعنا أحد من الخدام فاستصوب كلامها الملك تبع وأمر شعرا أن يقفل باب المخدع فقفله وعاد بالعجل وقد أيقن ببلوغ الأمل وأنشدت الجارية تقول :

لقد قالت جلالة بنت مره   شربنا الخمر ما بين الأمارة
شربنا الخمر في كاسات جوهر   فزال العقل وأضحينا سكرة
بحضرة تبع الملك المسمى   بحسان إذا ما شن غارة
وقد أمسيت في قبضة يديه   ومن حبه شغل قلبه بناره
ألا يا حارس البستان صنه   وإن فرخت فيه الطير طاره

قال الراوي فلما انتهت الجارية من هذا الشعر والنظام زاد بالتبع الوجد والغرام وسكر من غير مدام وقال من تلك من تكون من النساء فقد زاد سروره وزاد في هذا المساء فلما رآه كاتب قد زاد الطرب أخذ يرقص أمامه ويلعب بالسيف الخشب فقال له تبع عيب عليك يا شعر أن ترقص بهذا السيف أمام الملك الأكبر فقال أعطني إذن سلاحك وأنا ألعب أمامك فقالت الجارية بحياتي عليك أن تبلغه الأرب تعطيه ما طلب فإنك ترى منه العجب فأمره أن يدخل إلى قاعة السلاح فيأخذ السيف ويرجع بالعجل فأجاب كاتب وامتثل وكانت الجارية أومت إليه أن يسرع في العمل وعند دخوله إلى ذلك المخدع وجد سلاح الملك تبع فلبس الدرع وتقلد بالسيف ووضع الخوذة على رأسه وخرج بالعجل كأنه من قال أو قطعة من جبل بعد أن فتح صناديق الأحمال وأخرج الفرس ذو الأبطال فلعب في ساحة الدار وقام وصال بالأنظار وكذلك سل الحسام من غمده وهو تميز في يده ثم دخل على الملك وقد احمرت عيناه ونذكر إياه فصال وجال ولعب بالسيف كما تلعب الأبطال في ساحة القتال وبعد ذلك تقدم وهجم عليه فعرفه حينئذ الملك تبع وقد انخلع قلبه من الخوف وأيقن بالهلاك وقلة الخلاص فقال بالله عليك يا سيد الشجعان وفارس الميدان أن تعفو عني وتسمح عن فرطاتي فقال لا بد من قتلك كما قتلت أبي وأنا قد أخذت ثاري وبلغت أربي فقال

تبع اذا كان لا بد من ذلك الشأن أمهلني ساعة من الزمان حتى أوريك عن جميع الأمور والاحوال التي تجري آخر الاجيال فقد اتضح لي الحال ووقعت في شرك العقال ثم أنشد وقال

(الملحمة الكبرى للتبع حسان التي أخبر بها عن ما يحصل في آخر الزمان)

يقول التبع الملك اليماني   لهيب النار تشعل في فؤادي
أمير كليب يا فارس ربيعة   ويا حامي النسا يوم الطراد
أريد اليوم أن أعلمك غيبا   لتعرف حال أخبار العباد
فموسى كان في الدنيا نبيا   له التوراة أعطت للرشاد
وداود النبي قد جاء بعده   يبشر بالزبور أهل الفسادي
وعيسى بن مريم قد جاء أيضا   بانجيل الخلاص لكي ينادي
نبي لم يكن في الناس مثله   لان الله قد اختاره بنادي
فكم ميت بكلمته أقامه   ومحموم شفاه من الوساد
وعندي قد تبين بالملاحم   بأنك قاتلي دون العباد
وبعده شاعرة قد تنزل عليكم   وتفتن بين قيس في البلاد
وأنت برمح جساس ستطعن   وعبدي يذبحك بين الجماد
وتكتب في دمائك على البلاطه   لمن بعدك لتشتيت الاعادي
ويأتي الزير أبو ليلى المهلهل   فيصلي الحرب في كل البلاد
ويقهر كل جبار عنيد   بضرب السيف في يوم الجلاد
وتأخذ الجليلة لك قرينة   وتحظى بالمسرة والمراد
ويظهر لك غلام بعد موتك   يسمى الجرو قهار الاعادي
وهو يقتل إلى جساس خاله   وأما الزير تقتله الاعادي
وسيف ذو يزن بعدك يظهر   وتصحبه السعاده في العباد
ويبقى ملكه سبعون عاما   وبعد ذاك يطوي في الوهاد
ويظهر له ولد يدعى بدمر   شديد البأس مرفوع العماد
فيملك بلاد الشام بعده   يجيب الماء من أقصى البلاد
وبعده يظهر المدعو بعنتر   يهين الضد في يوم الطراد
وبعده يظهر الهادي محمد   يقيم الدين ما بين العباد
وأصحابه معه عشرة كوامل   كرام الناس سادات البلاد
أبو بكر وسعد مع سعيد   وطلحة والزبير بن الجياد
وعثمان وعمر مع علي   وعامر مع حسين أهل الرشاد

يموت الهاشمي ويصير خلف … على الاحكام بعده بالعباد
أبو بكر يموت بلسع حية … وبعدة عمر يقتل بالطراد
علي بالسيف يرديه ابن ملجم … يتيما انقضى بين الولاد
ولا يعرف له قبر محقق … على وجه الثرى بين العباد
وتختلف الصحابة في الحكومة … ويحكما حسين بالبوادي
وبعده بنو أمية سوف تحكم … وأولهم معاوية بن هاد
ومن بعده بنو العباس تحكم … سنين كثيرة بين العباد
وبعدهم الخوارج سوف تظهر … وواقعة الفواحش والعناد
يقيمو الشر في كل الاراضي … ويغدوا الارض دارا بالفساد
وتظهر من بلاد الشرق عصبة … فيقصد جيشها غرب البلاد
هلال وعامر مع أهل قيس … يريدوا حرب حمير مع أباد
حسن أميرهم فخر البرايا … وبعده دياب قهار الاعادي
وأبو زيد بن عمه ليث روع … شديد البأس في يوم الطراد
يطوفون البلاد فيملكوها … ويسبون العدا أهل العناد
ويمحو للعجم من كل طامع … بأرماح وأسياف حداد
وقبرص والجزائر يملكونها … وبدريس الخزاعي والاعادي
شبيب التبعي بالشام يقتل … وتترك جثته فوق الجماد
ومركوس بن نازب سوف يقتل … بسيف دياب قهار الاعادي
كذا فرمند مع مصر المدية … ستخرب دورها بين البلاد
يمروا على الزناتي بارض تونس … يذيقوه المنيه في الجلاد
وبعده يظهر الاشطان ظالم … خبيث الاصل من قوم شداد
بنو أيوب يظهر بعد منه … يقيموا الدين من بعد الفساد
ويظهر ابن عثمان المساند … بأرض الشرق يحكم في العباد
ملوك الارض تخشى من لقاهم … لان جيوشهم مثل الجراد
عداد ملوكهم عشرة وعشرة … وتسعة بعدهم دون ازدياد
ويظهر تمرلنك من الاعاجم … وجنكز خان من قوم كراد
ويظهر بعده ملكا قويا … يثير الحرب في كل البلاد
طويل الجسم ذو همة علية … له اسمين من ظاهر وباد
يقيم السيف في الاسلام عمدا … ويجري الدم في كل البوادي

ويظهر فارسا يدعى قطية فعشر سنين يظلم للعباد
ويظهر بعده الدجال حقا فتتبعه الورى أهل الفساد
يطوف الارض من شرق وغرب ويفعل معجزات فى البلاد
ويظهر ضده المهدى سريعا ويسطع نوره فى كل واد
فهو عيسى المسمى بابن مريم فيقتله ويملك فى العباد
وبعده دبة تظهر سريعا فتفعل معجزات فى البلاد
ونار من عدن تظهر وتطلع فتشكوا الناس من هول النكاد
وبعده الشمس تظهر من مغيب وتزداد الخلائق فى الفساد
ويأجوج ومأجوج جميعا تحيط رجالهم كل البلاد
فلا نهر الفرات لهم يروى ولا سيحون والدجلة المداد
ويمشى الارض موتا ياكليبا وجوع وقتل فى كل العباد
ونيران تعم الأرض طرا على أعلى الجبال وكل وادي
وبعد يغتاق باب المراحم وباب الشر يفتح باقتصاد
فلا يصعد ولا يأتى جواب فذاك الوقت تحترق العباد
وبعده يظهر ريح من جهنم وينفخ ريح من أقصى البلاد
يموت الخلق منه ليس يبقى سوى الرحمن خلاق العباد
وبعده يظهر الديان حقا إله العرش ديان العباد
فعندي الجفر قد أخبر مؤكد بما أخبرتكم دون ازدياد
واسمع يا أمير كليب منى حقايق قصتى وافهم مرادى
ولاتفرح على حالى وضعفى اجرنى ياملك واطلق قيادى
وَاَعلم يا أمير انى عتيقك مدى عمرى الى يوم المعاد

قال الراوى فلما فرغ الملك تبع من هذه الملحمة وسمع كليب مافيها من الاخبار المتأخرة والمتقدمة تعجب غاية العجب وقال لست اعفو عن قطع راسك واخمادا نفاسك لانك افتريت وظلمت وتعديت ثم أجابه بهذا القصيد على سبيل التهكم والتهديد

يقول كليب قهار الاعادى كلام اشد من ضرب الهناد
انا قد صرت هذا اليوم حاكم اتانى السعد مع نيل المراد
ايا تبع الينا جيت عاجل قتلت ابى واخربت البلاد
ابقيت قيمة للامارة وقد البستهم ثوب السواد
هتكت الارض ياتبع بفعالك وصيرت الانام لك اعادى

جملت رجالنا تشبه نسانا   واذلت الامارة فى البلاد
فوالله ثم والله ثم والله   الاله خالق كل البوادى
فلست براجعا عن قطع رأسك   ولو ملكتنى كل البوادى

قال الراوى فلما فرغ الامير كليب من كلامه وفهم تبع فحوى قصده ومرامه قال بالله عليك أيها السيد المحترم أن تعفو عنى وتجعلنى من جملة الخدم فقال لابد من قطع رأسك بامهان ولكن أسألك كيف قتلت أبى غدرا او بالميدان فقال تبع إذا كان لابد لك من ذلك يا فارس المعارك فامهلنى ساعة حتى أخبرك عن سبب قتل أبيك وأتودع من هذه الدنيا قليلا ثم أنه أبدى حزنا وعويلا وأشار يقول من فؤاد مبتول وعمر السامعين يطول

قال الملك تبع حسان   ظلمنى دهرى دون الناس
يا ابن ربيعة يا مخدوم   أنت مخدوم أمير شديد الباس
طويل الباع بيوم نزاع   عنيف شجاع ثقيل الراس
تسألنى عن قتل أبيك   فكل بناية لها أساس
فلما جئت لارض الشام   أتى للقانا كل الناس
اتانى كل اكابر قيس   وكل أمير لديه باس
إلا أبوك فقد خالف   ولم يفعل كباقى الناس
فزاد الغيظ بوسط القلب   أمرت بشنقه للحراس
وهذا بأمر الله مكتوب   فوق جبينه بأعلى الرس
وأنا بقيت بهذا اليوم   وحيد فريد بلا ايناس
أريد العفو عما جنيت   بحيات عمك مع جساس
أنى كنت زعيم القوم   وحكمى نافذ بين الناس
فلما أتانى وعد الله   بطل العزم وظنى خاس
دهتنى الجليلة بالحيلة   وغابت عنى كل الناس
فهذا أمر الله محتوم   وأمره نافذ فوق الراس

قال الراوى فلما فرغ تبع من هذا الشعر والنظام قال له كليب لابد من قتلك بحد الحسام حتى ترتاح الناس من شرك وتأمن عاقبة غدرك ثم ضربه بالسيف على عاتقه خرج يلمع من علائقه فوقع على الارض قتيلا وفى دمه جديلا فلما رأته الجليلة قدمات زادها الافراح فنهضت واعتنقت ابن عمها وقبلته وقالت له مثلك تكون الفرسان يا ليث الميدان فشكرها كليب وهناها بالسلامة وزاد فى اعزازها وكرامتها ثم خرج من ذلك المخدع وأعلم الفرسان بقتل الملك تبع وقال لهم لقد بلغنا المراد فكونوا على حذر واستعداد لامتلاك البلاد . فقالوا نحن بين يديك ولا نبخل

بار واحتاط بالملك ثم وضع رأس الملك على رأس السنان وخرج بالابطال والفرسان وطافوا في شوارع البلد وهم ينادون من رجدوه بالسيف المهند وهمية ولو عزم فرد انسان هذه رأس سيدكم حسان فقد أعدمناه وقتلناه وأرحنا الناس من شره وبلاه فمن عصى أهلكناه ومن أطاع أبقيناه في قيد الحياة وله منا الامان على طول الزمان قال الراوى فكانت أكثر أهل الشام تكره التبع لظلمه وجوره وتعديه فلما كفوا شره فاجتمعت العساكر والاعيان وطلبوا من كليب الامان وانهم يكونوا من جملة الرعايا والاعوان على طول الزمان فأجابهم كليب الى ذلك الطلب ورفع عنهم السيف الاحدب وأوعدهم بالجميل والخيرات وسامحهم بالخراج عشر سنوات فدعوا له بطول العمر ودوام العز والنصر ثم اجتمعت بنو مرة وأكابر العشائر وأعيان الشام وقواد العساكر والبسوه تاجا مرصعا بالجواهر ثم أجلسوه على كرسي المملكة وجلس بقربه وزير الميمنة وهو نبهان وزير تبع حسان ووقفت أمامه الحجاب والامراء والنواب فحكم بينهم بالعدل وعامل الناس بالجود والكرم وأنصف المظلوم ممن ظلم وفي الليلة الثانية اجتمعت سادات القبيلة وزفوا اليه ابنة عمه الجليلة وقد كنا ذكرنا في أول السيرة عن أوصاف هذه السيدة الخطيرة وما احتوت عليه من الحسن والجمال والفضل والكمال فاعتنقا اعتناق الاحباب وزال عنهما الغم والاكتئاب وباتا في حظ وانشراح الى وقت الصباح وفي اليوم الثاني وردت اليه المدائح والتهاني واشتهر ذكره في البلدان وهابته ملوك الزمان

قال الراوى وكانت الجليلة قد طلبت من كليب أن يبني لها قصرا من اجل التصور وينشئ فيه بستانا يحوى جميع أنواع الزهور فأجابها الى ذلك ووعدها ببناء قصر لا مثيل له في الممالك ثم جمع الوزراء والاعيان واعلمهم بذلك الشأن فقال له الوزير نبهان اعلم يا ملك الزمان انه لا يوجد في هذه الايام من يقدر ان يبني لك ذلك القصر طبق المرام سوى معمر الحمصي بل انه ملك مصر لانه ماهر ببناء القصور الحسان وهو الذى عمر قصر تبع حسان فأرسل كليب واستدعاه اليه ولما حضر بين يديه قبل الارض وسلم عليه فقال له كليب أريد منك أن تبني لي قصرا من القصور الحسان لا يوجد مثله في جميع المدن والبلدان ويكون له جنينة جميلة المنظر تحتوى على جميع الاشجار والخضر فان اتقنت صنعته نلت المرغوب ونلت المقصود والمطلوب فأجابه معمر بالسمع والطاعة وباشر في بناء القصر من تلك الساعة

قال الراوى ولما اشتهر قتل تبع في اليمن واتصل الخبر الى صنعاء وعدن ذهلت الرجال وكثر القيل والقال وكان للملك تبع ابن عم من الامراء الشداد يقال له عمرو ازاده وكان شديد البأس قوى المراس فلما بلغته تلك الاخبار صمم على غزو بنى قيس وعول على جمع العساكر والجنود وفرق الرايات والبنود وركب في مائة ألف مقاتل وجد في قطع المراحل قاصدا بلاد الشام بكل سرعة ولما وصله وبلغ كليب هذه الاخبار استعد للحرب والقتال وخرج لقتاله بالفرسان والابطال ولما التقى الجيشان أمر كليب أن تتقدم الفرسان الى ساحة الميدان واخذ يشجعهم بكلام على القتال

الاخصام فهاجت الشعوب وتبادرت للضرب والطعان وكان الامير كليب فى أول العسكر كأنه الاسد الغضنفر وعلى رأسه البيارق والرايات والصناجق ثم التقت الرجال بالرجال واشتعلت بين الفريقين نيران الحرب والقتال حتى عظمت الاهوال فلله در الامير كليب بطل الابطال وما فعل فى ذلك اليوم من الفعال فانه هجم هجوم الاسود وانطبق على العساكر والجنود بقلب أقوى من الجلمود فبارز فرسان الكفاح وخطف المهج والارواح وما زال الدم يسيل والرجال تقتل إلى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فتفرقت العساكر بعضها البعض وباتوا فى تلك الارض وعند الصباح رجعوا إلى الحرب والكفاح فبرز الامير عمران إلى ساحة الميدان فصال وجال وطلب براز الابطال فأراد كليب أن يبرز اليه فمنعه حجابه وقالوا أيها الملك إن فينا أبطالا وفرسانا تستطيع أن تحاربه ثم برز اليه فارس من الصناديد يقال له ميمون بن الرشيد فاستقبله الامير عمران بقلب أقوى من الصوان ولم تكن ساعة من الزمان حتى استظهر عمران بطعن ميمون بالرمح فوقع قتيلا فى دمه جديل فأخذ سلبه وجواده ثم قوم سنانه وتقدم الى معركة الحرب وقال أين فرسان الطعن والضرب اليوم تبان الفروسية وتعرف الشجاعة الحقيقية من النفسية فبرز اليه آخر فأذاقه الموت الاحمر وما زالت تبرز اليه الفرسان وهو يجندلها على بساط الرمال حتى قتل سبعة من الابطال وكانوا من أكابر السادات قد اشتهروا فى الحروب والغارات واستمر القتال على هذا المنوال مدة تسعة أيام وهم فى براز واقتحام وفى اليوم العاشر برز الامير مرة لقتال عمران ولما صار فى الميدان تقنطر عن ظهر الحصان فأدركه ابنه همام وجاء به إلى الخيام وعند ذلك برز إلى عمران الامير جساس وصدمه بقوة قلب وشدة بأس غير أنه لم يفلح فى قتاله وارتجع عند المساء عن حربه ونزاله فوقعت هيبة الامير عمران فى قلوب الفرسان والشجعان واستعظم كليب ذلك الامر واشتعل قلبه بلهيب الجمر وقال ما أزيد إلا عمر وفاذا كان الصباح أبرزته فى معركة الكفاح لانه قد طغى وتجبر وقتل منا كل أسد غضنفر وبات تلك الليلة وهو فى غم شديد وقلق ما عليه من مزيد فما أقبل الصباح حتى ركب كليب الحصان واعتقل بالسيف والسنان وبرز إلى الميدان لقتل الامير عمران الذي برز ذلك اليوم وهو ينادى أين الابطال أين الصناديد لا يبرز إلى الا كليب المحتال الذى قتل تبع بالغدر والاحتيال فما أتم كلامه حتى صار الامير كليب أمامه وصدمه صدمة منكرة أشد من صدمات عنترة فقال له عمران من تكون من الفرسان فقال اعلم أيها التيس أنى ملك بنى قيس . فسوف ترى منى ضربا يقد الحديد ويذهل أبصار الفرسان الصناديد فقال أنت مسخرة النسوان وأحقر من كل دليل مهان ولو كنت من الفرسان لما غدرت تبع بالحيلة مع ابنة عمك الجليلة فقال كليب أما علمت بأقرانك بأن الرجال عند أغراضها تسير ان إنى ما قتلت الملك تبع إلا لغدره وقلة حياه وكثرة شره فانه قتل والدى وكان عونى ومساعدى وهذا الذى أوجب ذلك واليوم ألحقك به وأسقيك كأس المهالك فلما سمع عمران من كليب هذا الكلام قد اشتد بينهم الخصام فكانا تارة يتقدمان وتارة

يأخذ ركابهم أسد ازدرغام فانبهرت من فعاله الفرسان وأحدقت اليه الابصار من اليمين واليسار واستمر على تلك الحال الى قرب الزوال حتى تعجب همام من ثبات كليب أمامه لأنه كان يظن أنه لا يوجد في الدنيا من يقدر أن يقف قدامه وطعنه بالرمح قاصدا اهلاكه وفناه فخلى كليب من الطعنة فراحت خائبة بعدما كانت صائبة ثم هجم عليه كليب وقال خذها يا همام من يد فارس الميدان وليث الحرب والطعان وضربه بالسيف على عاتقه فخرج يلمع من علائقه فوقع على الأرض قطعتين وحاز عليه غراب البين وبعد ذلك حملت على بعضها العساكر وتقاتلت بالسيوف والخناجر فكثر القتل والجرح وجرى الدم وزهقت النفوس والأرواح من ضرب السيوف وطعن الرماح وكان بعد قتل همام ان تضعضعت من عساكر اليمن الاركان فولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار فتبعهم كليب بالعساكر وقتل منهم أوفى من عشر آلاف نفر أبوابه وشبابيكه من ذهب ورصعها بأنواع الجواهر المنتخب ثم نقل ابنة همام الجليلة اليه كانت قد ولدت له سبعة بنات مثل البدور الطالعات فربتهن بالدلال والعز والاقبال فاتفق ذات يوم من الايام أن مرة زار ابن أخيه كليب جماعة من بني الاعمام وبعد أن دار بينهما الكلام قال مرة يا ابن أخي لقد كثرت عليك الرجال والاغنام بسبب كثرة المواشي والازدحام فمرادي الآن أن أرحل عنك بأنعامي ورجالي وباقي اموالي ولا شك انا بهذا الرحيل والانتقال تحسن بنا الاحوال ونحصل على راحة البال فقال كليب افعل يا عمي ما تحب وانزل في أي مكان تريد من قريب الديار فان البلاد بلادنا ونحن ملوك الاقطار. قال الراوي فرحل مرة بقومه ورجاله ونوقه وجماله ونزل في وادي كثير النبات يبعد مسافة تسع ساعات وكان مرة قد شاخ وكبر في العمر فأقام مكانه الامير جساس على بني بكر فكان يحسن اليهم ويحكم بالانصاف عليهم فشاع ذكره واشتهر أمره فكانت تقصده الشعراء والفرسان وهو يكرمهم ويخلع عليهم الخلع الحسان ولم تكن الا سنة من الزمان حتى صار يحكم على مائة وعشرين ألف عنان وكان هذا ما كان من أمر جساس وأما كليب الفارس الدعاس فانه كان عند سنوح الفرص يخرج الى الصيد والقنص وكان على مثل هذا مدة ولانه كان لم يخف قط سطوة أحد وكان له عدة اخوة كل منهم مشهور بالمروءة والنخوة من جملتهم المهلهل الملقب بالزير وكان جميل الصورة كانه البدر وهو صاحب هذه السيرة والوقائع الشهيرة وكان في تلك الايام ابن عشرة أعوام وكان في الشجاعة كسبع الغاب لا يخاف من أحد ولا يهاب فصيح الكلام منعكفا على شرب المدام وسماع أصوات الانغام ينشد الاشعار البديعة ويأتي بالمعاني النفيسة الرفيعة وكان كليب لحبه اياه لا يعترضه بامر من الامور بل يقابله بالفرح والسرور وكان الزير يتباهى بشجاعته أمام أخيه وانه لا في الفرسان من يضاهيه فقال له كليب في بعض الايام أراك يا أخي مشتغلا بالملاهي وشرب المدام. فقلبك خالي من الهموم ولا احزان كانك لا تعلم من تقلبات الزمان فمن الواجب أن تحسب

حساب العواقب لان الدهر دولاب سريع الانقلاب إذا أضحكك يوما أبكاك سنة وليس له على أحد جميل ولا حسنة فقال المهلهل مادمت فى الوجود فانا فى خفر لا أحسب حساب للغير ولكن ان جار عليك الزمان وأحاطت بك الحساد والخوان فانا أردعك الاتقاء وأجندل أمامك الابطال أنا الاسد الغالب فارس الكتائب والمواكب أنا قهار الاعادي إذا نادى المنادي فتبسم كليب من كلامه وتركه منشغلا بشرب مدامه وارتد راجعا إلى الديوان وقد راق له الزمان

قال الراوي وقد اتفق بعد ذلك بأيام أن اولاد مرة قد اجتمعوا مع بعضهم فى الخيام وضربوا تختا من الرمل ليروا ما يحل بهم وما يجرى عليهم ويصيبهم فبان لهم أن الامير جساس لابد أن يقتل الامير كليب ويظهر الزير ويأخذ ثاره بدون ريب ويقتل منهم كل أمير وجبار بعد وقائع تستحق الاعتبار فاعتراهم القلق والكدر وأجمع رأيهم على أن يقتلوا الزير قبل أن يكبر وكان من جملتها وغنم غنائم عظيمة لاقدر وقيمة ومازال تابعا آثارهم حتى دخل ديارهم فخرجت اليه أكابر البلاد طالبين العفو والامان فأجابهم كليب الى ذلك الشأن وارتد راجعا إلى الشام بعد أن رتب عليهم خراجا يدفعونه فى كل عام فدخل القصر بالعز والنصر واجتمع بابنة عمه الجليلية وباقى سادات القبيلة وطاب له الوقت وزال عنه المقت ثم بعد ذلك بعشرة شهور وتم له القصر المذكور فكان من عجائب الزمان وغرائب الاوان لانه كان فى غاية الاتقان ولا سيما البستان فانه كفردوس الجنان فيه من جميع الاشجار والفواكه والاثمار والمياه الغزيرة والزهور الكثيرة حتى فرح كليب فيه فأنعم على بانيه وفرشه بالرياش الفاخر الذى يبهر النواظر ويحير العقول والخواطر جمل الامير سلطان ابن مرة فأنشدهم يقول :

على ماقال سلطان بن مرة ... مبيد الضد فى يوم النزال
تبين عندنا جساس يقتل ... كليب بن ربيعه ولا يبالى
ويأتى الزير بعده يا أمارا ... يشتت جمعنا بين الجبال
ويمحى ذكرنا من كل أرض ... ويفنينا ويسبى للعيال
هلموا نقتله ونبيد اسمه ... ونسلم من تصاريف الليالى
فيلزم أن نروح إلى الجليلة ... ونعلمها على ماقد بدالى
فهذه أختنا ليست غريبة ... فتسعفنا على نيل الامانى
جليلة عارفة فى كل فن ... وتعرف بالزايارج والرمال
فقوموا كلنا نذهب اليها ... ونقضى شغلنا قبل الوبال

فلما انتهى سلطان من هذا الشعر والنظام وسمعه الامير جساس ومن حضر من أبناء مرة الكرام فاستحسنه جميع القوم وركبوا من ذلك اليوم وخرجوا من القبيلة قاصدين أختهم الجليلة وكانوا ثلاثة وأربعين ولدا ذكر كل منهم أسد غضنفر ولما وصلوا اليها دخلوا وسلموا عليها فتلقتهم

بالترحاب والاكرام وأقاموا عندها ثلاثة أيام ثم قالوا لها نحن فرسان وقد ظهرلنا فى الوطن بلا معروف بظاهر الزير شأن وأى شأن فيقهر الابطال والشجعان ونهب ملوك الزمان ويعاملنا بالجور وسوء الادب وقد حط منزلتنا بين ملوك العرب فتشاورنا لى أن نقتله قبل أن يكبر وأتينا اليك لنعلمك بالخبر فما هو رأيك فى هذا الامر المنكر فقالت فاذا قتلتموه فيكف الامر ويأخذ بثأره منكم فيزداد الشر ومادام الامر كذلك فانا أجعل كليب يلقيه فى المهالك ثم انشدت تقول

مقالات الجليلة بنت مرة ... تعالوا إخوتى اصغوا لقولى
تريدوا قتل أبو ليلى المهلهل ... أخوه كليب خاله مثل غول
ومن خلفه غدير وزبرقان ... سباع الغاب فى اليوم المهول
ومت واربعون بنو أبيه ... يجوكم راكبين على الخيول
وتركب خلفهم كل الفوارس ... فوارس تغلب مثل الفحول
ولكن سوف أرميه بحيلة ... تحير كل أصحاب العقول
ويبقى كليب يقتله بيده ... وبحيلة طرحا على السهول

قال الراوى فلما فرغت الجليلة من شعرها ونظامها شكروها إخوتها على حسن اهتمامها وركبوا ظهور خيولهم وراحوا فى حال سبيلهم وصبرت الجليلة الى وقت العصر حتى حضر كليب الى القصر وكانت قد شقت ما عليها من الثياب وظهرت الغم والاكتئاب فلما رآها كليب على تلك الحال تغيرت منه الاحوال لانه كان يحبها محبة عظيمة ويودها مودة جسيمة لحسنها وجمالها وغنجها ودلالها ولاسيما أنها ابنة عمه ومن لحمه ودمه فقال لها ما لك ياجليلة على أرك فى هذه الحالة الوبيلة فبكت من فؤاد مبتول وأجابته بهذه الابيات تقول

مقالات الجليلة بنت مرة ... كليب أنت قيدوم السرايا
وتحكم فى المقابل والعشائر ... وفى كل المداين والقرايا
وحكمك نافذ فى كل أرض ... وتخدمك الملوك مع الرعايا
وانى بنت عمك ياسمى ... ومثلى ليس يوجد فى البرايا
أتانى الزير أخيك فى غيابك ... يريد فضيحتى بين الصبايا
قبضت عليه من عنقه فولى ... وراح بسرعة وسط الخلايا
ألا ياأمير قلى كيف تعمل ... فاقتله وأورده المنايا
وان لم تقتله حالا فانى ... أروح اليوم من وسط الخبايا
تبقى الناس تشتم فى قفانا ... وتبلى بالدواهى والرزايا
وهذا الامر لا يصلح لمثلك ... كريم الاصل عقار المطايا

فاقتله واخلص من بلاه ولا تخشى آثام ولا خطايا
فقتل الزير أصوب من حياته لانه خائن دون البرايا

فلما سمع كليب منها هذا الشعر والخطاب غاب عن الصواب وأرسل أحد الرجال ليأتيه باخيه الزير في الحال فذهب الرسول واستدعاه فامتنع عن الحضور لانه كان في ذلك الوقت يشرب الخمر مع جلسائه وهم في فرح وسرور فرجع الرسول الى الامير وحدث الامير كليب بذلك الخبر فازداد كدرا على كدر وأرسل الرسول اليه ثانيا فلما حضر فعند ذلك سار كليب اليه وقد عظم الامر لديه فلما دخل عليه نهض الزير على قدميه فضربه كليب وشتمه وضربه حتى آلمه ثم نزع عنه ثياب الحرير حتى صار مسخرة للكبير والصغير وأرسله مع الرعيان ليرعى النوق والفصلان ورجع الى الجليلة وأعلمها بما فعل مع أخيه المهلهل فلما رأت أنها لم تبلغ الامل زادت غما وكدرا واخذت تدبر على هلاكه بحيلة فقالت ذات يوم إلى كليب أما تخشى من الفضيحة والعيب أما في رأسك نخوة وناموس من جهة أخيك المهان المعكوس فقال لها ما معنى هذا الكلام وما هو المراد بهذا التوبيخ والملام قالت بلغني من بعض الغلمان الذين يدورون مع الرعيان بانهم فعلوا به القبيح وأنت جالس مستريح ليس عندك علم ولا خبر وقد تحدثت فيك جميع البشر ثم شرحت له واقعة الحال بهذا الشعر والمقال

تقول الجليلة يا محظوظ أتاني علم بحال أخوك
وشاع العلم بكل القوم في الناس مع الصعلوك
وصار الناس بقيل وقال وكل البدو عليك ضحوك
أنت أمير كبير القوم وقيس وحمير قد هابوك
فكيف يكون أخيك الزير وقومه من أجله يجفوك
كيف بقالك رأس يقوم والرعيان لقد عابوك
فاقتل أخيك بسيفك وإلا قومك قد لاموك
فكل العالم تحكي فيه يقولوا الزير بقي مهتوك
فهذا الاخ ومثله أف بيوم الضيف فما عازك
أخاف يقول كل أهله مثله والعالم يشكوك

فلما فرغت الجليلة من هذا الشعر ووقف كليب على حقيقة الامر التهب فؤاده واضطرب من شدة الغيظ والغضب وأخذته الحمية وعصفت في رأسه نخوة الجاهلية وقد صمم النية على أن يقتل أخاه ويسقيه كاس المنية فقالت الجليلة لا تقتله بيدك يا أمير لان كلام الناس كثير فالاوفق أن تأخذه الى وادي العباس وهو مكان منقطع عن الناس كثير النمورة والاسود فتلقيه هناك وتعود فتفترسه الوحوش والآساد وتتخلص من كلام العباد فقال هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب

ومن وقته ركب ظهر جواده واعتد بآلة حربه رجاله واستدعى الزير اليه فلما مثل بين يديه قال له مرادي أن أذهب لاصطياد الفهود وأريد أن لا تدعني ما بقي من العرس أن تسير أمامي وتمشي قدامي فامتثل أمره وسار وجدّ في قطع البراري والقفار حتى وصلا إلى الوادي المذكور وهو مكان مهجور وما زالا سائرين حتى صارا في وسط ذلك المكان واذا بجواد كليب قد شخر ونخر وضرب بحافره الارض وتأخر واذا بسبع من بطن الوادي قد دنا فلما رآه الامير كليب هجم عليه بالجواد ورماه بالرمح فأخطأه فتتبعه الاسد فانهزم كليب من أمامه خوفاً من العطب فلما رأى الزير أن أخاه قد هرب تقدم نحو الاسد بقلب أقوى من الحجر وطعنه بخنجر كان معه فقده قسمين وأخرج قلبه فأدركه وصاح على أخيه ارجع يا أخي ولا تخاف فرجع كليب وهو يتعجب من أفعال الزير فنزل عن ظهر الحصان وقبله بين عينيه وصنع القاه وزال عن صدره من يكون له أخ مثل هذا البطل فان عاش هذا الغلام يكون من عجائب الايام ثم رجع هو واياه الى الدار وأخبر الجليلة فقالت لماذا رجعت فأخبرها بواقعة الحال وكيف أنه قتل الاسد وقال الذي يكون مثله لا يستاهل القتل بل يجب له الاكرام ثم أشار اليها يقول وعموم السامعين يطول

يقول كليب من صفوة ربيعة ... شديد البأس وعزم رجيح
كريم الاصل سلطان متوج ... وفي طرق الكرم ماني شحيح
ألا يا بنت عمي يا جليلة ... ألا يا صاحبة الوجه المليح
نظرت اليوم من سالم فعالا ... يشيب لهولها الطفل الطريح
أتاني السبع من خلفي وزمجر ... فصار الزير من خلفه يصيح
فكر السبع نحو الزير هاجم ... فعاد الزير واقف مستريح
ولما قد دنا منه وقارب ... فغار عليه كالسبع الجريح
طعنه الزير بالخنجر فقده ... والقاه على الغبرا طريح
فلما شفت هذ الفعل منه ... علمت بأنه فارس رجيح
رجعت اليه من فرحي سريعا ... وصحت عليه في قول مليح
مهلهل يامهلهل يامهلهل ... فأنت اليوم أولى بالمديح

قال الراوي فلما فرغ كليب من شعره زاد كمد الجليلة فقالت لكليب وهي تبكي مادام الامر كذلك فاني سأذهب نهاراً غداً الى بيت أهلي وأعيش عندهم بعيداً عن الزير حتى تقتلوه لأني لست آمنة على نفسي اذا بقيت عندك لانه لا بد أن يغدرني لان عيونه تحمرّ عليّ وأنت بعد كل هذا ليس لك نخوة ولا ناموس فقال لها اذكري الله يا جليلة ودعي من هذا الامر فكيف أسمح بقتل أخي وهو من لحمي ودمي ولا سيما أنه شديد البأس ومن أشجع الناس فاذا قتلته فافتضحت بين العرب وتحدثت بي الناس فقالت لا بد من قتله على طريقة غير هذه وهو أن تأخذه

الى بئر صخر عند السباع وتدليه بحبل على نية أنها تقتله في الماء وحينئذ تقطع الحبل فيقع في البئر ويموت ولا يعلم به أحد وأنشدت تقول

فقالت الجليلة بنت مرة ودمعي نزل وجرى في غزاره
أخوك الزير ما هو غير فالح يلاعب مع وليدات الصغارة
أخوك الزير شوفه مثل ضبع كما المجنون يلعب بالحجارة
ويحه ما يشوف الخير دائم كأنه شبه ضبع في مغاره
فقتل الزير أحسن من حياته ولا تملك ما بين الاماره
اقتل هذا ردي لا يعيش عمره داهيه في حسابك خساره
أنت ابن عمي نور عيني وشوري لك ما هو بشاره
فقالت الجليلة بنت مرة وناري عالية من ذي الشراره

قال الراوي وكان كليب يحب الجليلة بنت مرة محبة عظيمة وكان لا يخالفها في أمر أبداً ولما سمعت عليه وافقها على ذلك إكراماً لخاطرها فبعد فترة في الايام ركب جواده وأخذ في صحبته أخوه الزير ومائة من الفرسان وسار بهم الى بير صخر عند السباع وعند وصولهم قال كليب يا سالم خيولنا قد عطشت الآن فأردنا أن تنزل وتسقيها وأنت تنزل الى البير فتملأ لنا كم دلو فقال الرحب وكرامة يا أخي ثم دلوه في حبل وأخذ يملأ الادلية وهم يملؤون ويسقون حتى امتلأ الحوض الذي على باب البير وجاءت الخيل ليسقوها فتزاحمت على بعضها البعض وأخذت بالصهيل والازدحام فعجز كليب وجماعته عن ردها عن بعضها البعض فسمع الزير وهو في البير صهيل الخيل وجميرها فصرخ عليها بصوت مثل الرعد القاصف حتى ارتجت منه الوديان واضطربت منه قلوب الفرسان فجفلت الخيل وتأخرت وانقطعت عن بعضها فلما رأى كليب ما فعله أخوه سالم تعجب غاية العجب وندم على ما فعل وفي الحال أخرجه من البير وازدادت محبته عنده ورجع به الى الديار فلما رأته الجليلة غابت عن الوجود من شدة الغيظ فقالت لكليب بارك الله فيك أهكذا كانت المفارقة فقال لها وحق الله يا جليلة من كان هذا الفعل فعله يحرم قتله ثم حدثها بما جرى وكان وانشد يقول وصار السامعين يطول

يقول كليب من شعر تقص قصيد ما نظمه قط قائل
جليلة اسمعي يا بنت عمي أرى عقلك بهذا اليوم زائل
أأقتله ليشفي اليوم قلبك ومنه قد نظرت أنا فعايل
سباع الغاب هابت من لقاه كذاك الخيل صبرها جفايل
ثلاث الوف يلقاهم بصدره من الشجعان فرسان القبايل
تقولي اقتله وارتاح منه فقولك جهل ما هو قول عاقل

فاني لا أبيعه بألف مثلك ولو مهما جرى منه فعايل
أراك تطلبي قتله مريعا فقولك عنه ليس له دلائل
فقولك ياجليلة قول باطل فحاشى الزير ان يتبع رذائل
فقلي من كلامك لاتعيدي أيا بنت الاماجيد الاصايل

فلما فرغ كليب من شعره ونظامه وفهمت الجليلة فحوى كلامه أغتاظت في الباطن ولكنها أظهرت له السرور وقالت إن قصدي امتحانك لارى هل أنك تحبه أوتبغضه لانه فصيح اللسان ومن أشد الفرسان وأخذت تمازح كليب بكلام النفاق حتى صفا قلبه وراق ثم أنها صبرت مدة أيام وبعد ذلك أظهرت على نفسها أنها مريضة فرقدت في الفراش وقالت لكليب أن لي حاجة إليك ولا يقدر عليها سوى أخوك الزير فقال لها وما حاجتك قالت أريد كاسين من حليب السباع لانه يقوى الاعصاب وأنا في غاية الضعف والعنا وقد وصفت لي دايتي هذا لاجل المرضى وقالت إن هذا الدواء يأتي لي بولد ذكر

قال الراوي فصدق كليب مقالها وأرسل في الحال يطلب الزير فدخل وسلم عليه وقبل يديه وقال بقلب جسور أنا عبد المأمور ولا أخالفك بامر من الامور فاعلمه كليب في واقعة الحال وقال أريد منك ياأخي أن تأخذ هذا الحق الصغير وتملاءه من حليب لبوة فقال على الرأس والعين لكن يا أخي أعطني سيفا أتسلح به خوفا من هجوم السباع فقال كليب للجليلة أن تعطيه السيف فقالت الا تستحي يازير أن تطلب سيف وأنت في هذه الشجاعة فخجل وأطرق رأسه وسار من وقته وساعته وقد تأكد عنده أنها تريد هلاكه فسار وهو سائر يسير حتى وصل غابة كبيرة وكثيرة الاشجار والصخور وليس معه سوى سكين وعصا فبينما هو ينظر من خلف ومن قدام وإذا بأسد قد ظهر وهو هائل المنظر وعيناه تقدح بالشرر

قال فلما اقترب منه قبض عليه الزير من ذيله ونشله بقوة ساعده وزنده ولوحه بيده مثل المقلاع وخبطه بالارض فرض عظامه ثم نزل عليه بالعصا حتى قتله وأراد أن يحز رأسه وإذا بلبوة أقبلت عليه ومن خلفها سبعة أشبال فلما رآت ذكرها قدمات أحمرت عيناها فأراد الزير أن يلاعبها قليلا وقد علم أنها مغتاظة فحول نفسه خائفا منها فركض من أمامها فتبعته وكان قد وصل إلى شجرة كبيرة فطلع إليها وبقيت هي تنظر إليه وتهمهم ثم أقبلت أشبالها يرضعون من ثديها فوجد الزير لها ثدي مثل الحق فقال هذا الذي طالبه أخي مني ثم أراد النزول فقال إن نزلت تفترسني من رجلي ثم رمى نفسه من الشجرة فجاء راكبا عليها فقبض عليها من رقبتها والصق رجليه على بطنها بقوة وعزم شديد حتى لم يعد لها سبيل أن تتحرك من مكانها ثم سحب السكين وهو يضحك عليها ونحرها كما ينحر الجزار الغنم وملا الحق من حليبها وقطع رأسها ورأس الاسد بعد ربط أعناق أشبالها بالحبال وساقهم أمامه كالكلاب فلما أقبل إلى الحي ورآته فرسان العرب وأصحاب المناصب

والرتب استعظموا ذلك لانهم رأوا امراً عجيباً وعند وصولهم الى القدام خرجت الجليلة الغجة فطلت رأسها من الشباك فرأت الزير ومعه رؤوس السباع فالتهب فؤادها بالغضب لانها كانت تظن انه يموت ويهلك ثم دخل الزير على الجليلة وكان كليب جالس معها فسلم عليهما ورمى الرؤوس امامهم وقدم الجرو لامرأة اخيه وقال لها هل تريدين شيئاً آخر حتى أقضيه فقالت بارك الله فيك يا نسيب الرجال فانك تستحق المدح والثناء وكان كليب لما رأى رؤوس السباع تعجب من قوة قلبه وشدة بأسه وقال له كيف صارت والى اين وصلت فانشد الزير يقول :

يقول الزير قهار المواكب ... رماني الدهر في كل المصايب
فلا تسمع أخي قول الاعادي ... لان الضد شوره ليس صائب
يشور عليك في رأي وخيم ... ليسقونك أخي كاس المعاطب
فأهل العقل لا تسمع لا شي ... لان كلامهم لاشك كاذب
فاعلم يا أخي فيما جرى لي ... بهذا اليوم في وادي الثعالب
وجدت السبع في وسط الغاب دائر ... كانه جائع للصيد طالب
فلما شافني حالا أتاني ... وكشر عن سنانه والمخالب
فصحت عليه صيحة جاهلية ... فقدم يا أخي هاجم وطالب
حززت بخنجري رأسه فأهوى ... على وجه الثرى بالارض قالب
أتتني بعده لبوه مغيرة ... فلما شفتها وليت هارب
رأيت شبالها سبعة وراها ... فداروا لحقي من كل جانب
فلما شفتهم جاؤا لنحوي ... طلعت لشجرة ذات الشناغب
فداروا حولها فرميت نفسي ... فصرت لظهرها بالحال راكب
حززت لرأسها ورميت حتى ... حليبا بعد أن نلت المآرب
ورأس السبع واللبوة قطعته ... علامه للاعارب والاقارب
وسقت ولادها السبعة أمامي ... فلما صرت في وسط المضارب
فلاقتني جميع رجال قومي ... وحيتني الاقارب والاجانب
وهذا ما جرى لي في نهاري ... وما قاسيت من هول المصايب

قال الراوي فلما فرغ الزير من شعره ونظامه واخوه كليب مع الجليلة يسمعوا كلامه فتعجبت الجليلة من كلام الزير وكيف انه اصح في شعره عليها فقالت في سرها لا بد أن احتال على قتله وبعد ذهابه قالت لزوجها كليب كيف يعرف اني ساعية في قتله ولم يكن عارف بمقاصدي فوالله ان الموت أهون عندي من الحياة فلا بد لي أن اشفي نفسي وأستريح من جوره وخبثه القبيح ثم صارت تصيح وتبكي فقال كليب اخزي الشيطان ودعينا من هذا الكلام الآن وأخذ يلاطف

بخاطرها ويقول لها كم مرة من الامرار أرمينا في الاخطار وهو يرجع سالما كاسبا غانما فقالت الجليلة قرادى أن تسمع مني ماأقول لك لآن ولاعدت تسمع مني غير هذه المرة وهو أن تجعل نفسك مريضا وترقد على الفراش فاذا أتاك أخوك الزير حتى يراك فتقول له أصابك مرض شديد ووصفت لك الاطباء شربة ماء من بير السباع فاذا سمع منك هذا الكلام فتأخذه النخوة والغيرة ويذهب في الحال لقضاء حاجتك فاذا راح لا يعود يرجع أبدا من كثرة وجود السباع في ذلك المكان والكثرة تغلب الشجاعة فيفترسوه في الحال ونكون قد بلغنا الآمال لانني كلما تذكرت أريد أن أخنق حالي والعرض عند الحر غالي ثم أنشدت تقول من فؤاد متبول وعمر السامعين يطول

ألا اسمع لشورى ما أقول لك   على علم الصحيح أنا أدلك
أخوك مهبل ما يسوى السله   ولو قاع الجبال والف تله
فارسله غدا لبير صندل   وان أرسلته لهناك يقتل
وقلبه مترح مدى الدهور   ونحظى بالمقاصد والسرور

فلما سمع كلامها أجابها إلى مرامها وانقطع عن الديوان ومقابلة الناس وجعل نفسه أنه مريض وأقام بالفراش أيام ولما شاع هذا الخبر وعلم الزير بذلك تشوش خاطره لانه كان يحبه محبة عظيمة فدخل عليه فرآه راقدفي الفراش وهو يئن من قلب حزين فقال له سلامتك ياأخي ثم جلس بقربه وهو يتوجع عليه ويتأسف ويسليه بالكلام فقال له كليب اعلم أن مرضي شديدا وأنا خائف منه وقد وصفت لي الاطباء شربة ماء من بير السباع فتى شربتها شفيت من هذا الداء وليس لي غيرك يا أخي مزيا آتني بها لانك ت تحبني أريد منك الآن يافارس الفرسان وقهار العدا في ساحة الميدان أن تذهب الى ذلك المكان وتأتني بالمطلوب والمقصود من بير الاسود فقال الزير ابشر ياأمير ثم نزل من عنده وجاء بقربتين فحزمهما على حمار ثم ساقه أمامه وسار وجد في قطع القفار الى أن وصل إلى بير السباع وكانت السباع في ذلك الوقت سارحة في البر ماسوى سبع واحد كان راقد على حافة البير وهو واضع يديه على فمه وهو نايم فقال الزير في مروءة هذا نائم وعيب على أن أقتله غدرا فتركه وفك القرب وربط الحمار من يديه ورجليه ونزل للبير من الدرج فملا القرب واتفق أنه عند نزوله نهق الحمار فوعى السبع ولما رأى الحمار هجم عليه وضربه بمخلبه فقتله وجعل يأكله فلما خرج الزير من البير ووجد السبع قد قتل الحمار وهو يأكله اغتاظ جدا فوضع القرب على الارض وقصد نحو السبع بقلب كالحديد وقال ياويلك ياميشوم الناصية كيف تأكل حماري أما علمت ببطشي واقتداري فودق ذمة العرب لا بد من تحميلك القرب وكان الاسد قد وثب اليه ونهض على رجليه فالتقاه الزير بالمصاعمر ضربة شديدة وقعت على رأسه فدوخته فوقع على الارض طائشا فجاء الزير بالحبل وجعله لجاما قويا ووضع بردعة الحمار على ظهره ثم وضع عليها القرب وركب الاسد

برجله فنهض مثل العكران فقال له الزير يا قليل الادب الذي يأكل حمير فرسان العرب فهو أولى أن يحمل القرب ثم ركب على ظهره وساقه مثل الكلاب وكان كلما عرج عن الطريق يضربه بالعصا على



رأسه حتى طوعه قهرا وجبرا ثم سار حتى قطع القفار وحتى اقترب من الديار فعند ذلك تذكر ماجرى له مع أخيه والاسد وكيف أنه عاد ظافرا سالما وانجلى الشر عن خاطره فأنشد يقول

يا مهلهل يفق البحرا ... والانس والجن تخشى سطوتي حذرا
قالوا أحرك كلاب الدم فرحا ... شيء العراش ضعيف الجسم والبصرا

فجئته عاجلا حتى أسائله ... والعقل فى حيره مما عليه جرى
قلت له كيف حالك أنت خبرنى ... فقال لى يامهلهل كيف أنت ترى
أريد شربة ماء أطفى بها ظمئى ... من بير صندل يزول الهم والكدرا
فسرت حالا لذاك البير فى عجل ... قضيت قصدى وعدت اليوم مفتخرا
هذي فعال وكل الناس ترهبنى ... حتى الاسود وأهل البأس والامرا

قال الراوى وما زال يقطع القفار ويشد الاسعار حتى وصل إلى الديار وهو راكب على ظهر الاسد غير مبال بأحد لانه بلغ القصد والارب وفعل أفعالا تعجز عنها فرسان العرب ولما دخل الحى جفلت الخيل والجمال و تدهشت النساء والرجال لما رأوا الاسد على تلك الحال وكثرت الضجات وتصايحت الاولاد والبنات وسمع كليب والجليلة من القصر تلك الضجة فطلا وسرحا من الشباك فوجدا المهلهل قد أقبل وهو يسوق الاسد بعصاه فبكى كليب لما رآه وقال لابنة عمه الجليلة هل يجوز بهذا البطل أن يقتل فقد جاء بالاسد وعلى ظهره القرب وهذا أعجب من العجب فاشتعل قلبها والتهب من شدة الغضب حتى كادت تموت قهرا ثم نزل كليب اليه وقبله بين عينيه وقال لله دوك يافارس الميدان وزينة لابطال السجعان وبعد ذلك سأله عما جرى وكان فانشد الزير وقال

يقول الزير ابو ليلى المهلهل ... ودمعى فوق وجناتى سواجم
ذهبت اليوم نحو البير قاصد ... أجيب الماء ياابن الاكارم
وجدت السبع قرب البير راقد ... فقلت بخاطرى إذا السبع نايم
نزلت البير أمير منه ماء ... وربى بالذى قد قلت عالم
ملأت القربتين وعدت حالا ... لارجع للقبيلة والمعالم
وجدت السبع قد أكل البهيمة ... ضربته بالعصا فعاد نايم
وحملت القرب من فوق ظهره ... وجئت اليك يافخر اكارم
أطال الله أيامك وعمرك ... على طول الزمان وانت دايم

فلما سمع كليب منه هذا المقال أجابه على شعره وقال

يقول كليب اسمع يامهلهل ... فما لك من مثيل فى العوالم
سباع البر خافت من قتالك ... وولت فى الفلا منك هزايم
سألت الله أن يحفظك دوما ... وتحظى بالسرور وبالغنايم
فقم البس ثيابا من حرير ... وافعل ماتريد ياابن الاكارم
فمها طلبت منى يامهلهل ... انا اعطيكه والله عالم
اخى ماعاد عندى أعز منك ... وحق الله خلاق العوالم

فلما فرغ كليب من كلامه أنزل الزير القرب عن ظهر الاسد وضربه بالسيف فالقاه قتيلا ثم قطع

رأسه وطرحه امام أخيه وقال الله أكبر فقد أخذنا بثار الجار وبلغنا ما نحب ونختار بعون الواحد القهار فأمر كليب الخدم ان يدخلوا الزير إلى الحمام فدخلي واغتسل ولبس حلة من أرجوان وذهب إلى عند أخيه في الديوان فقام له على الأقدام واكرمه غاية الاكرام وأجلسه في أعلى مقام فزاد اعتباره عند الخاص والعام وارتفعت منزلته عند الامراء والاكابر واشتهر اسمه بين القبائل والعشائر فقال له كليب ذات يوم اطلب ياأخي مهما تريد فان شئت مدينة أوهبتك إياها وامرأة جميلة أزوجك إياها فالي جميعه بين يديك فلا أبخل بشيء عليك لانك اليوم مساعدي وزندي وأنت الحاكم من بعدي فقال له اني لاأريد سوى سلامتك والذي أريده منك أن تأمر لي بصيوان يكون كبير ومفروش بالفرش الفاخر تنصبه لي عند بير السباع ويكون عندي جماعه من الخدام يقدمون لي ما احتاجه من الاكل والخمر لاني أن أنفرد عن باقي الناس وأكون وحدي خصوصا من كيد النساء وعندما تشتاق إلى تبقى تزورني فقال كليب ماهذا العمل فوالله مالي صبر على فراقك يامهلهل ولاعدت أسمع فيك كلام الاعادي اللئام فابقى عندي في العز والاكرام فقال ياأخي قد صممت النية على الارتحال فان الانعزال أفضل للرجال الاحرار ولاسيما قد صار لي على السباع ثار على قتل الجار ولا بد لي من قتل جميع الاسود أو ان الجار يرجع ويعود فضحك كليب من كلامه وتعجب وأمر له بما طلب وقدم له جوادا من أطايب الخيول وجميع ما يحتاج اليه من السلاح والنصول والمشرب والمأكول وأرسل معه عبدان يخدمانه ثم ودعه وسار حتى وصل إلى بير السباع فنصبوا له الصيوان وأقام في ذلك المكان وهو يأكل ويشرب المدام وكان في كل يوم يلبس عدته ويركب جواده ويصيد السباع وكان كلما قتل أسد يقول بالثارات الجار ومازال على تلك الحال حتى أفناهم وبنى له قصرا من رؤوسهم فلما طال عليه الزمان أخذه القلق والضجر لانفراده عن البشر وكان بينه وبين همام بن مرة محبة ووداد فزاره الأمير همام في بعض الايام ففرح بقدومه عليه وقال أهلا وسهلا يا ابن العم ورحب به غاية الترحيب وقال له لقد ضاقت نفسي من الوحشة والانفراد فوالله ماعدت أدعك تذهب من عندي أبدا فكان همام يصرف أكثر أوقاته عنده فينادمه ويشرب معه المدام ويتناشدان الاشعار في الليل والنهار ومازالا كذلك وهم في بسط وانشراح وطرب وأفراح وشرب مدام وسماع أنغام مدة ثلاث أعوام هذا ما كان من حديثهم في تلك الايام

﴿ حرب البسوس بين بني بكر وتغلب ﴾

قال الراوي وأعجب ما اتفق وتسطر من الاحاديث التي تروي وتذكر هو حديث العجوز الشاعرة أخت الملك تبع حسان الذي قتله كليب كما شرحنا قبل الان وهي المرأة التي ذكرها تبع لكليب في ملحمته بانها سوف تظهر بعده وتلقي الفتنة في القبائل وبسببها يقتل كليب وائل وتثير الحروب بين بني بكر وتغلب وباقي عمائر العرب وكانت هذه العجوز من عجائب الزمن وغرائب

الاوان ذات مكر واحتيال وخداع ساحرة ماكرة وكان لها أربعة أسماء سعاد وتاج بخت وهند والبسوس وكان التبع عند ولادتها سماها سعاد لأنها في يوم ولادتها وردت اليه أموال السبعة أقاليم وأمها سمتها تاج بخت وهند لانها كانت تأكل كثيرا من جوز الهند وكانت مع هذه الاوصاف القبيحة جميلة المنظر فصيحة الكلام شديدة البأس ولما كبرت وانتشت وصارت بنت عشرين سنة وكانت تمارع الطراشية وتركب الخيل في الميدان وتبارز الابطال والفرسان فشاع صيتها في كل مكان وتواردت اليها الخطاب من جميع المدن والبلدان فكانت تقول إني لا أتزوج بانسان الا من يقهرني في الميدان فكانت تقهرهم في القتال وتعلو عليهم في ساحة المجال فانصرفت عنها الخطاب وتباعدت عنها الطلاب وكان قد سمع بخبرها ملك عظيم اسمه سعد اليماني وكان ملك السرو وابن عم اخوها تبع وهو بطل اروع وليث صميدع صاحب مدن وبلدان وجيش وفرسان فهام قلبه في حبها فركب في جماعة من ابطاله وسار قاصدا ديار ابن عمه تبع ليخطب اخته سعاد فلما وصل الى تلك البلاد ترحب به الملك تبع واضافه ضيافة عظيمة لانه ملك وامره نافذ في قبائل العربان فلما كان اليوم الثالث قال سعد للتبع اعلم يا ابن العم باني حضرت من بلادي لاخطب اختك سعاد الدرة المصونة والجوهرة المكنونة فلا تردني خائبا لانها ابنت عمي ومن لحمي ودمي وانا احق بها من كل احد فقال تبع اني أرغب بذلك كما لا يخفا بانها لا تتزوج باحد مهما كان الا من كان قهرها في الميدان فقال إني ما أتيت الا على هذا الشرط فعند ذلك دخل عليها أخوها الملك واخبرها بقدوم الامير سعد ابن عمها وانه قد جاء يخطبها ويتزوجها بعد ان يبارزها ويحاربها فاجابته الى ذلك المرام وفي ثاني الايام اعتدت بآلة الحرب والجلاد وركبت على ظهر الجواد وبرزت الى الميدان ومحل الضرب والطعان وكان الامير سعد قد ركب حصانه وبرز الى الميدان والتقاها بقوة قلب وجنان واخذا يتقاتلان نحو ساعة من الزمان وكان الامير سعد صاحب نخوة وحمية ومن أشد فرسان الجاهلية فحاربها حتى اتعبها ثم اقتلعها من بحر سرجها فأقرت له بالغلبة بعد ذلك تزوجها أقام الحفلة سبعة ايام ورجع بها الى بلاده وكانت قد أخذت معها جميع ما تملكه من الامتعة وأموال وعبيد وغلمان واقامت مع زوجها في أرغد عيش وأهناه مدة عشر سنين الى ان عمي وفقد البصر فصارت تحكم مكانه وأطاعتها العرب وعظم امرها واشتهر ذكرها ومازالت على تلك الحال وهي في ارغد عيش وانعم بال الى ان كليب قتل اخوها تبع كما سبق الكلام فلما بلغها هذا الخبر اخذها القلق والضجر وتنغص عيشها وتكدر وقالت لا بد لي من المسير الى تلك الديار وقتل كليب الغدار فاذا قتلته انطفت ناري واكون قد اخذت بثاري فأقامت مكانها وكيلا يحكم بالنيابة عنها وركبت هي وزوجها وبناتها وأخذت معها عبدان وما زالت تقطع البراري والآكام حتى وصلت الى بلاد الشام فسألت عن حلة بني مرة فأرشدوها اليها فلما صارت هناك قصدت الامير جساس دون باقي الناس ودخلت عليه وهو في الديوان وحوله جماعة من الامراء والاعيان

فتقدمت اليه وسلمت عليه ودعت وترجمت و بأفصح لسان تكلمت وقالت أدام الله أيامك ورفع على ملوك الارض قدرك ومقامك و بلغك إربك ومناك و نصرك على حسادك وأعداك فتعجب جساس من فصاحة مقالها فاثنى عليها وسألها عن حالها فقالت إنني شاعرة أطوف القبائل والعشائر وأمدح السادات والاكابر وقد سمعت بجودك وكرمك ولطفك ومحاسن شيمتك فأتيت الى دارك حتي أعيش فى جوارك وأكون مشمولة بانظارك ثم انها بعد هذا الثناء والمديح أشارت اليه بهذا الشعر الفصيح

تقول سعاد من قلب موجع   زمان السوء أبقانا زلائل
وبعد غلاتنا صرنا رخاصا   وبعد الكثرة قد صرنا قلائل
وبعد العز قد صرنا اذلا   وبعد السمن قد صرنا هزائل
وذا يبكي وذا يضحك ويلعب   وذا يندب عياله والحلائل
فسبحن الذي قدر علينا   بغربتنا وتشتيت الشمائل
فبعد أن كنت فى خير ونعمة   دعانا الدهر كالطلاب سائل
أدور على المناصب والامارا   وأنزل فى القرايا والمنازل
سمعت بذكركم يا آل مرة   ثلاث شهور لى عنكم أسائل
أيا جساس يا فخر البرايا   ويا كهف اليتامى والارامل
قصدتك لا تخيب فيك ظني   أيا ابن الاماجيد الاصائل
فاجبر خاطري ربى يجبرك   ويعطيك السعادة والفضائل
فكم أوهبت من مال ونوق   وكم فرقت من خيل أصائل
فانت اليوم بين الناس فردا   ثناه مشاع فى كل القبائل
عديم المثل ما بين الامارا   وفيك تفاخرت عربان أوائل
عساك اليوم تنعم لى بسالي   ولا تصغي إلى واش وقائل
فارجع بالغنايم والعطايا   وبالخيل المسومة الصواهل

قال الراوي فلما فرغت العجوز من شعرها ونظامها وفهم جساس فحوى كلامها قال لها مرحبا بك يا عجوز الارض أرضى والديار دياري وأنت نزيلتي فى جواري فكل من تعدى عليك قتلته ولو كان من سلاطين الزمان ثم أشار يترحب بها ويقول :

قال جساس بن مرة يا عجوز   مرحبا بك جاورينا بلا بطا
مرحبا بك مرحبا بك مرحبا   عدد ما مشت الركائب بالوطا
فى قدومك حلت البركة لنا   بابشري بالخير مع كثر العطا
امرحي ثم امرحي فى حينا   ما أغيظك لو بدا منك خطا

(قال الراوي) فلما فرغ جساس من كلامه دعت له العجوز بالنصر وطول العمر والبقا وقالت في سرها والله لقد نلت المراد بعون رب العباد وأقامت عنده مدة شهرين وجساس كل يوم يزيد في اكرامها وكانت قد رأت اتفاق قوم كليب مع بني مرة وهم في محبة ومؤالفة عظيمة واجتماعات كثيرة كانها قبيلة واحدة فما هان عليها ذلك الامر فأخذت تلقي الفتنة والفساد بين الامراء والقواد حتى وقع بينهم الشر والنزاع وكثر القيل والقال ولما اشتد الامر اجتمعت أكابرا ناس بالامير جساس وأخذوا يشكون له من بني تغلب وعن سوء معاملتهم وأنهم يتعدون عليهم في أكثر الاوقات بدون سبب وهذا كله من يوم قتل كليب التبع اليماني وأمتد ملكه في الاقطار فاشتد أجور ويظلم ولا يحسب حساب أحد وهكذا قومه أيضا تفعل كفعله وكان مرادهم بهذا الكلام حتى يحمسوا الامير جساس ويهيجوه على قتل كليب ولكنه لم يصغ لهم ولم يطاوعهم على مرامهم وقال لهم أنه من الصواب أن أجتمع أولا مع ابن عمي كليبا وأعلمه بتعديات قومه وجورهم علينا فان وجدت كلامه قاسيا يكون هو السبب في تقويتهم وأن امر بتأديب المفترين تكون قد نلنا مرادنا

قال الراوي ومازالت الفتنة بين الفريقين تتعدو تشتد حتى اتصل الخبر إلى مسامع الامير كليب وبلغه بان بني مرة هم أصل ذلك الخصام أنهم كل يوم في جمعيات واستعدادات فضاق صدره وتكدر وأرسل أعلم جساس بذلك الخبر طالبا منه أن يبادر بالحال بقصاص المذنبين وتوقيف حركات البكريين واخراج تلك العجوز من القبيلة التي كانت سببا لهذه الورطة الوبيلة فاغتاظ جساس من ذلك وثار وتأكد عنده كلام قومه وعلم أن أصل ذلك البلاء كله من كليب فلم يجبه بجواب ولا بخطاب وأخذ جساس من ذلك اليوم يجمع الجموع ويفرق على قومه السلاح ويقويهم بآلات الحرب والكفاح وبلغ ذلك الامير كليب فازداد كدره وأحتار في أمره وحس قلبه بزوال ملكه وكان قد تذكر أخاه الزير الفارس التحرير فركب من يومه في جماعة من الفرسان وقصد إلى بير السباع فوجده جالسا على سفرة المدام مع ابن عمه الامير همام وهما يتناشدان الاشعار ويتحادثان بالاخبار فنهضا له على الاقدام وجلسا في أعلى مقام وفرح الزير بقدوم أخيه لانه كان له مدة طويلة غائبا عنه غير انه علم بان مجيئه لم يكن ناتج إلا عن سبب ضروري جدا وبعد أن جلس قليلا قال كليب للزير اعلم يا أخي أن سبب مجيئي اليك أولا لاجل المشاهدة وثانيا حتى آخذك الى القبيلة وأقيمك ملكا مكاني لاني طعنت في السن ولم عد لي طاقة على معاطاة الاحكام لاسيما وقد تغيرت الاحوال ووقع بين الطائفتين النزاع والجدال فاشتغل مني القلب والبال فقم الآن معي ياسيد الفرسان فقال الزير والله لقد استحل بالي بهذا المقال فعند ذلك أنشد كليب وقال :

أخي سالم اسمع ما أقول لك ... فف‍كرك دره والذهن ليا

أراك اليوم في زهو ولهو ... ولا تدري بما قد حل فيا

بنو قيس لقد وقعوا بخاف وجساس نوى يركب عليا
فقوم وشد عزمك يامهلهل لانك أنت جبارا عتيا
والا راحت البلدان منا وصرنا معيرة عند البقيه

قال الراوي فلما فرغ الامير كليب من شعره ضحك الزير حتى استلقى على ظهره فقال كليب وما هو ضحك قال لقلة عقلك فقال أنا قليل العقل قال نعم لولم تكن قليل العقل ما كنت تكلمت بهذا الكلام بعد أن نظرت هذا القصر الذي هو أمامك قال وما يكون هذا القصر قال المهلهل هذا قصر قد بنيته من رؤوس السباع الذين قتلتهم بثار الحمار وبعد كل ذلك أنت ملك عظيم وصاحب ولايات واقاليم فكيف إلك تقول خائف وفزعان وأخوك المهلهل فارس الفرسان فكن فى أمن واطمئنان من نوائب الزمان فإن كنت بثار الحمار الذى ليس له قدر ولا مقدار قد بنيت قصرا من رؤس السباع الآن بنى من رؤس الاعادى مدائن وضياع وحصون وقلاع فاذهب بالسلامة ولا تر تاع ثم أجابه على شعره يقول

يقول الزير أبو ليلى المهلهل أنا فى الحرب لى عزما قويا
سباع الغاب خافت من قتالى وتخشانى ولم تقدر عليا
فاذهب يا كليب ولا تبالى واحكم فى القبايل بالسوية
فان جارت بنو بكر وخانت فلا أترك أخى منهم بقية

فلما سمع كليب شعره احتار من فعله وندم على مجيئه ثم كرر عليه السؤال وطلب منه أن يسير معه خوفا من حدوث أمر من الأمور فقال الزير سرأنت أولا وأنا سأتبعك فيما بعد فقال كليب لماذا لا تسير الان قال لا اخفاك لما حضرت إلى هذا المكان قتلت جميع السباع ما عدا سبعين أوثلاثة فمتى قتلتهم أدركتك فى الحال إلى طلال فعند ذلك ركب كليب جواده وسار وسلم أمره للواحد القهار الى أن وصل إلى الديار وهو فى قلق وافتكار هذا ما كان من أمر كليب ويرجع الكلام والسياق الى حديث سعاد الشاعرة الساحرة الماكرة فانها لما أثارت الفتنة بين القوم وصار لها عند بنى مرة ذلك القبول وجميع كلامها عند جساس مقبول أخذت طاسة من الفضة وملأتها من المسك والزباد والعطر وخفقت الجميع فى بعضها البعض ثم عمدت الى ناقتها الجرباء وأخذت تطلى أجنابها وتدهنها بذلك الطيب وأمرت بعض العبيد أن يأخذها للمرعى ويمر بها قرب صيوان جساس فى الصباح والمساء واوصته اذا سأله أحد عنها وعن سبب رائحتها يقول له لا أعلم انما مولاتى تعلم فأخذ العبد الناقة ومر من ذلك المكان فعبقت رائحة الطيب واستنشق جساس الرائحة وكانت ذكية جدا فتعجب وكان قد نظر إلى ذلك العبد وتلك الناقة فامر باحضار العبد وكان يظن بأن تلك الرائحة عابقة منه فلما حضر وجد رائحته كريهة جدا فسأله عن تلك الرائحة فقال من الناقة فازداد تعجبا وسأله عن سبب ذلك فقال لست أعلم يا مولاى وانما مولاتى سعاد الشاعرة تعلم لك فقال جساس

هذا أمر غريب فاستدعى العجوز اليه فحضرت فى الحال تمثلت بين يديه فترحب بها أمرها بالجلوس فجلست ثم سألها عن قضية الناقة فتنهدت من فؤاد موجوع وقالت لا خافك أطال الله عمرك وأبقاك ان هذه من سلالة ناقة صالح وبها خواص غريبة يا ابن الاجواد بعرها من المسك وعرقها من الزباد فتعجب جساس من ذلك غاية العجب وقال فى نفسه تبارك الله رب العالمين فلا بد لى من أخذ هذه الناقة فافتخر بها على جميع الملوك فقال لها هل تبيعينى اياها يا حرة العرب وأنا أعطيك مهما تطلبين من الفضة والذهب فلما سمعت كلامه بكت ولطمت وجهها وقالت والله هذا الحساب الذى كنت أحسبه فانى ما هجرت بلادى الا لاجل هذه الناقه وكلما نظرها أمير أو ملك يطلبها منى ومادام الامر كذلك فانى سارحل من عندك ثم بكت من قلب حزين وأنشدت تقول :

تقول سعاد من قلب موجع سقانى الدهر كاسات الحمام
ضنى منى الفؤاد وطار نومى عمى عقلى وقد زادت سقامى
أنا حرمة ولى يد قصيرة ولا لى قيمة بين الانام
وهذه ناقتى قد شتتنى عن الاوطان يا ابن الكرام
فكم من سيد جا يشتريها فما نالوا بها نيل المرام
وقد جينا اليكم والتجينا وقلنا قد حظينا بالسلام
وأنت تريد أن تأخذه منى فعاد رجوعنا أشهى مرام

قال الراوى فلما فرغت العجوز من كلامها أخذ جساس يتعطف بخاطرها ويقول لها ان كلامى معك هو على سبيل المزاح وناقتك مباركة عليك وأنت المعززة المكرمة فقالت أريد من أفضالك واحسانك ان كنت معززة عندك أن تجعل ناقتى دون باقى النوق والجمال لانها قد تربت بالدلال وأريد مرعى يليق بها فقال ارسليها الى المرعى مع نوق جمالى فقالت انها لا تاكل الا من الرياحين وزهر البساتين فقال لها ليس لنا كروم ولا بساتين قالت وهذه الكروم التى أراها بجانب القبيلة من هو صاحبها قال هى لابن عمى كليب زوج أختى الجليلة وهمام أخى متزوج بأخته ضباع قالت مادام انكم أهل واقارب وأنت ملك نظيره لماذا يكون كليب أعظم منك فقال لها انه من بعد قتله الملك تبع عظم أمره وانتشر ذكره وتملك على بلاد وطاعته العباد فلما سمعت هذا الكلام قالت والله لقد أخطأت وبئس ما فعلت فانى تركت البحر وأتيت الى الساقية وتعلقت بالذنب وتركت الرأس فاغتاظ جساس وقال ما معنى هذا الكلام يا حرة العرب فانك قد خرجت عن دائرة الصواب وباديتينا بقلة الادب هذا جزاء المعروف والاحسان فقالت لا تغضب وما قولى هذا الا على سبيل المحبه فكيف يكون ابن عمك وصهرك زوج أختك ويملك على كل هذه الاراضى العظيمة وأنت ليس لك عنده قدر ولا قيمة أهكذا تكون الأهل وابناء الاعمام أيها الملك الهمام فقال جساس وذمة العرب وشهر رجب لقد تكلمت الصواب وأنا من الآن وصاعد

لست أحسب له أدنى حساب لانه قد اعتز وتمرد ولا عاد يحسب حساب أحد وأنا لا بد لي أن أطالبه أن يقاسمني على أملاك المملكة والا ألقيه في التهلكة فروحي واطلقي ناقتك ترعى في أحسن البساتين والمراعي فلما سمعت العجوز هذا الكلام فرحت وانشرح خاطرها فقبلت يده وخرجت من عنده وقالت لعبيدها خذوا هذه الناقة واتركوها ترعى في البستان المعروف بحمى كليب واجعلوها تهدم الحيطان وتقطع الاشجار وتأكل الاغصان واذا اعترضكم أحد فاشتموه وسبوه واذا اقتضى الأمر اقتلوه ولا تخافوا فقالوا سمعا وطاعه ثم أخذوا الناقة وساروا بها الى ذلك المكان قال الراوي وكان هذا البستان كانه روضة جنان كثير الاشجار والفواكه والاثمار وكان كليب قد اعتنى به حتى صار من أعظم منتزهات الدنيا وكان لا يسمح لاحد أن يدخل اليه سوى هو وعياله فقط فلما أخذت العبيد الناقة دخلوا بها الى ذلك الحمى بعد أن هدموا الحائط وصاروا يقلعوا الزهور ويكسروا اغصان الشجر وكانت الناقة تأكل العرائش وأثمار الكروم وكان كليب قد أقام حارسا يحرسه اسمه ياقوت فلما نظر الحارس تلك الفعال هجم على العبيد بالعصا وقال لهم اخرجوا يا كلاب من البستان قبل أذيتكم بكم الهوان فشتموه وسبوه ثم ضربوه فهرب من بين أيديهم وجاء الى كليب وأعلمه بواقعة الحال فاغتاظ غيظا شديدا وجاء الى ذلك المكان ومعه غلامان فرأى العبدين أحدهما جالس على الحائط والثاني جالس فيه وقت النزهة والآخر راكب الناقة بين الكروم والزهور وهو يسب الامير كليب ويشتمه فعند ذلك تراكضت غلمان كليب على العبيد لتقبض عليهما فتركا الناقة وهربا فأحضرت الغلمان الناقة أمام كليب فأمر بذبحها فذبحوها وطرحوها خارج البستان وكانت عبيد العجوز تراقب من بعيد ما يجري على الناقة فلما شاهدوا ما كان من أمرها رجعوا على الاعتاب واعلموا مولاتهم بما جرى وكان وكيف ان غلمان كليب ذبحوا الناقة بأمر مولاهم وطرحوها خارج الحمى فقالت الآن قد بلغت مرادي وأخذت ثاري من الاعادي ثم أمرت بعض العبيد أن يذهب ويسلخ الناقة ويأتيها بجلدها فسار العبد وسلخها وجاء بجلدها اليها فقامت من وقتها ووضعت التراب على رأسها وشقت ثيابها مع بناتها وعبيدها وجواريها وأخذت جلد الناقة وسارت بهم الى عند الامير جساس فدخلت عليه وهو في الديوان مع الاكابر والاعيان وصارت تندب وتبكي والقت الجلد بين يديه فقال لها لا مك أيتها العجوز وما الذي أصابك فحدثته بالقصة وقالت له في آخر الكلام لو كنت اعلم أن ليس لك عندك من يملك كليب قدر ومقام ما كنت تركت ناقتي ترعى في حماه حتى يذبحها الا أني اعتمدت على كلامك نظرا لعلو رفعة مقدارك بين أهلك واقوامك حتى جرى ما جرى بسببك ثم أنشدت تقول

تقول سعاد من قلب موجع أيا جساس طابوا في نزيلك
تبيت اليوم مع أهلي ذليل لحيك يا فتى نطلب جميلك

نزلنا فى جوارك يا معظم ‏ وقلنا ليس فى الدنيا مثيلك
فقلت لهم دعوا الناقة ترعى ‏ بغيظ كليب نحسبه خليلك
فرحت طلقتهم وسمعت قولك ‏ ذبحها جئت حالا أشتكيلك
فان كنت لكم ذمة وحرمة ‏ فانهض يا أمير وشد حيلك
وخذ حقى من الباغى كليب ‏ فرب العرش مولانا كفيلك

قال الراوي فلما فرغت العجوز من كلامها استعظم جساس تلك القضية وعصفت فى رأسه نخوة الجاهلية وقال للعجوز اذهبي بامان فأنا أعرف شغلى فذهبت إلى خيامها وقد استبشرت



[illegible] وبلوغ [illegible] جساس [illegible] من حوله [illegible] اعوان جساس و[illegible] وساعدها
من [illegible] او [illegible] الابطال [illegible] اليوم
[illegible]
الصواب [illegible]
ثان أرسل [illegible] جساس هذا

الرأي وكتب كتابا الى كليب يعلمه بذلك الحال ويطلب منه ثمن الناقة وأرسل الكتاب مع عبده أبو يقظان فأخذ أبو يقظان الكتاب وفي طريقه مر على تلك العجوز وأخبرها بالقصة فترحبت به ولاطفته بالكلام وقدمت له الطعام ثم أخذت تسقيه المدام حتى سكر وغاب عن الصواب فعند ذلك فتشت ثيابه حتى عثرت بذلك الكتاب فقرأته فوجدته كتابا بسيطا خاليا من التهديد والوعد والوعيد فمزقته وأضافت اليه كلاما مغيظا وهي هذه الأبيات :

أمير كليب يا كلب الاعارب ... أيا ابن العم لا تكبر عليه
فلازم أذبحك في حد سيفي ... وأنت شبيه حرمة أجنبية

ثم طوت الكتاب ووضعته مكانه وأقامت العبد فنهض وركب جواده حتى وصل الى ديوان الامير كليب فنزل ودخل عليه فقبل الارض بين يديه وناوله الكتاب فأخذه وقرأه ولما وقف على معناه اغتاظ غيظا شديدا وأراد أن يقتل العبد ولكنه كان رجلا عاقلا موصوفا بالحلم والحزم فأطرق رأسه الى الارض وتفكر قليلا في سره وقال لعل الامير جساس كتب هذا الكتاب وهو في حالة السكر غائب عن الصواب فمزق الورقة وأمر بضرب العبد فضربه وقال له اذهب يا ابن اللئام الى عندمولاك بسلام والا سقيتك كأس الحمام فقام وهو على آخره ق وركب حصانه وسار عند جساس وقال له انه بحال ماقرأ كليب كتابك مزقه وأمر بضربي وقد شتمك وسبك وهذا الذي تم وجري قال الراوي فلما سمع جساس هذا الكلام صار الضياء في عينيه كالظلام فنهض في الحال ودخل الى خزانة السلاح ولبس آلة الحرب والكفاح وركب ظهر حصانه ودار حول صيوانه وصاح على أبطاله واخوته وفرسانه فجاؤا اليه وداروا حوله فأعلمهم بواقعة الحال وماجرى بينه وبين كليب من النزاع والجدال وقال لهم استعدوا لقتال بني تغلب الانذال وأخذ يحثهم بهذا الشعر والنظام

يقول جساس ونار القلب مشتعلة ... طي الضمائر لها يا قوم لهيب
يا قومنا اسمعوا قولي واصغوا لي ... قول صحيح بلاقول ولا تكذيب
كليب خلى أخونا عبرة ... حكم البلاد مشارق ومغيب
وليس يحسب لنا قدر ومنزلة ... الكل عنده غنم هو بينهم ديب
ناقة نزيلي ذبحها ما اختشى أحد ... أجرى الى دمها شبه الأنابيب
أتت عجوز فألقت جلد ناقتها ... بعد ما قد بكت بدمع سكيب
تنهدت ثم قالت يا ولد مرة ... ابن عمك كليب هايك يعيب
أهكذا كليب يفعل فى نزيلك ... مالك قيمة عنده ولا ترحيب
فقلت لها اصبري يا عجوز على ... فأنا لك عنده ثمنها أجيب
أرسلت له أبو اليقظان عبدي ... بكتاب ما فيه أسى ولا تعتيب

شق الكتاب وأرمي العبد يضربه ومن كثرة الضرب ما أظنه يطيب
أترضون المذلة يا أهل قومي الذل ما يرضاه سوى كل معيب

قال الراوي فلما فرغ جساس من شعره ونظامه وعرف قومه فحوى قصده ومرامه فما أحد طاوعه على هذا المرام وقالوا له من فرد لسان هذا بئس الرأي وهل يجوز لنا يا أمير لأجل ناقة حقيرة نقاتل ابن عمنا كليب ونرفع في وجهه السلاح بعد أن صان أنسابنا وحمانا بسيفه وقتل الملك تبع حسان واستولى على الاقاليم والبلدان وجعل لنا ذكرا عظيما في قبائل العربان على طول الزمان فإن كان لك عليه دم أو ثار دونك وإياه فلا تطلب منا مساعدة ولا نجدة فلما سمع كلامهم تركهم وقصد بيت العجوز ولما اجتمع بها قال لها قد جئت لأرضيك بالعطايا خوفا من ازدياد الشر ووقوع البلايا فاطلبي ثمن ناقتك فأنا أعطيك إياه ولو كان مهما كان قالت أريد واحدة من ثلاثة أشياء قال وما هو قالت أريد أن تملأ حجري بالنجوم أو أن تضع جلد الناقة على جثتها فتقوم أو رأس كليب بالدما يعوم فقال لها أما ملء حجرك بالنجوم أو أن الناقة تعيش وتقوم فهذا لا يقدر عليه أحد الا الحي القيوم أما رأس كليب فأتيك به ثم قوم السنان وأطلق العنان وقصد حي بني قيس فقالت العجوز لعبدها سعد خذ هذه السكين والمنديل الأبيض واتبع جساس من وراه فاذا رأيته قد قتل كليب فأسرع واذبحه وأطبخ هذا المنديل من دمه فتى فعلت ذلك فأنى أطلقك لوجه الله تعالى فامتثل أمرها وتبع آثار جساس وأما جساس فلم يزل سائرا حتى وصل الى قصر كليب وسأل عنه فقالت له أخته الجليلة قد ركب الآن يطبع مهرة في وادي الحصا والجندل فقصده حتى التقى به وهو يطبع المهر وكان كليب بدون سلاح ولم يكن معه سوى خيزرانة فقط وكان كليب دائر ظهره الى جساس لأنه كان من عادته لا يلتفت في أيام الحرب الى أقل من مائة فارس فأراد جساس أن يغدر به من قفاه فما طاوعته يده على ذلك مهابة ووقار فلما وصل اليه سلم عليه فرد عليه السلام فرآه مسربل بالسلاح فاستعظم كليب الامر وقال علامك يا ابن عمي أراك بالسلاح الكامل قال مرادي الصيد واقتنص ولكني لما التقيت بك عرجت بك لاسألك سؤالا واحدا وأعاتبك على ما فعلت فهل كان لك بساتين وكروم ونحن ما نماشي وأتت الى عندنا عجوز شاعرة مع بعل لها أعمى ورعت ناقتها في بستانك على جهلها فكيف تقتلها أما لنا عندك قيمة ولا اعتبار بهذا المقدار فضرب كليب كفا على كف من شدة الاسف وقال والله يا ابن عمي ما عرفت أنها ناقة نزيلك ثم ذكر له عن سوء أدب الرعيان وما فعلوا من الضرر في البستان ومع كل ذلك فاني أعوض عليها وأعطيها أربعمائة ناقة واذا أرادت أكثر أعطيها ولا يكون ذلك سببا للنزاع والخصام بيننا فاننا أولاد عم وأصهار فقال جساس على سبيل الخداع فاني سأرضيها وهو قاصد قتله ثم قال له مرادي أن أسابقك طابقين بالجريد فقال كليب يا جساس أنت راكب على ظهر القبيرة وأنا راكب مهرا جاهل فقال أنا أسوق أمامك والمهر يتبع الفرس فساق جساس الفرس فتبعه كليب حتى حكمه تحت يمينه وضربه بالجريدة فأصابت ظهره فأقلبته

عن ظهر الفرس فانحدر الدم من فمه ومناخيره فقال كليب قم يا ابن العم ان كنت لا تريد أن تلعب غير هذه الحريدة فاسرع واضربني بها فينتهي الحال ثم نزل كليب عن ظهر المهر ومشى أمامه وأما جساس فانه كان قد تألم بهذا المقدار حتى لم يعد يمكنه القيام واذا بعبد العجوز سعد قد أقبل اليه وجذبه من يده فأوقفه وقال والله انك من أحقر الرجال ثم أعلمه بحاله وكيف أن العجوز أرسلته خلفه لأجل تلك القضية فتحمس جساس ونهض ومسك له العبد الركاب فركب ثم تقدم نحو كليب وهز في يده الرمح وطعنه في صدره خرج يلمع من ظهره فوقع كليب على الأرض يختبط بدمه فبكى من ملوعينيه ودمعه يسيل على خديه فلما رآه جساس على تلك الحالة ندم وتأسف على مافعل فتقدم اليه وقبله في لحيته وعارضيه وضمه الى صدره ووضع رأسه على ركبتيه وقال سلامتك يا ابن عمي يا أبا اليمامة فقد حلت بي الندامة فوالله إني فعلت ذلك بدون عقل ولا تمييز فسامحني على هذا الارتكاب القبيح فأجابه كليب من حلاوة الروح وقال هذا احكم الاله المتعال وما كان أملي منك أن تباديني بهذه الفعال وتشمت في الاعداء والانذال وتفرق بيني وبين اليتامى والاطفال ومابكائي في مال ولا نوال وانما بكائي على اليتامى ولكن لهم رب لا يغفل ولا ينام وأبكي أيضا على غدرك فانك قتلتني بالغدر والعدوان ولست من أقراني في الميدان ولا ملتقى الفرسان ولكن سوف يجازيك العادل الديان وسوف ترى ما يحل بك من الهوان ولا تظن بأنه يصفى لك الزمان بعد الآن فقم واذهب الى الخيام وأقرئ الايتام مني جزيل السلام ولكن اسقني قبل رواحك شربة ماء لأن قلبي قد احترق من الظمأ ثم أشار بهذا القصيد يقول

يقول كليب اسمع يا ابن عمي أيا جساس قد أهرقت دمي
أيا غدار تطعنني برمح ولست بأنت في الميدان خصمي
وشمت الحواسد والأعادي وباتت اخوتي تبكي وأمي
على ناقة أتقتل ابن عمك أمير كريم من لحمك ودمك
يوم الضيق كان يزيل همك ويردى الضد في يوم النزال

قال الراوي فلما فرغ كليب من شعره ونظامه خاف جساس واصفر لونه وارتعش قلبه وقال والله يا ابن عمي لا يعرف الانسان ماذا مقدر عليه ثم أنه رفع رأسه عن ركبته وأتى له بماء فأسقاه ثم ركب وتركه وخلاه وهو يركض ويلتفت الى وراءه قاصدا أهله وحماه وأما عبد العجوز فانه بعد ذهاب جساس تقدم ليذبح كليب حسب ما أمرته العجوز فلما اقترب منه رآه يجود بنفسه وهو على آخر رمق فتأمل فيه [illegible] فوجده ذا هيبة [illegible] يتلالا بالانوار فتأخر عنه وخاف منه فنظر اليه كليب فناداه [illegible] قال [illegible] أنت [illegible] وما [illegible] فاعلمني بحالك فقال له لا تخفى [illegible] أخته سعاد العجوز الساحرة الى هذه البلاد لتأخذ بثارها وتشفي [illegible] بينك وبين ابن عمك حتى قتلك وأرسلتني

لاذبحك و آخذلها أثر من دمك فقال كليب لقد صدقت فقد ذكرلى تبع هذا الكلام و تفذ قوله بالتمام وهذا تقدير رب الانام فأريدمنك ياعبد الخير قبل أن تذبحنى تفعل معى هذا الجميل وهو أن تلقينى بالقرب من هذه البلاطة القريبة من هذا الغدير حتى أكتب وصيتى الى أخى سالم الزير وأوصيه بأولادى ومهجة أكبادى و بعد ذلك افعل ماتريد فسحبه العبد الى قرب البلاطة والرمح غارس فيه والدم يقطر من جنبه فبكى كليب وتفكر وهو يتأمل على ما أصابه و يتحسر ثم أخذ بيده عودا فغطسه بالدم وأشار يقول



يقول كليب اسمع يا مهلهل ... مذل الخيل قهار الاسود
على ما حرى من جساس فى ... طعنى طعنة منه بعود
أيا سالم توصى باليتامى ... صغار وبعضهم وسط المهود
واسمع ما أقلك يا مهلهل ... وصايا عشر افهم بالاكيد
فأول شرط أخوى لاتصالح ... ولو أعطوك زينات النهود
وثانى شرط أخوى لاتصالح ... ولو أعطوك مالا مع عقود
وثالث شرط أخوى لاتصالح ... ولو أعطوك نوقا مع نقود

ورابع شرط أخوي لا تصالح   واحفظ لي ذمامي مع عهودي
وخامس شرط أخوي لا تصالح   فان صالحت لست أخي أكيد
وسادس شرط أخوي لا تصالح   فقد زادت نيران الوقود
وسابع شرط أخوي لا تصالح   واسفك دمهم في وسط بيد
وثامن شرط أخوي لا تصالح   واحصد جمعهم مثل الحصيد
وتاسع شرط أخوي لا تصالح   فاني اليوم في ألم شديد
وعاشر شرط أخوي لا تصالح   وإلا قد شكوتك للودود

قال الراوي فلما انتهى كليب من شعره ومقاله بكى العبد عليه ورثى لحاله ثم تنفس كليب الصعداء وهو مطروح وجعل يقول من حلاوة الروح أين الأحباب أين الأعوان والحجاب أين جندي ودولتي أين ما ملكي وصولتي تبا الحكم مصيره للزوال يتجبرون على الاله المتعال ثم قال للعبد بالله عليك أن تمهل علي قليلا حتى أودع من دار الدنيا وأكتب لأخي هذه الوصيه فقال العبد أكتب يامولاي رحمك الله ثم أخذ العود وكتب يقول

يقول كليب من سادة ربيعة   فدمعي فوق خدي كالقناه
جفاني الدهر وأرماني سقيم   فهذا الدهر كم مثلي فناه
خرجت أنا على مهري أسير   فليس بيدي أنا سوى العصاه
فاذا ابن مره جاء خلفي   يريد قتلي وابليس طغاه
ضربته بعصاتي فوق ظهره   تقنطر راح من فوق الوطاه
أتى من خلفه عبد غريب   سريعا اركبه ووقف حداه
فاستمد وجاني في حال سرعة   تريد الغدر مني بالقناه
باحكم طعنة في سريعا   وراح جساس هارب بالفلاه
هديت اليك هدية يا مهلهل   عشر أبيات تفهمها الذكاه
أول بيت أقول أستغفر الله   اله العرش لا يعبد سواه
وثاني بيت أقول الملك لله   بسط الارض ورفع السماه
وثالث بيت توصي باليتامى   واحفظ العهد لا تنسى وفاه
ورابع بيت أقول الله أكبر   على الغدار لا تنسى أذاه
وخامس بيت جساس غدرني   أنظر الجرح يعطيك النباه
وسادس بيت قلت الزير أخي   شديد البأس قهار العداه
وسابع بيت سالم كون راجل   لاخذ الثار لا تعطى وناه
وثامن بيت بالك لا تخلي   لا شيخ كبير ولا فتاه

وتاسع بيت بالك لا تصالح وان صالحت شكوتك للاله
وعاشر بيت إن خالفت قولى أنا وإياك إلى قاضى القضاه

ولما انتهى كليب من كلامه التفت إلى العبد وقال له افعل ما تريد فقال يا أمير والله ما تستحق إلا كل خير وإن بداي لا تطاوعني على ذبحك فقال اذبحني لاني فى ألم شديد وعن قريب تأتي اخوتي وباقي الرجال والحريم فعند ذلك أخذ العبد السكين وانحنى عليه وذبحه من الوريد إلى الوريد وثوث المنديل بدمه ورجع إلى عند سيدته فاعلمها بقتل كليب وأراها دمه ففرحت فرحا شديدا وصبرت إلى الليل ثم حملت وسارت بين مهامن تلك القبيلة سراحتى لا يعلم به أحد وقالت لقد أخذت الآن ثاري وطفيت لهيب ناري هذا ما كان منها وأما جساس فانه لما رمى كليب وولى هارب سار حتى وصل إلى قومه وهو في خوف عظيم أصفر اللون متغير الكون فقال له أبوه الامير مرة أين كنت قال في البرية فالتقيت ابن عمي كليب فقتلته وزال همي وغمي فلما سمع مرة هذا الخبر تبدل صفو عيشه بالكدر وقبض على جساس من ذراعيه كادأن يخرج روحه من بين جنبيه وقال له ياعديم الزمان وأخبث الانام أتقتل ابن عمك وهو من لحمك ودمك لاجل ناقة حقير وصاحبتها سائلة فقيرة فماذا تقول العرب يا عدار إذا سمعت عنك هذه الاخبار فقد أجلبت علينا الاذى والضرر وفضحتنا بين البشر ومازال يوبخه بالكلام ويلطمه من خلاف وقدام حتى جاءت إخوته إليه فخلصوه من بين يديه وأخذوا يلومونه ويسبونه ويشتمونه ماعدا الاميرهمام فانه كان عند الزير فى تلك الأيام وهما يتنادمان ويشربان المدام على بير السباع كما تقدم الكلام وليس عندهما خبر بهذه الامور والاحكام ثم التفت الامير مرة إلى أولاده وقال لقد حلت بنا المصائب من كل جانب فماذا الذي يخلصنا من الزير ليث الوادي وقهار الاعادي فوالله ليقطع آثارنا ويعجل دمارنا ثم بعد هذا الكلام أشار يقول

يقول أمير مرة من قصيد ان العار لا يمحوه ماح
جنيت اليوم يا جساس حربا علينا فى المساء وفى الصباح
وقدت النار فى بكر وتغلب يعم لهيبها كل النواحى
أيا جساس تقتل ابن عمك كليب البرمكى ليث البطاح
أميرا كان ليس له مثيل شديد البأس في يوم الكفاح
أيا جساس من قتل ابن عمه يبيت الليل يسهر للصباح
وسوف ترى بما يجرى علينا إذا برز المهلهل للكفاح
فيسلب مالنا رغما وقهرا بأطراف العوالى والصفاح

قال الراوى فلما فرغ مرة من هذا النشيد أجاب جساس بهذا القصيد

تأهب مثل أهبة ذي الكفاح ... فان الامر زاد عن التلاحي
فاني ان جلست عليك حربا ... فاني ليث حرب في الكفاح
فكف عن الملام فلست أخشى ... يوم الحرب من طعن الرماح
وني حين تشجر العوالي ... أعيد الرمح في أثر الجراح
تعدت تغلب ظلم علينا ... بلا ذنب يعد ولا جناح
ومالي همة أبدا وقصد ... سوى قتل العدا يوم الكفاح

قال الراوي فلما فرغ جساس من كلامه قال له اوه سوف ترى ما يحل بنا من الويل من سيف المهلهل فارس الخيل ثم صار يبكي ويتأسف ويلطم كفا على كف ثم قال لاولاده ان الراى عندي أن نكتف جساس ونرسله الى الزير واخوته ليقتلوه بثار كليب وبهذه الوسيلة تزول الفتنة وتطفى النار وتزول الاحزان والاكدار عن المصيبة عظيمة وعاقبة ذميمة وخيمة فقال له اولاده ما هذا الكلام يا ابانا فهل بعد كليب يوجد غير جساس يليق أن يكون ملكنا فان كنت تحسب حساب المهلهل فما هو الا كالكلب وليس له دأب الا أكل الكباب وشرب الشراب فقال مرة استعاذ بالله من كيد الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال لاولاده ان أخوكم همام له عند الزير مدة أيام فنخاف أن يعلم الزير بقتل أخيه فيقتله ولا يبقيه

قال الراوي وكان لهم جارية تسمى رباب فاستدعاها مرة اليه وقال لها اقطعي البقاع وسيري الى بير السباع واعلمي هام سرا بما جرى وتجددوقل له أن يرجع بالعجل خوفا من أن يقتل فسارت الجارية حتى وصلت الى هناك فوجدت الزير وهمام على سفرة الطعام وهما يأكلان ويشربان المدام ويتحادثان بالكلام فلما رآها همام نبه لها وقال لها ما دهاك قالت شر طويل وحزن وعويل ثم أعلمته سرا بواقعة الحال وطلبت منه المسير الى الاطلال فلما وقف على حقيقة الاحوال اعتراه الاندهال وغاب عن الصواب وتبدل انشراحه بالحزن والاكتئاب فلما طال بينهما الحديث والخطاب خرج الزير من بين الاطناب كانه أسد الغاب فوجدهما يتكلمان سرا ويوميان عليه بعظم الامر لديه فسل الحسام وقال مه وأخبر يا همام فاني أراك في قلق واهتمام وأشار يقول

يقول الزير أبو ليلى المهلهل ... أحس النار في قلبي لهيب
فقلبي موجع والجسم ناحل ... ولا ألقى الى جسمي طبيب
وشاب الرأس مني والعوارض ... فاني صرت في حال عجيب
وفكر في الزمان وشؤم فعله ... وهذا الدهر ينقلب قليب
أيا همام ألا يا ابن عمي ... لأنك خائف واقف رعيب
فهل أبصر الحرمة تقالك ... تناديك وأنت لها تجيب
أراكم تكتموا الاسرار عني ... كأني بينكم رجل غريب

أراكم في حديث وفي وشاوش ... وبين ذا وذا أمر عجيب
فلا تخلو الامور من الحوادث ... يا همام اعلمني تصيب
والا افتحوا لي الباب حتى ... أروح عسى بذا قلبي يطيب

فقال الراوي فلما فرغ الزير من شعره أجابه همام يقول

يقول همام اسمع يا مهلهل ... فدمعي فوق الخدود سكيب
وناري بالحشا قد أحرقتني ... أحس لها طي الفؤاد لهيب
أقول وأنت تسمع يا مهلهل ... بأنك صاحبي نعم الحبيب
فما نحن يامهلهل في وشاوش ... ولا أنت بيننا رجل غريب
أما وإياك في طرب ولهو ... ولا نحسب حسابات الحسيب
جملنا يا فتى نيب جملكم ... جرى دمه على نحره سكيب
جملنا ذاك هو جساس أخي ... قتل أخاك كليب عن قريب

فلما سمع منه الزير هذا الشعر توقد قلبه بلهيب الجمر وأجابه يقول

يقول الزير يا همام اسمع ... انت ابن عمي إلي نسيب
فما لك علم في قتلة كليب ... ولا في هذه القضية لك طليب
فقم اذهب إلى أهلك يا نسيبي ... بلا تطويل من قبل المغيب
فتأتي اخوتي ثم يقتلونك ... ويدعونك على الغبرا كثيب
فما أقدر أن أحميك منهم ... وأنت محب يا نعم الحبيب
فوالله ثم والله ثم والله ... ثلاث أقسام يحلفها الخطيب
فلولا حبنا ما عيش أكلنا ... ولا كاسات شربناها بطيب
لكنت أمد يدي نحو سيفي ... وآخذ ثار أخوي عن قريب

قال الراوي فلما فرغ الزير من هذا الشعر والنظام قال لهمام أنت من دون بني مرة نديمي وصديقي وزوج أختي ورفيقي وليس عندك علم بهذا الخبر المنكر فلا تخاف ولا تنزعج فقال همام للمهلهل [illegible] يا ابن العم والذي مضى ما فيه رجوع فإما أن تقتلني عوض أخيك أو تأخذ منا ما رضيت وترفع عنا الحرب [illegible] وتتركه [illegible] فوالله [illegible] على هذا الأمر و[illegible] قلبي بنار الجمر لما سمعت بهذا الخبر [illegible] ولا [illegible] جساس [illegible] قال الزير وحق [illegible] آخي [illegible] حتى [illegible] منكم ثم [illegible] وأفنيكم [illegible] ولو لم تكن [illegible] في الحرب [illegible] أشكال [illegible] في الحرب والقتال فلما سمع همام [illegible] الكلام ركب

ظهر الحصان وأومأ الى ابنه شيبان الذى كان معهما فى ذلك المكان أن يسير معه الى الاوطان فامتنع عن المسير وقال انى سأبقى مع خالى الزير فسار همام وقد عظم عليه الامر. وهو ينفض غبار الموت عن منكبيه حتى وصل الى حلته واجتمع بأبيه واخوته فأخذ يلوم جساس على مافعله وكيف انه تجاسر على كليب وقتله وعلم قومه بما عزم عليه الزير فخاف الكبير والصغير وأيقنوا بالهلاك والتدمير واستعدوا من يومهم للحرب والكفاح هذا ما كان من بنى مرة وأما الزير صاحب الشجاعة والقدرة فانه بعد دفنه للملك كليب اشتعلت بقلبه لهيب النار واعتراه الاصفرار نصار يلطم وجهه بيده ويدق عظم الامر عليه حتى رقت شعر شاربيه ومع ذلك لم تنزل من عينيه دمعة لانه كان من الجبابرة السبعة وكان يقول وحق رب العباد لا بد أن أفنيك يا بنى بكر الاولاد وأقتل الشيوخ والاولاد ولما طال عليه المطال وهو على هذا الحال قال له شيبان بن همام دع عنك هذا الكلام واشرب المدام فانك عاجز يخال من هذه الفعال فمن أنت من الابطال حتى تتكلم بهذا المقال وتتباهى على الامراء وأكابر الرجال مع كان همام وصى جساس ثم أنشد يقول وهو السامعين يطول

أنشد شيبان وقال بيوت ودمعى من عينى هطال
يا خالى اسمع ما أقوالك وحط قولى وسط البال
خلى المرج وطى النفس واترك عنك قيل وقال
تقول تكيد بنى مرة وتقتل لى كل الاطفال
غدا يا خال هم يأتوك بجيل كثير ونعم رجال
تظهر خيول عليك تجول ودق طبول كما الزلزال
ترج الارض بطول وعرض تروحوا قتل بضرب صقال
يجى جساس قوى البأس كذا العباس زكى الخال
ويأتى عمر بجيل ضمر وصقر زعر وأبو جفال
يجى ملك القرم كأن بيوم الكون كسبع صال
وأخى شيبون طل مجنون وابى همام ان جال ومال
وتأتى الشوش وكل عبوس يخلو الروس تلال تلال

فلما انتهى شيبان من كلامه أجابه الزير على شعره ونظامه :

يقول الزير أواه أواه يا ابن اختى عقلى زال
أتاريك انت عدو مبين كلامك ما حلا لى حال
وأنا العربيد بيوم نكيد للروس أكيد بطعن عوال
أكيد الشوش بقطع الروس أنا الجبار لغير محال
وبعد كليب لأبيع الروح أشلكم بالرمح شلال

أنت يا ابن أختي اليوم فطوري عدت بغير محال
وأبوك أغدى سيفي فيه وعشى الرمح من الابطال

قال الراوي فلما فرغ الزير من انشاده نهض الغلام ليركب على ظهر جواده ويلحق بأبيه وأعمامه نضر به الزير بحسامه وألقاه على الارض قتيلا وبدمه جديلا ثم قطع عنقه ووضعه في مخلاة حصانه ولفها في قربوس السرج وتركه فسار الجواد حتى وصل الى القبيلة وسار الى بيت مولاه فلما رأت أم الولد جواد الغلام على تلك الصفة قالت للجارية دونك جواد سيدك فتقدمت الجارية وأخذت المخلاة فوجدت رأس شيبان فاستعظمت ذلك الشأن وأعلمت مولاتها بواقعة الحال فطار عقلها لما نظرت رأسه مقطوع فضجت بالبكاء والنواح والعويل فاجتمعت نساء الحي من كل مكان ولما سمع همام الخبر طار من عينيه الشرر فبكى وأن واشتكى وقال لزوجته ضباع أنظرت مافعل أخوك فلا الله لا يبقى له عين ولا أثر فشقت ثيابها وسارت الى عند أخيها المهلهل ولامته على مافعل وقالت له تقتل ابن أختك يا شديد حيلك ثم صارت تقول :

يقول ضباع ياسالم علامك بجاه الله ما سويت بابني
بثأر كليب تقتل ابن اختك وتحرق مهجتي وتزيد حزني
حزنت على كليب وما جرا له وحزني في صميم القلب مبني
ولكن قد حكم ربي مراده وربي ما كتبه لي يصيبني

فاجابها الزير يقول في هذه الابيات :

يقول الزير من قلب حريق بقتل كليب زاد اليوم حزني
ألا يا أخت قلبي من بكاك ولا تخشين من أمر يعني
فو الله ثم والله ثم والله اله العرش منذ ادعو يجبني
فلابد لي من حرب الاعادي وأقتل كل جبار طلبني

فلما فرغ الزير من كلامه قالت لله درك ياسالم ياقهار الاسود القشاعم لقد زالت لوعتي وخفت عني الاحزان لما سمعت شعرك يافارس الفرسان وعرفت ما أنت معول عليه من الحرب والطعان وأخذ الثار وكشف العار ثم رجعت الى الديار وهي في قلق وأفكار هذا ما كان من أمرها قال الراوي ولما اشتهر قتل كليب ووصل الخبر الى أساته وعلمت بذلك جميع أهله وبناته فمزقوا الثياب وأكثروا من البكاء والانتحاب ولطمت الوجوه الملاح ووقع في الحي العويل والصياح وكسرت الفرسان السيوف والرماح وخرجت بنات كليب من الخدور وهن متهتكات الستور ناشرات الشعور حافيات الاقدام يلطمن المهول والاكمام وقدامهن أختهن اليمامة وكان ذلك اليوم مثل يوم القيامة ولما وصلن اليه وجدن الطيور رافرفة عليه فوقعن على جثته وقبلن يديه وارتمين حواليه ولما قرأوا ذلك الشعر الذي كتبه على الصخر زادت أحزانهن وأخذن يلطمن على وجوههن

ثم أقبلت أخوة كليب الى ذلك المكان وازدحمت الرجال والنسوان والابطال والفرسان والسادات والاعيان يرثوه بالاشعار وجروا دموعهم كالانهار واما ابنته اليمامة فعلمت أنه لا يوجد من يأخذ بثارها ويطفى لهيب نارها سوى البطل الاوحد والسيف المهند والشجاع الشهير الذي ليس له فى ذلك العصر نظير عمها المهلهل الملقب بسالم الزير فسارت هى واحتبها اليه وتواقعت عليه وقالت والله يا عماه ما كانك حزنان بما جرى علينا وكان من طوارق الزمان بقتل أخيك كليب ملك العصر والاوان ثم وقعت مغشيا عليها فى حجره فضمها الى صدره وقد حار فى أمره ولما أفاقت اشتدت عليها الحسرات فأنشدت هذه الابيات

مات أبي يا عم في طعن القنا غدر به جساس ذا الكلب المشوم
وأنت اليوم جالس فى صفاك يا مهلهل بالعجل انهض وقوم
يا مهلهل ضاقت الدنيا على وسقانى البين كاسات السموم

قال الراوى فلما فرغت اليمامة من هذا الشعر والنظام زادت على المهلهل الاوجاع والآلام فنهض على الاقدم كانه سبع الآجام وصار النهار فى وجهه مثل الظلام وقال لبنات أخيه سوف ترون ماأفعله وأجريه ثم اعتد بآلة حربه وجلاده وركب ظهر جواده وسار مع البنات يقطع الاراضى والفلوات حتى وصل الى ذلك المكان فوجده مملوءا بالابطال والفرسان والبنات والنسوان وهم يبكون ويلطمون وينوحون ويندبون فلما رأوا المهلهل قد أقبل فتحوا له طريقا حتى دخل فوجد أخاه وهو مطروح والدم من جسده تقطر وتسوح والناس واقفة حواليه فألقى نفسه عليه وهو يبكى من ملوعينيه وهو يقول سلامتك يا أبا اليمامة يا صاحب الجاه والكرامة لقد أحرقت قلبي بفقدك فلا كان من يعيش بعدك ولما اشتد عليه الامر أرته اليمامة وصيه أخيه المكتوبة على الصخر فقرأها وقال وحق الاله المتعال انى لا أصالح الى الابد مادامت روحى فى هذا الجسد ثم بكى وتنهد ورثاه بهذه القصيدة أمام السادات وكبار العمد وهي من أجود مراثي العرب وأحسن أشعار أهل الفصل والادب

غدرك جساس ياعزيزي وسندي وايت جساس من يحسب تواليها
لا أصلح الله منا من يصالحهم حتى يصالح ديب المعز راعيها
تولد البغلا الحصرا خماجة وأنت تحيي من الغبرا تلبيها
وتحلب الشاة من أسنانها ابن وتسرع النوق لا ترعى مراعيها

قال الراوي فلما انتهى الزير من هذه المرثاة الغراء وسمعتها السادات والأمراء تعجبوا من فصاحة لسانه وقوة قلبه وجنانه وما احتوت عليه من الانفاظ الرقيقة والبلاغة الدقيقة وقالوا والله لقد أجاد سالم الزير وفاق على الشعراء المشاهير بهذا الكلام [illegible] ثم اجتمعت الامراء والمقدمين وعولوا للحرب المجتمعين انهما عاد ينفع [illegible] والانتحاب و[illegible] اكرام الميت دفنه في التراب ثم [illegible] كليما الى الديار ودفنوه كل احتفال [illegible] واحتفال وفخر [illegible] بنفائس [illegible] ودفنوه في أعظم القبب [illegible] ثم [illegible] من [illegible] الله [illegible] وهي هذه الأسماء [illegible] الكتب [illegible]

(أسماء الله الحسنى)

هو الله الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدىء المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعال البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور .

قال الراوي وبعد ان تلوا أسماء الله [illegible] سمعتها السادات ورؤساء العشائر ودفنوا كليب كما تقدم الكلام وذبح الزير على قبره النوق والاغنام وفرق المال على الارامل والايتام ثم جلس في الديوان وجمع الاكابر والاعيان والابطال والفرسان واحدقت به الشجعان فقال لهم اسمعوا أيها الامراء الابطال ان جساس تعدى عليكم وقتل ابن عمكم وسيدكم فاستعدوا لأخذ الثار وكشف العار [illegible] الاشرار فلما سمعوا منه هذا الكلام أجابوه لذلك المرام وقالوا عن فرد لسان إنا بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك لان الامير كليب لا ينتسى ولم تلد مثله النساء ثم انهم

تحالفوا معه وعاهدوه وعلى كرسي المملكة بايعوه وأجلسوه فلما تم ذلك على القبيلة طرد امرأة أخيه الجليلة فسارت إلى بيت أبيها مع أهلها وجوارها وكانت حاملة بولد ذكر سوف يأتي عنه الخبر واستعد الزير من ذلك اليوم لقتال القوم وحلف أعظم الاقسام أنه لا يشرب المدام ويتلذذ بطعام حتى يأخذ ثاره بحد الحسام وينتقم من بني بكر أشد الانتقام أو أنه يموت تحت أرجل الخيل ولا يبالي بالويل ثم أمر الرؤساء والقواد بجمع العساكر والاجناد وان يكونوا في استعداد للحرب فامتثلوا أمره في الحال وتجمعت الفرسان والابطال حتى امتلأت الروابي والتلال وكانت قد انضمت إليه عدة قبائل، وأمدوه بالعساكر والجحافل حتى صار في أزيد من مائة الف مقاتل وكان لما بلغ بني بكر هذا الخبر اعتراهم القلق والضجر وخافوا من العواقب وحلول النوائب فجمعوا المواكب والكتائب وسار بهم الامير مرة إلى الذنائب وهو مكان شهير يبعد ثلاثة أيام عن قبيلة الزير وهناك انضمت اليهم بعض قبائل من العربان فكانوا نحو ثلاثمائة الف عنان وأقاموا في المكان ولما سمع الزير برحيل مرة وأولاده إلى تلك الديار قال لا بد أن أقتفي منهم الآثار وأفني الكبار والصغار ثم أمر القائد الكبير بسرعة المسير فامتثلوا أمره وفعلوا كما ذكر وفي الحال دق طبل الرجوع فارتجت منه السهول والمروج وهو الطبل الذي كان للتبع حسان ولم تكن إلا ساعة من الزمان حتى ركبت الأبطال والفرسان وركب المهلهل متسربلا بالسلاح كأنه ليث البطاح وعلى رأسه الرايات والبنود ومن حوله القواد والجنود فعندما سارت المواكب قاصدة الذنائب ومازال العسكر تقطع البر الاقفر الى أن أشرف على تلك الديار في اليوم الثالث عند نصف النهار ولما اقترب وانكشف للعيان رآه الامير مرة ومن معه من الرجال والفرسان قالوا وحق الاله القدير المتعال لقد أقبل علينا سالم الزير بالجموع والجماهير والفرسان المشاهير اليوم تباع الارواح بيع السماح وفي عاجل الحال انتخب الامير مرة مائة ألف من الابطال لملاقاة الاعداء في تلك البيداء وكان المقدم عليهم ابنه الامير جساس وجماعة من عظماء الناس فسار ذلك الجحفل طالبا جيش المهلهل ثم فرق مائة الف أخرى في جانب الصحراء وقدم عليهم ابنه همام وحثهم على الحرب والصدام وأقام هو بباقي العسكر في الجانب الايسر حتى إذا انكسرت الفرقتان يحمل بمن معه من الفرسان ولما شاهد المهلهل تلك الحال وازدحام الابطال قسم عسكره الى ثلاثة أقسام وتقدم ولما اقتربت العساكر من بعضها البعض وانتشرت جموعها في تلك الارض حملت الفرق على الفرق وهجم الجيش على بعضه وانطبق وقصد المهلهل فرقة الامير مرة بعشرة آلاف من أهل الشجاعة والقدرة وفي الحال اشتبك القتال وعظمت الاهوال وجرى الدم وسال وارتجت الوديان والتلال من قعقعة النصال فكان يوما مريعا وحربا فظيعا يشيب منه رأس الغلام قبل الفطام فما كنت ترى إلا رؤسا طائرة ودماء قاترة وفرسانا غائرة فلله در المهلهل وما فعل في ذلك اليوم من العمل فانه هجم هجوم

الاسود وفرق المواكب والجنود ونكس الرايات والبنود وقتل كل جبار وعرود وكان كلما قتل فارس يقول يالثارات كليب ملك العرب ويلقى بنفسه فى مهاوي العطب أملا بالنصر وبلوغ الارب.



ومازال على تلك الحال حتى قتل خمسمائة من الابطال ولما اشتدت الاهوال تاخرت عنه الرجال خوفا من الهلاك والوبال وهو يجول ويدور ويهدر كالاسود والنمور ويقول واكليباه قتيل الحزور أين عيناك اليوم يرانى وتشاهد حربى وطعانى فياليتنى كنت فداك ولا كان من يسلاك

قال الراوى وكانت نيران المعامع والحروب والوقائع مشتبكة فى ثلاثة مواضع واستظهرت جيوش المهلهل على أعداها وبلغت غاية مناها وفعلت فى الفرق فعل سيدها ومولاها واستمر القتال على هذا الحال من الظهر الى غروب الشمس وكان قد قتل من بنى بكر أوفى من ثلاثين ألفا ومن جماعة المهلهل نحو خمسة آلاف بطل فعند ذلك دقت طبول الانفصال فارتدت من بعضها البعض الابطال ونزلوا الخيام ورجع المهلهل وهو قاهر وغالب كانه حلة أرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان فاجتمع بالسادات والاعيان فى الصيوان فهنوه بالسلامة وقالوا ثلاث تسكون الشجعان بازينة لا كوان وجوهرة هذا الاوان فشكرهم على هذا الكلام وأوعدهم بالخير والانعام ثم أكلوا الطعام وأخذوا يتذكرون أمر الحرب وكان للمهلهل صديق يركن اليه ويعتمد عليه فى أموره

عليه قوى الجنان فصيح اللسان يقال له امرؤ القيس بن أبان وكان يقاربه بالفروسية ويساويه بالفصاحة والهمة العلية وقاتل معه فى ذلك اليوم وفتك فى صناديد القوم وكان لا يفارق الزير فى القتال يحميه من غوائل الرجال فقال له المهلهل ما هو رأيك يا ابن أبان فى الهجوم على الاعداء اللئام تحت جنح الظلام وانى والله كلما تذكرت بقتل كليب تتوقد بقلبى النيران وليس لى صبر ولا سلوان فقال له مهلا يا أمير مهلهل فان النهار قد اقترب ولا بد لنا من بلوغ الارب لان القتال فى الليل يجلب علينا الهم والويل فتختلط الاحزاب ولا نعود نعرف الاعداء من الاحباب لان الظلام يحجبنا عن بعضنا البعض وتتشتت فى هذه الارض فاستصوب الزير مقاله وهكذا فعلت فرسانه وأبطاله قال الراوى وبات الجيشان يتحادثان وأوقدوا النيران وكانت بنو بكر وباقى قبائل العرب قد باتت فى شدة وتعب وأيقن الامير مرة أنه سيغلب ويقهر من سيف الزير الاسد القسور ولما أصبح الصبح وأضاء بنوره ولاح تبادرت العساكر الى ميدان الحرب والكفاح واصطفت الفرق الى صفوف وترتبت المئات والالوف وتأهب المهلهل للحرب واستعد للطعن والضرب فركب ظهر الحصان وتقدم الى معركة الطعان وتبعه امرؤ القيس بن أبان وقواد الابطال والفرسان بقلوب أقوى من الصوان وكذلك ركب الامير مرة بقية الفرق واعتقلوا بالسلاح والدرق فعند ذلك دقت الطبول وصهلت الخيول وارتفعت الرايات على رؤس الامراء والسادات من جميع الجوانب والجهات وهجم كل فريق على فريق وتقاتلوا بالسيوف والمزاريق والتقت الامم بالامم وقام الحرب على ساق وقدم ومامضى ساعة النهار حتى اشتد لهيب النار وطلع القتام والغبار وانذل الجبان وحار وارتفع الصياح وعلا وارتجت أقطار الفلا ولبست الارض من الدماء حللا وعظم بينهم البلا والويل وعاد بياض النهار كسواد الليل وقاتل المهلهل فى ذلك اليوم وما قصر وفعل فعالا تبقى وتذكر فانه اقتحم صفوف الاعادى كانه ليث الوادى وجال فى الميامن والمياسر وطعن فيهم طعنا يذهل النواظر ويحير العقول والبصائر وهو يقول يالثارات كليب مهجة فؤادى ومن كان سندى واعتمادى ولما طال المطال وشفى غليله من قتال الابطال أنشد وقال

ذهب الصلح أو تردوا كليبا ‏ ‏ أو نبيد الحيين بكرا وذهلا

ذهب الصلح أو تردوا كليبا ‏ ‏ أو تعم السيوف شيبان قتلا

ذهب الصلح أو تردوا كليبا ‏ ‏ أو أذيق الرجال قهرا وذلا

فتعجبت الفرسان من شعره وهمته وانذهلت من هول قتاله وكذلك اندهشت باقى أبطاله ومازال الحرب يعمل والدم يبذل والرجال تقتل الى أن ولى النهار وارتحل ودخل الليل وأقبل فعند ذلك رجع المهلهل بباقى الجيش والجحفل وجمع أكابر عشيرته وأصحابه وإخوته وأخذوا يتحادثون فيما يجري ويكون فاستقر الرأى على سرعة الانجاز والجد فى الحرب والبراز قبل أن يطول الامر وتفوتهم الغنيمة والنصر ثم انهم أكلوا الطعام وباتوا فى الخيام وعند طلوع النهار وأشرقت الشمس

بالانوار تأهبوا للحرب والكفاح فتقلدوا بالسيوف والرماح ودقوا الطبول وركبوا ظهور الخيل وتقدمت الفرسان والابطال الى ساحة القتال وكذلك فعل الاميرمرة والامير جساس ومن يلوذ بهم من عظماء الناس والتقت العساكر بالعساكر وتقاتلوا بالسيوف والخناجر وكان الامير المهلهل فى أول الجحفل فصاح وحمل و"تقى الفرسان بقلب أقوى من الجبل وهو يهدر كالاسد ويضرب فيهم بالسيف المهند ويقول لثارات كليب ليث الصدام وزينة الليالى والايام وكان كلما قتل فارسا يعيد هذا الكلام فقصدته الابطال من اليمين والشمال وهو يضرب فيها الضرب الصايب ولا يبالي بالعواقب حتى مزق الصفوف بحملاته وفرق الالوف بتواتر طعناته وما انتصف النهار حتى قتل مائة بطل كرار وكان من الابطال والفرسان المذكورة وكذلك فعل امرؤ قيس بن أبان وباقي القواد والشجعان ومازالوا على تلك الحال الى أن ولى النهار بالارتحال ارتدوا عن الحرب والصدام ورجعوا عن المضارب والخيام وكان قد قتل من عرب جساس فى ذلك النهار عشرون الف بطل كرار ومن عرب المهلهل نحو ثلاثة آلاف بطل ولما أصبح الصباح استعدت الفرسان للحرب والكفاح فركبوا ظهور الخيول وتقاتلوا بالسيوف والنصول وهجم المهلهل على الفرسان الفحول كانه الغول وهو ينشد ويقول

هلموا اليوم نلقى آل مرة ... ولو كانوا ثلاثين الف كره
وسيف المهند يقطع فى يمينى ... فلا نخشى المهالك والمضره
فاحموا يا بنى عمى ظهرى ... فتحظوا بالامانى والمسره
فكل الناس ترهب من قتالى ... اذا ما جلت فى الميدان كره
فسوف أبيد جساسا وقومه ... وأسقيهم بحربى كأس مره

ثم انه حمل على الكتائب والمواكب وأظهر بأفعاله الغرائب والعجائب وقتل كل شجاع غالب قال الراوى ومازال القوم فى حرب وصدام وقتال وخصام مدة ثلاثة شهور على التمام حتى أشفى الزير من بنى بكر الغليل وقتل منهم كل سيد جليل وفارس نبيل وكان عدد من قتل منهم فى تلك الوقائع نحو مئة الف مقاتل بين فرسان ورجال وقتل من جماعة المهلهل نحو عشرة آلاف بطل فلما رأى جساس ما حل بقومه من النوائب خاف من العواقب وانهم اذا ثبتوا أمامهم يهلكون هلاك الابد ولا يبقى منهم أحد فولى وطلب لنفسه الهرب مع باقي طوائف العرب وغنم الزير غنايم كثيرة وأموال غزيرة ورجع بمن بقي معه من الابطال الى الاطلال وهو فى أحسن حال وأنعم بال ونزل فى قصر أخيه وصارت ملوك العرب تكاتبه وتهاديه وكان يترقب الاوقات للحروب والغارات فشكرته اليمامة على ما فعل وقالت لا عدمتك أيها البطل فانك أخذت الثار وطفيت لهيب النار ورجعت بالانتصار فشكرها على هذا الكلام وقال وحق رب الانام لا يشفى فؤادى ولا يطيب لذيذ رقادي حتى أقتل الامير جساس وأجعله مثلا بين الناس وهذا الامر سيتم عن قريب باذن الله السميع

العجيب قال الراوى وبينما هو يترقب الاخبار ويقتفى من القوم الآثار اذ دخل عليه العابد النعمان الذى تقدم ذكره قبل الآن وكان من أصحاب الزير وأصدقائه المشاهير فسلم عليه وتمثل بين يديه فنهض له قائما على الاقدام وأكرمه غاية الاكرام وبعد ان جلس قال للزير اعلم يا أمير انى أتيت الآن من بعد مكانى أولا لاهنيك الانتصار وأعزيك لى فقد ذلك الاسد الكرار وثانيا لاعلمك انه ظهر لى فى المنام من مدة عشرة أيام رؤيا عجيبة تشير الى احوال غريبة وهو انه قادم عليك سبعة سنين منحوسة وأيامها عليك معكوسة فاياك من هذا النهار أن تحارب أحدا من ملوك الاقطار بل تجنب وقوع الفتن وتبقى مرتاحا فى الوطن فمتى تمت هذه الايام والليالى رافقك السعد والاقبال باذن الاله المتعال فان حاربت انتصرت واذا قاتلت ظفرت وقهرت فشكره المهلهل على ذلك الاهتمام وغمره بجزيل الانعام ومن ذلك اليوم أخذ لنفسه الحذر وتجنب مخالطة البشر وكان يصرف أيامه بشرب المدام وأكل الطعام واشتهر الخبر فى القبائل بان الزير قد أوقف الحرب مدة سبع سنين كوامل قال الراوى وكانت بنو مرة قد هجت فى الاقطار خوفا من الهلاك والدمار وندم جساس غاية الندم بقتل كليب الاسد الغشمشم ومازال وقومه فى خوف وحذر من عواقب الامور الى ان بلغهم خبر توقيف القتال فزالت عن قلوبهم الهموم والاوجاع ورجعوا الى الاطلال هذا ما كان من بنى مرة وجساس وأما المهلهل الفارس الدعاس فانه استمر على تلك الحال وهو فى أرغد عيش وانعم بال الى أن كانت نهاية السنة السادسة وركب الى الصيد والقنص فى جماعة من فرسانه وابتعد عن الديار نحو ثلاثة أيام ومن الاتفاق الغريب ان الامير جساس رأى حلما فى بعض الليالى وهو انه وجد بقرب صيوانه حوض من الماء فبينما كانت قومه تشرب واذا بذئب كاسر قد جاء الى ذلك الحوض وهو بصفة جمل كبير وله ثمانية أنياب فشرب من الماء ثم ضرب الحوض بنابه فانشق من جانبه وتهور ذلك الماء حتى كادت قومه ان تهلك من شدة العطش والظمأ ثم رأى النساء والاولاد بثياب السواد والدم جارى مثل المجارى والجمل تنهش بعضها البعض ودماها يسيل على وجه الارض فاستيقظ جساس خائفا من هول ذلك المنام فاستدعى إخوته وبنى الاعمام وقص عليهم ما رأي وأصر فاستعظموا ذلك الامر وقالوا لا يوجد من يقدر على تفسيره سوي المنجمين فالاحسن عندك ارسل واستدعى عمار الرياحى فانه يفسره لك على يقين فأرسل اليه وحضر وقص عليه ذلك الخبر فضرب الرمل وزنم الاشكال فبانت حقائق الاحوال ثم التفت إلى جساس ومن حضر هناك من الناس وقال لهم هذا المنام من عجائب الايام وهو يدل على شر عظيم وخطب جسيم سوف يحل عليكم من سالم بوقت قصير وقد ظهر لى أيضا بان عنده أخا المهلهل عنده مهر ادهم اسمه عندى قوى العصب والحيل عديم المثل فى الخيل فسعد الزير مقرون بهذا الحصان وبه ينتصر فى الحرب والطعان فاذا ملكتم هذا الجواد نلتم المراد وأسرتموه فى القتال والطراد فلما سمع جساس هذا الكلام استبشر ببلوغ المرام وقال لهم بلغنا بأن الزير غائب عن القبيلة وما فى الحى غير النساء

والحصان موجود فى الديار وهذه أوقات الفرصة وازالة الغصة ثم أرسل رجلا ليكشف الخبر فسار ثم رجع وأخبره بصحة الكلام فعند ذلك ركب جساس فى ثلاثة الاف بطل وطرق ديار المهلهل على عجل وأحاط بساحة الدار من اليمين واليسار فاستعظمن بنات كليب ذلك الامر ولم يعلمن السبب فطلت اليمامة رأسها من الشباك وقالت له وهو راكب على ظهر الفرس ماهو الداعى يا خالى بقدومك الى الحى بالابطال والحي خالى من الرجال فقال لها جينا نطلب المهر الادهم المدعو بعندم فقالت له أهلا وسهلا بك ومهما طلبت فلا نمسكه عنك غير أنه لا يخفاك بان المهر خاصة عمى عديه فلا يمكننا أن نسمح فيه وأشارت تقول :

لقد قالت يمامة فى بيوت ... ألا يا مرحبا فيكم خوالى
ألا يا مرحبا فيكم جميعا ... عداد القطر مع عدد الرمالى
بكم قد حلت البركة علينا ... وزال الشر عنا والنكال
فمهما تطلبوا منى تشوفوا ... خيولا مع بغال مع جمال
ولكن مهر عمى غير ممكن ... أسلمه فان المهر غالى

قال الراوى فلما سمع جساس شعرها أجابها يقول على كلامها

تعالوا اسمعوا قول اليمامة ... تقول المهر لا أعطيه غالى
فانى قاصدا أخذه سريعاً ... ولا أخشى العداه ولا أبالى

قال الراوى فلما فرغ من شعره نزل عن ظهر الفرس ودخل الى الاصطبل وأخذ ذلك المهر ووضع عليه العدة وركبه وقال لليمامة لقد أخذت الحصان وغدا أطارد كم على ظهره ثم سار وهو فرحان حتى وصل الى الاوطان فقال لاخوته لقد أتيت بالحصان ومرادى أجربه بالميدان فانتخبوا الان ثلاثين رأس من جياد الخيل فاركبوهم واكمنوا فى عشرة مكامن وأنا أمر عليكم أسرع من الريح فاتبعونى فى البر الفسيح فان سبق هذا الجواد بلغنا به المراد فى الحرب والطراد فاجابوه الى ما أراد وركبوا الخيل الجياد وركب سلطان أخو جساس القميرة ووقف فى آخر كمين وركب جساس ذلك الحصان وأطلق له العنان فسار به فى تلك القفار أسرع من الطير اذ طار ولما اقترب من الخيل تبعته فسبقها جميعها ماعدا القميرة ففرح به جساس ثم نزل عن ظهره وأمر العبيد أن يربطوه بقرب صيوانه ووكل به مائة عبد وقال لقد أقبل علينا السعد وسوف نقتل ذلك الوغد هذا ما كان من جساس وأما الزير فانه عند رجوعه من الصيد استفقد ذلك الحصان فلم يجده مع الخيل فصعد الى القصر وسأل اليمامة عنه وأشار يقول

يقول الزير أبو ليلى المهلهل ... بدمع قد جرى منى بداد
يمامة رحت أنا الصيد قاصد ... وقومي واخوتى ثم الجناد
لنا عشرون يوما فى فلاة ... درنا من بلاد الى بلاد

صدنا الطير و وحوش كثيرة ... وردينا رجعنا للبـلاد
طلبت لمهر أخي فما لقيته ... شرد عقلي وعني راح غاد
فاين المهر قوطر يا يمامة ... عدم صبري وفارقني رشادي
أمات المهر أم أحد أخذه ... من الاوباش والناس الاعادي

فلما سمعت اليمامة شعر عمها أجابته تقول

تقول يمامة ألا يا عم اسمع ... ألا يا عم جاءتنا الاعادي
أني جساس أخذه غصب عني ... أنا حرمة وما لي من جلاد
فقلت تأخذه يا خال تندم ... يجيكم غدا على خيل جياد
فقال غدا ألاقيكم بعزمي ... على ظهره وأوريكم طرادي
له يا عم ثلاث أيام غائب ... وقد زادت غمومي بازدياد
فقم يا عم شد الخيل واركب ... بعسكر كأنه ردف الجراد
اضرب في بني مرة بسيفك ... واحصد جمعهم مثل الحصاد
يا عم عديه اليوم يومك ... يا عزي وفخري واعتمادي
هاتوا رأس جساس سريعا ... واجبر خاطري واشفي فؤادي

فلما فرغت من شعرها ونظامها أجابها الزير يقول

يقول الزير قهار الاعادي ... أنا السبع الجسور بكل وادي
غدا لا بد أجهـد في لقاهم ... وأحصد جمعهم يوم الجلاد
وآخـذ ثارنا من آل بكر ... واطفي النار من طي الفؤاد
وآخـذ مهرنا المدعي بعندم ... ويظهر ذكرنا بين العباد
فمن يذهب يخبر آل مرة ... أتاكم اليوم ذباح الاعادي
أتاكم مهلهلا مع آل تغلب ... أسود الحرب في يوم الطراد
ألا يا آل مرة سوف أشفي ... بقتل جميع ساداتكم فؤادي
ولا يخفاكم يا آل مرة ... بقتل كليب صرتم لي أعادي

فسا انتهى الزير من شعره دخل وجلس في الديوان وجمع اخوته والامراء والاعيان وأخبرهم بواقعة الحال وقال لهم ما هو رأيكم في استجلاب الحصان فقالوا الرأي رأيك ونحن طوع أمرك فقال متى جاء الصباح تركبوا الى ثلاثة آلاف فارس وتكمنوا في وادي هجين وأنا كمن في وادي المعلا وكان هذا المكان يبعد عن حي بني مرة مسافة ميل ثم قال لاخيه عدية وأنت قم الآن وغير زيك حتى لا تعود تعرف واذهب الى بني مرة بصفة سائس واحتال على جلب الحصان والحقنا الى ذلك المكان فانهم اذا لحقونا الى هناك أبدناهم أجمعين بعون رب العالمين وآخذ ثارنا من جساس

للعين فاستصوب الجميع رأيه ثم ان عدية قام من ساعته ولبس ثيابا ممزقة وتعمم بعمامة والتحف بحرام عتيق وغير زيه وتنكر وسار يقطع البر الاقفر الى أن دخل حي بني مرة فقصد صيوان جساس عند الظلام فركض بين أطناب الخيام ولما كان الصباح جلس الامير جساس واجتمعت حوله أكابر الناس ثم وضعوا موائد الطعام وأخذوا يتذاكرون بالكلام فبينما هم كذلك اذ حانت من جساس التفاتة فرأى عدية وهو على تلك الصفات فشفق عليه وأمر بعض غلمانه أن يطعم ذلك الفقير ويسأله عن حاجته ومن أي بلاد فاخذ له الغلام صحن الطعام وسأله عن بلاده فقال انني من بلاد الصعيد وصنعتي سياسة خيول الاجواد فقد جار علي الزمان فاتيت من الاوطان قاصدا أهل الاحسان الى أن وصلت الى هذا المكان فطيب الغلام خاطره وأعلم مولاه بحاله فقال جساس اذا كان من الصعيد فهو قادر على سياسة الخيول من العبيد فدعوه يسوس لنا عندم المهر الجديد وأنا أعطيه كلما يريد وان وجدته من الماهرين سلمته جميع خيلي وجعلته رئيس اصطبلي فلما بلغه الغلام ذلك الكلام دعا لجساس بطول العمر ثم تقدم الى المهر فك قيوده وقبله بين عينيه وقال هذا يومك أيها الجواد فقد بلغت الان المراد وكان المهر لما رأى صاحبه وعرفه مال اليه وائتلفه فتعجب جساس وباقي الناس لان الجواد كان لا يالف أحد من العبيد الموكلين عليه وكل من قاربه ضربه بيده ورجليه فقال جساس وحق رب الانام أن هذا السائس يستحق الاكرام أما عدية فانه لما تمكن من المهر ركب على ظهره ثم لكزه برجليه وصاح فسار به كهبوب الرياح وجد في قطع البطاح كانه طير بلا جناح فرأى جساس تلك الحال تغيرت منه الاحوال وعلم أنها حيلة تمت عليه فلطم على خديه وصاح على الابطال والفرسان وقال دونكم هذا الشيطان فقد احتال علينا بالمقال وخدعنا بالمكر والاحتيال حتى بلغ منا الارب فعند ذلك ركب الفرسان ظهور الخيل واعتقلوا بالسيوف والنصول وتبعوه في تلك السهول وهم يصيحون به الى أن وصل الى ذلك الوادي والغدير فوجد أخاه سالم الزير وهو كامن هناك مع جماعة من الابطال المغاوير فاعلمه بواقعة الحال وقال له خذ حذرك الآن فقد أتتك الفرسان من كل جانب ومكان فتبسم المهلهل وقال سوف ترى ماذا أفعل ثم نزل عن ظهر حصانه وأعطاه لاخيه وأخذ المهر الادهم ووضع عليه عدة الحرب والجلاد ثم ركب عليه وتلملم واذا بالفرسان قد أحاطت به من كل مكان فصاح عليهم وحمل بقلب أقوى من الجبل ومال عليهم بالحسام كانه ليث الآجام فطير الرؤوس عن الاجسام وفتك فيهم فتك الذئب بالاغنام وفي أقل من ساعة أدركته باقي الجماعة الذين كانوا كامنين في وادي الهجين وانصبوا عليهم كالسيل واهين من الشمال واليمين وكان قد وصل الخبر الى جساس فأخذه القلق والوسواس فركب في باقي الابطال ومن يعتمد عليهم من الرجال وقصد ذلك المكان وقاتل قتال الشجعان والتقت الرجال بالرجال وتزلزلت الارض من هول القتال وكانت وقعة عظيمة انهزم فيها جساس أقبح هزيمة وغنم المهلهل غنيمة جسيمة ثم رجع الى الديار بالعز والانتصار فالتقته النساء بالدفوف

والمزاهر ثم طلع الى القصر منشرح الصدر فشكرته بنات أخيه على ما فعل وقلن لله درك ياعم فقد أخذت الثار وطفيت من القلوب لهيب النار فالله يحفظك لنا ويبقيك وينصرك على أعاديك فشكرهن على ذلك الكلام وبعد أن خلع ثيابه جلس للطعام وشرب المدام ثم دخلت عليه أمه فقبلته بين عينيه وهنأته بذلك الانتصار وطلبت منه أن يرفع عن بني مرة السيف البتار فاستقبلها بالوقار والاعتبار وقال هذا والله لا أصالحهم يا أماه حتى يعود أخي الى قيد الحياة ثم ذكر تلك الواقعة وماجرى له فى ذلك اليوم مع القوم فانشد يقول

يقول الزير أبو ليلى المهلهل ... وقلب الزير قاسى ما يلينا
وان لان الحديد ما لان قلبي ... وقلبي من حديد القاسينا
تريدي يا أميمة أن أصالح ... وما تدرى بما فعلوه فينا
فصبح سنين قد مرت على ... أبيت الليل مغموما حزينا
أبيت الليل أنعي فى كليب ... أقول لعله يأتى الينا
كأن كليب فى رؤوس العلا ... تغشاه ذئاب جائعينا
أتتنى بناته تبكى وتنعى ... تقول اليوم صرنا حائرينا
لقد غابت عيون أخيك عنا ... وخلانا يتامى قاصرينا
وأنت اليوم يا عمى مكانه ... وليس لنا غيرك معينا
سللت السيف فى وجه اليمامة ... وقالت لها أمام الحاضرينا
فقولى يا يمامة ما تقولى ... أنا عمك حماة الخائفينا
كمثل السبع أسطوا على الاعادي ... أقلبهم شمالا مع يمينا
فدوسى يا يمامة فوق رأسى ... على شاشا اذا كنا نسينا
فان دارت رحانا مع رحاهم ... طحناهم وكنا الطاحنينا
أقاتلهم على ظهر المشهر ... أبو حجلان مطلوق اليمينا
فشدى يا يمامة المهر شدى ... وارخى ظهره السرج المتينا
وهاتى حربتى رطلين وازود ... وحطيها على عود متينا
ونادى على عديه وكل قومى ... صناديد الحروب المانعينا
ونادوا اخوتى يأتوا سريعا ... لنلاقى جيش بكر أجمعينا
فنادتهم أتو كأسود غاب ... وقالوا لقد أتينا يا أخينا
وباتوا يحرسون الليل كله ... وعدوا الليل كله ساهرينا

فلما فرغ الزير من شعره ونظامه شكروه الجميع على مقاله وباتوا تلك الليلة في بسط وانشراح ولما أصبح الصباح أمر الزير قومه بالاستعداد للحرب والطراد فركب ظهر حصانه وتبعته الفرسان

وقصدوا بني مرة بقلوب قوية وهمم عالية فالتقاهم جساس مع اخوته وعشيرته واشتبك بينهم القتال وابتلت بنو مرة باسوأ حال وكان الزير يفعل فيهم كالمنجنيق واستمروا على تلك الحالة مدة سنتين حتى فقد من بني مرة في هذا الحرب لا خير نحو اثني عشر الف أمير هذا عدا عن السادات والعساكر وكان الزير يأمر قومه بقطع الرؤس ويضعها في مخازن لانه اقسم بالله انه سيبني البيوت من جماجمهم وباقي الاماكن فلما طالت تلك الحال واشتدت على بني بكر الاهوال اجتمعت أكابر الناس مع الامير جساس وأخذوا يتفاوضون كيف يتخلصون من الزير لكن لا يقبل منهم فدى وجميع وسائطهم راحت سدى فقال سلطان لاخيه جساس اعلم يا أخي بان الزير في كل صباح يمر على قبر أخيه كليب فيحييه بالسلام ويقول له لقد قتلت في ثارك كذا وكذا من الفرسان فهل اكتفيت أم لا فلا يجيبه أحد فالرأي أن تنتخبوا رجلا وتضعوه داخل القبة بحيث لا يراه أحد فاذا مر الزير على القبر حسب عادته وسأل أخاه ذلك السؤال يجيبه الرجل بصوت خفيف من قلب ضعيف لقد اكتفيت يا اخي فاغمد سيفك من هذا اليوم عن قتال القوم واياك وأذية البشر فان ذلك مما يجلب على الضرر فاذا سمع هذا المقال فربما ينطلي عليه المحال فيكف عن الحرب ونستريح من القيل والقال فاستصوب جساس وباقي الاعيان رأي الامير سلطان وكان في القبيلة رجل فقير الحال عديم الاشغال فاستدعاه جساس اليه وقص ذلك الكلام عليه وقال اذا بلغتنا الارب واجبتنا الى هذا الطلب أعطيناك ما تريد من النقود والعبيد فقال الاجرة مليحة لكن الطريق خطرة قبيحة فأخذ جساس يحمسه بالكلام ويشجعه بهذا الشعر والنظام .

على ما قال جساس بن مرة   الا يا فارغ الاشغال اسمع
فلي عندك أنا حاجة صغيرة   فتقضيها سريعا ثم ترجع
فان الزير أفنانا جميعا   وفرق جمعنا في كل موضع
ولا يقبل رجاء ولا عطايا   وعن أفعاله ما كان يرجع
بنار كليب صيرنا شرايد   واعدم في الوغى كل ليث أروع
يمر بقبره في كل صبح   ويزعق صوت للاكباد يصدع
يقول له نعمت أخي صباحا   أيكفي ماقتلت تريد أرجع
فاذهب واختبيء في القبر حالا   اذا صاح المهلهل أنت تسمع
اذا سألك أحارب أم أصالح   أجبه أنت يامحفوظ ارجع
رضيت أنا ومنهم نلت ثاري   وأنت بقتلهم لاعدة تطمع

عساه يظن انك أنت أخوه فيصفح عن مأثمنا و يرجع

فلما فرغ جساس من هذا الكلام قال له عديم الاشغال على العين والرأس ولما أمسى المساء حفروا سردابا أوصلوه الى القبر وأدخلوا ذلك الرجل فيه ولما كان الصباح ركب الزير الحصان وتبعته الفرسان ومر على قبر أخيه حسب عادته ونادى بصوت عالي نممت صباحا ياأخي كليب فقد قتلت في ثارك نهار أمس خمسة آلاف نفس أيكفي ما قتلت منهم أم أرجع فأفنيهم عن بكرة أبيهم فأجابه من القبر صوت خفيف وأنت نعمت صباحا ياأخي الحنون ياساقي الضد كاس المنون كف الحرب فقد اكتفيت وشفيت . وان قاتلتهم بعد اليوم تكون قد تعديت و بغيت فتزيدني ضررا وغما وكدرا فان نفسي قد بلغت مناها ونالت مشتهاها . فكثر الله خيراتك وزادت في الدنيا مسراتك

(قال الراوي) فلما سمع الزير هذا الكلام زالت أتراحه وزاد انشراحه . وقال سبحان الله الرحمن الرحيم محيي العظام وهي رميم . أنت ياأخي بخير ونحن بعدك نقاسي الضنك والضير ثم نزل عن ظهر الحصان ودخل الي القبر وهو فرحان وقال اذا كنت بخير ياأبا اليمامة فاهله السكنة والاقامة بعد العز والكرامة . فقم الى عند بناتك فانهن في حزن وكدر . ثم تقدم اليه وتأمل فيه فرآه انه ذلك الرجل المعهود . فغاب المهلهل عن الوجود . ثم جذبه من لحيته وأخرجه من السرداب وقال له أصدقني الخطاب من أنت ومن تكون قبل أن تشرب كاس المنون فأعلمه بالخبر وأوقفه على جلية الأثر فسل السيف ليقتله وقد أغاظه فعله فصاح أنا في جيرة كليب أخيك فلا كان من يعاديك فقد غرني جهلي لقلة عقلي حتى جرى ماجرى يافخر الوري فلما سمع الزير كلامه أبدى ابتسامه فصفح عنه وأعطاه جوادا من أحسن خيول العرب والف دينار من الذهب فدعاله بطول العمر وخرج من القبر وهو يقول والله ان الامير كليب يحمي اليوم الخائف في مماته كما كان يحميه في حياته ثم ارتد الزير الى القبيلة وهو يتعجب من تلك الحيلة وفي الغد ركب في فرقة من الابطال وقصد بنو مرة واشتبك بينهم القتال ومازالوا في حرب وصدام مدة عشرة أيام فانكسرت بنو مرة أشد انكسار وقتل الزير مقتلة عظيمة المقدار وكان يأتي برؤوس الجماعة فيضعها على قبر كليب مقدار ساعة ثم يدفنها تحت الثرى وكان كلما أقبل من الحرب عند المساء تلتقيه اليمامة مع باقي اخواتها فتقول له ياسيد الناس هل أتيت برأس خالي جساس حتى نخلع السواد و يطيب الفؤاد فيقول لها كوني براحة فسوف تنالين الارب

هذا ما كان من المهلهل وأما جساس فلما ضاقت به الحيل اجتمع مع أهله وعشيرته وعقدوا بينهم ديوانا فاستقر رأيهم على أن يذهبوا الى بلاد الحبش والسودان و يلتجوا بالملك الرعيني ابن

أخت تبع حسان فركب جساس في ثاني الايام مع اخوته واكابر مملكته وعشيرته وأخذ معه اخته الجليلة لتشفع فيهم عند عريم الملك الزعيني وبقي أخوه جاويش في الحي وكان الامير يحب الزير من أيام صباه فبعد رحيلهم حضر جاويش عنده وأخبره بماجرى وكان مسير اخوته الى الملك الحبش والسودان فاعطاه الزير الامان وقال له اني رفعت احار بكم من الآن حتى تحضر اخوتك الى الاوطان وتوقف الزير من ذلك اليوم عن محاربة القوم وصار يصرف أوقاته بالصيد والقنص هذا ما كان من المهلهل وأما ما كان من جساس فانه كان قد جد بمن معه في قطع القفار حتى وصل الي بلاد الحبشة وتلك الديار ودخل على الملك الرعيني ووقع عليه بعد ما أعلمه بحالتهم الحاضرة وطلب النجدة والمساعدة على حرب الزير وذكر له أيضا بأن كليب قتل خاله تبع حسان وهو قتله وبقتله قام أخوه الزير يطالب الثار حتى كاد يفنيهم فلما سمع الرعيني هذا الكلام قال لقد بلغت اليوم منكم المرام فلا بد من ذبحكم يا محمد الجسام لانكم من قوم لئام قتلتم خالي وأتيتم الآن تستجيروني بي ثم أمر بالقبض عليهم وكانت الجليلة واقفة في باب الصيوان هي مثل الطاووس لابسة أفخر ملبوس كأنها العروس فلما رأت ما جرى على قومها خافت من العواقب فسقت المواكب وتمثلت أمام الرعيني فقبلت أياديه ودعت له بطول العمر فلما رآها تعجب من فرط جمالها ووقع في شرك هواها فقال لها من تكونين يا مهجة الفؤاد فقالت أنا أخت القوم الذين قبضت عليهم بدون ذنب وأشارت تقول

مقالات الجليلة بنت مرة	أيا بو فهد اصحى دير بالك
وأنظر ياسياج البيض فينا	وانظر الذين وقفوا قبالك
أنا أنبيك يا ملك البوادي	أيا من بالملا شاعس فعالك
ملوك الأرض كنا يا سمي	فانت نظيرنا نحن مثالك
فما قد جرى كله مقدر	أيا فخر الورى من قتل خالك
قتل خالك كليب في جسامه	وقام أخي الذى واقف قبالك
قتل الكليب عن خالك بسيفه	كرامة خاطرك واصغى لبالك
ظهر لكليب أخ اسمه مهلهل	حرمنا النوم زاد الله مالك
قتل منا أماجيد كثيرة	أتينا واقعين على ديالك
فهذا اليوم يومك يا سمي	فدالطبل واركب برجالك
وسر معنا الى الزير المهلهل	فاقتله ودوسه في نعالك
واحكم سائر العربان وأملك	على أموالهم تبقي حلالك

ولا تشتفي العدا يا أميرفينا أتينا لك وصرنا من عيالك
وأنت صميدع شهم كريم جميع الخلق تفزع من خيالك

فلما فرغت الجليلة من نظامها وفهم الملك خوي قصدها ومرامها ثارت فى رأسه الحمية وقال لها لقد فهمت كلامك ياصبية ثم أشار يقول وعمر السامعين يطول

قال الرعينى أبو فهد قال ألا يا جليلة اسمعى المقال
وأنتم افهموا قولى ياملوك أولاد مرة تروى الهم زال
أتيتوا تلتجوا فى الجميع وقعتم على وقع العيال
من جور الزير يا أهل الكرم دهاكم ضناكم رماكم بحال
فواحياه رأسى ورحمة أبى وخالق الارض وراسي الجبال
لاركب عليهم بكل الفحول واجرد عساكر شبيه الرمال
وأقتل عداكم بحد السيوف وادع أنا الزير باسوأ حال
جليلة طيبي أنت وابشرى أنا فدا أخوك بحد الصقال
أيا أخي غطاس انهض الآن واجمع الفوارس والابطال
ونادي الجيش بان يركبوا ويتقلدوا السيوف الصقال
ودقوا الطبول وشدوا الخيول ومشوا الفحول شبيه العدال
فدعنا نسير نزيل الضير عن بنى مرة هذا النكال

(قال الراوى) فلما فرغ الرعينى من كلامه نهض أخيه عطاس والوزير وجمعوا الابطال والفرسان من عسكر السودان ونادى المنادى ان السفر يكون بعد ثلاثة أيام ولما تجهزت العساكر كان عددهم ستمائة الف بطل ففرح جساس ومن معه من الناس لما رأوا تلك السهول قد امتلأت بالخيول وفى اليوم الثالث دقت الطبول ولمعت النصول وسارت العساكر كالبحور الزواخر وفي أوائلهم الملك الرعينى وأكابر دولته وجساس وباقى عشيرته وماز الوا يقطعون البرارى والآكام حتى وصلوا الى بلاد الشام فأرسل جساس يعلم قومه بقدوم هذا العسكر وأن يهيئوا لهم الاطعمة والزخر فلما سمعوا هذا الخبر فرحوا فرحا عظيما وهيأوا لهم جميع ما يحتاجونه من الطعام والمدام وخرجت النساء والرجال لملاقاتهم ثم وصلوا الى الديار نزلوا فى المضارب والخيام وقد تباشر قوم جساس بالظفر وبلوغ الوطر

كل ذلك يجرى والزير ليس عنده علم بشىء من هذه الأمور بل كان مواظبا على السرور وشرب الخمور فبينما هو كذلك إذ دخل عليه أخوه عدى وقال له أنت جالس فى صفاك ولا تدرى الذى

دهاك وأشار يقول

لقد قال الفتى المدعو عديا   ودمع العين فوق الخد ساجم
أراك اليوم فى زهو ولهو   تنبه يا أخى ان كنت نايم
فقم إنظر الى ماسوف يجرى   من الاعداء يا ابن الا كارم
أتونا قوم مرة بالرعينى   ملك جبار بالاحكام ظالم
لقد ذهبوا اليــه يا مهلهل   فجاء بست كرات عوالم
بهم من كل قوم ليث أروع   وهو من بينهم كالصقر حائم
تبدى الزير حالا ثم قله   تخاف من العدا وأخوك سالم
أنا وحدى ألاقيهم بعزمى   أنا الدعاس فى يوم العظائم
وانى سوف أفتك بالرعينى   وأقطع رأســه والله عالم

(قال الراوى) فلما فرغ الزير من نظامه وفهمت قومه فحوى كلامه تعجبوا من هذا المقال وشكروه على تلك الافعال وأخذوا يستعدون للحرب والقتال وأما الزير فانه صبر إلى الليل فغير زيه وتنكر حتى لم يعد يعرفه أحد من البشر وجعل نفسه كأنه من شعراء العرب الذين يقصدون الامراء وأرباب المناصب والرتب طمعا بالفضة والذهب ثم ركب الحصان وتقلد بالحسام من تحت الثياب أخذ معه بعض الغلمان وسار الى قبيلة بنى مرة ولم يعلم به انسان ولما اقترب من الحلة نزل عن ظهر الجواد وسلمه الى الغلام وقصد المضارب والخيام حتى وصل الى صيوان الرعينى فرآه جالس وحده فدخل وسلم عليه وتمثل بين يديه فلما رآه الرعينى فى ذلك المنظر خاف وانذعر وسأله عن مهنته فقال انى شاعر أقصد الامراء فامدحهم وأنال منهم الانعام وقد سمعت انك ضيف بنى مرة فأتيت من مدينة البصرة قاصدا الى أن تشرفت بطلعتك وتمثلت أمام حضرتك

قال الراوى فأمر الملك الخزندار أن يعطيه مائة ألف دينار فعند ذلك سل الزير سيفه الابتر وضرب الرعينى على عاتقه. خرج يلمع من علائقه ثم مال على الطوشية وهجم بضرب الحسام وبعد ذلك هجم على الخيام كسبع الآجام فقتل الرجال وجندل الابطال فوقع فى الحى ان ضجيج والصياح [illegible] [illegible] الجانب [illegible] بالسيوف وهجموا على بنى مرة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الدم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بقومه من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يدافع عن نفسه [illegible] [illegible] [illegible] تلك الليلة حتى [illegible] [illegible] [illegible]

وكانت ليلة مهولة وحادثة غير مأمولة كثر فيها القتل والجراح الى وقت الصباح وكان المهلهل لما بلغ الامل بذلك العمل أرسل عبده فى الحال يطلب الابطال فحضروا عند طلوع النهار وأحاطوا بالاعادي يمينا ويسار وأحكموا فيهم ضرب السيف واستمر بين القوم الحرب والصدام مدة ثلاثة أيام حتى أبلاهم الزير بالويل والدمار وقتل منهم كل فارس كرار

وكان من جملة المقتولين الامير غطاس قائد جيش السودان فلما رأت الجيش ما حل لها من الهوان ولت الادبار وأوسعت فى جوانب القفار وكذلك انهزم جساس ومن تبعه وتفرقوا فى الفلاة وهم لا يصدقون بالنجاة ورجع الزير مع قومه التغلبيين غانمين ظافرين فدخل القصر بالعز والنصر وصحبته أكابر القواد الذين عليهم الاعتماد وهمت وتهنئ على المهلهل ويقولون بسيفك نلنا المراد وقهرنا الاعادى والحساد فلازالت أيامك فى سعود وعدوك مكمود ثم انهم أكلوا الطعام وشربوا المدام وباتوا تلك الليلة فى سرور وأفراح على ذلك الانتصار وأما جساس فانه بات فى قلق ووسواس وندم على مافعل ولا سيما لما بلغته الاخبار بأن ذلك الانكسار كان بحيلة المهلهل الاسد الكرار فزاد همه وعظم حزنه وغمه فكاتب قبائل العرب يطلب منها المساعده على قتال بنى تغلب فانضمت اليه عدة قبائل برسم المساعده وصاروا جميعهم يدا واحدة وكذلك انضم مع الزير جملة قبائل مشاهير حتى لم يبق قبيلة فى بلاد العرب الا وانضمت مع بنى بكر وتغلب

قال الراوى ومن غريب الاتفاق ان الامير مهلهل خرج ذات يوم فى عشرة آلاف بطل ومعه الامير كنيف وكان من أشراف بنى تغلب وفرسانها الغطاريف وتبطن فى جوانب القفر ليجس أخبار بنى بكر فمر بقبيلة من قبائل العرب يقال لها بنو تيم وهم فرع من تغلب وكانت هذه القبيلة ذات خيرات كثيرة فاجتمع مهلهل بفرسانها وسيدها الامير عمر وقال لهم اركبوا معنا يابنو تيم لقتال بنو بكر فأبوا وقالوا على فرد لسان إنا لانحارب من لايحارب بنا من العربان فقال مهلهل أمثلكم الحرب لحد الآن فقالوا لا يافارس الميدان فقال وحق الاله الخالق ما كنت أظن الا أنها شملت كل من فى المغارب والمشارق ومادام الامر كذلك ياوجوه العرب تنحوا عن ديارنا كم خوفا من حلول العطب واقصدوا غير هذه الديار لان مرادنا الهجوم عليهم تحت ستور الاعتكار فان حاربناهم لا تأمنوا على أنفسكم من شرهم وأذاهم لانكم فرع من قبيلة بنى تغلب فينتقمون منكم لهذا السبب فقالوا ما علينا من بأس فانهم تجار ونحن من يتعرض لهم من الناس فغاظ المهلهل من هذا الكلام وتركهم وسار على الاثر بمن معه من العسكر وجد فى قطع البر والقفر فالتقى بقوم من بنى بكر فكبسهم تحت الظلام وأبلاهم بالذل والويل فسلب أموالهم وقتل رجالهم وأخذ رؤوس ساداتهم العظام ورجع فى الظلام وطرح الرؤوس بين خيام القوم المعتزلين من بنى تيم المذكورين

وكانوا راقدين ثم تركهم وارتحل وسار على عجل فلما استيقظت بنو تميم من المنام ورأت الرؤس بين أطناب الخيام أيقنوا أنها مكيدة من المهلهل وعلموا ان لا بد ان العدو يتهمهم بذلك فنهضوا وارتحلوا من أطلالهم بمواشيهم وأموالهم وانضموا الى قبيلة بنى تغلب والتجوا بالمهلهل فارس العجم والعرب فلم تبق قبيلة من قبائل العربان فى ذلك الزمان الا وشملتها الحرب والهوان

ولما عظم الدمر على جساس وضاقت منه الانفاس قصد العابد نعمان الذى تقدم ذكره فوقع عليه وطلب منه أن يسير بالعجل الى المهلهل ويطلب منه كف الحرب والطعان مدة من الزمان لاجل أخذ الراحة من هول تلك الحرب التى أهلكت الرجال ورملت النساء ويتمت الاطفال فرق لحاله وسار الى المهلهل فى تلك الساعة وطلب منه أن يكف القتال ولو برهة قصيرة ومدة يسيرة لراحة القبيلتين فأجابه الى ذلك المرام لانه كان يحبه دون باقى الانام وأمر بتوقيف الحرب فى ذلك اليوم واشتغل مهلهل فى تلك الايام بالملاهى وشرب المدام وسماع الاصوات والانغام وكان جساس يترقب على مهلهل الفرص ليقتله ويزيل ما بقلبه من الغصص فبلغه في بعض الايام بأن الزير طريح الفراش فى الخيام من كثرة شرب المدام وان اخوته خرجوا للصيد ورجوعهم يكون بعد ثلاثة أيام فجمع اخوته اليه وأعلمهم بذلك الخبر فاتفق رأيهم انه بعد غروب الشمس يركب أخوهم سلطان فى جماعة من الفوارس ويكبس الزير على حين غفلة ولما كان الليل ركب سلطان فى ثلاثة آلاف فارس وقصد حى المهلهل ولما صار هناك هجم عليه وهو راقد فى الخيمة سكران فأحاطت به الفرسان وقبضوا عليه وأوثقوه كتافا ثم نزلوا عليه بالسيوف الى أن أثخنوه بالجراح وأتلفوه حتى صار عبرة لمن اعتبر وكان دمه يسيل كالمطر فزادت أفراحهم وزالت أتراحهم ثم وضعوه فى جلد جاموس وأخذوه الى عند أخته ضباع وقالوا لها قد أتيناك بقاتل ولدك فخذيه واشفى منه غليل كبدك فيه لا نناقد ارتحنا من أذاه فهان عليها ذلك الامر ولكنها أظهرت لهم السرور والفرح وقالت ان جزاء هذا الغدار الحرق بالنار ثم تركوها وساروا وأما هى فقد احتارت فى أمرها وزادت أحزانها لانه وان كان قتل ولدها فقد شيد للقبيلة ذكرا لا يبور مدى الدهور فبينما هى فى بحر الافتكار واذا به قد فاق من غشوته وصحى من سكرته وقال على آخر رمق سبحان الحى الدائم ثم صاح بطلب عبده شهوان وهو يظن انه فى ذلك المكان فقالت له أخته ضباع لقد انتقموا منك أعداك فاصحى فقد ذقت الموت والهلاك فلما رأى دائه وهو على تلك الحال أنشد وقال

يقول الزير أبو ليلى المهلهل ... ونار الحزن توقد فى حشاه
فكان كليب ملك البرايا ... أتى جساس غدره بالفلاه
جلست مكانه آخذ لثاره ... وكنت أنعيه صباح مع مساه
فقال الشيخ كف الحرب عاجل ... فلا تعمل سيف ولا قناه

جلست بحيى ولدان جنبي وعندى العبد ماعنده سواه
رقومى كلهم للصيد راحوا فعرفوا القوم مع بقى العداه
أتونى والغدر كن كائن وحبلى كل مما أن تراه
أتوابسي لعندك ياأخت حتى تمالى الثار ياغاية مناه
كانى ياضباع أو قتلينى أناأخوك اذا احتبك القناه
فانت تشبهي النبوات حقا واني مشبه سبع الفلاه
فالقيني بصندوق مزفت وارميني ببحر فى مياه
أيا أختى صنعى أنت باصناك ربيعة أبينا مافيه غباه

(قال الراوى) فلما فرغ الزير من كلامه غاب عن الوجود وكانت ضباع لما سمعت كلام أخيها صار الضى ظلاما فى عينيها ثم أنها جاءت بصندوق كبير فوضعت فيه سالم الزير وزفتته وطلته بالقير وكان عندها عبدان فأمرتهما أن يحملا ذلك الصندوق ويلقياه فى البحر فحملاه وسارت هى معهما تحت جنح الظلام الى أن وصلا به الى البحر فطرحاه فيه ثم رجعت ضباع وهى تبكى على أخيها وتقول ياليتنى كنت فداك فقد أحرقت قلبي بفراقك ياجمل المحامل وفخر الابطال ثم أنشدت ترثيه بهذه الابيات .

تقول ضباع من قلب حزين أيا عينى فزيدى فى بكاها
كوانى البين فى أول زمانى رمانى الدهر فى أعظم بلاها
أيا عينى فزيدى فى بكاك على محزونة فقدت أخاها
لقد كانا ملوكا للبرايا ومن أعلى ملوك الارض جاها
كليب هو الذى جساس قتله طعنة ضربة برمحة فى قفاها
ترك دمه على الأرض فاير بحربة مسممه بالسم سقاها
وقام الزير كي يأخذ بثاره فقاتل آل مرة ثم هفاها
لقد قتله سلطانا بغدر اذاما شر الف حملة قناها
وقال خذوه الى أخته الحزينة لتأخذ ثار ولدها من أخاها
فحطيته بصندوق مقفل ومن نى مرة مايملم حداها
وقلت له رح ياجمل المحامل أيا عامود بيتى انحناها
وقلت له افرح ياجمل المحامل أيا مشعال بيتى قد طفاها
وقلت مثلث يافخر قومك أيا حطاط للجائع عشاها

أيا يوما أخذه الموج عاجل ... وموج البحر يلطم فى عداها
فقلت له رح أيا سبع الغاب ... بيوم الحرب ماتعطى قفاها
وهذا صار فى عصر الجليلة ... إله العرش يعدمها صباها
فمر يا ريح واخبر لليمامة ... لتصبح ثم تمسى فى بكاها

ثم رجعت الى الحي وصبرت حتى رجعت اخوتها و بنى عمها من الصيد ماعلمتهم بتلك القضية وماحل بالزير وقالت والله انكم بعد أخيكم المهلهل تتبعون مع جساس وتأسفوا جميعهم عليه و بكوا من فؤاد موجوع ثم ان ضباع كتمت مافعلت باخيها وأشاعت الخبر انها أحرقته بالنار وأخذت منه بالثار ولما شاع هذا الخبر وانتشر بين الناس فرحت بنى مره جساس وأما أخوة الزير فانهم شقوا اثيابهم من فرط أحزانهم وأخذوا يعددوه ويندبوه بالاشعار يذكرون ماله من محاسن الآثار وكان أكثرها حزنا أخوه عدى فانشد وقال

أيا ويلى فدمع العين هلا ... على الخدين من دمعي صبابه
على فقد الفتى المدعو المهلهل ... أنور العين تدرى ما أصابه
غدونا كلنا للصيد عنه ... وهو جالس كانه سبع غابه
وعند رجوعنا لم نلتقيه ... فاحرق وسط مهجتنا غيابه
فمن يوم كليب أخيه ولى ... فلا يسرح ويلقى صحابه
وما فارق محله طول عمره ... ولا نعرف له مدة غيابه
مهلهل راح من أولاد مره ... وسهم البين زد لنا غرابه
وبعده كيف عاد يصير فينا ... لان جساس ما نحمل عذابه
ترى بعده سيسحقنا جميعا ... يشتتنا ولا يخشى عتابه
ألا يا اخوتى ماذا نسوي ... وأين نروح من هذه المصابة
تعال أخى أبا دريمان قلى ... فقلبي والحشى يا مير ذابه
أيا طراف يا ناصر تعالوا ... أيا عزوز يا منية شبابه
ويا حنبل وباقى الامارة ... تعالوا واسمعوا مني الخطابة
تقول الزير ولى راح منا ... قتيلا واندفن تحت الترابه
ونحسب اننا لسنا نراه ... فمن هذه النهار الى الغيابه
وأعدانا بنى مرة تجينا ... يخلوا دارنا تغدى خرابه
فكيف الرأى يا أهل المروءه ... فأنتم عزنا ونحن القرابه

نقص يا قوم الزير منا واحد ... انحسب مات والا إيش صابه
ونحن اخوته خمسون بعده ... نبيد الخصم فى يوم الحرابة
وأنتم مثلنا يا قوم وارحل ... ولا فيكم ردى بالناس عابه
فماذا الرأى ردوا الى جوابى ... عسى منكم بطل أسمع جوابه

فلما فرغ عدي من هذا الشعر والنظام بكى الحاضرون ثم انهم ساروا الى منازلهم وأخفوا أحزانهم فى قلوبهم هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من بنى مرة فانهم لما بلغهم أن ضباع أحرقت أخاها فى النار فرحوا واستبشروا وكان جساس قد مضى الى الصيد والقنص ذلك النهار ولم يعلم بما تجدد من الاخبار فلما رجع الى الديار رأى النساء والبنات يتناشدن الاشعار والحى فى حظ وأفراح فسأل عن السبب وقد أخذه العجب فأعلمه أخوه سلطان بما جرى وكان ثم أنشد يقول وعمر السامعين يطول

قال سلطان بن مره فى بيوت ... ياأخى جساس اسمع لي وطيب
زال عنا الشر يا فخر الملا ... وحل فينا الخير عن قريب
يا أخى فى غيبتك أجريت بدع ... فى مهلهل ابن عمك ها المعيب
كلهم للصيد راحوا يا أمير ... والعرب كل بعيد مع قريب
والمهلهل ناصب الخيمة بعيد ... فى وسط بستان مخصه ياحبيب
وحده يسكر بليله والنهار ... رحت أنا اليه من بعد المغيب
في ثلاث آلاف فارس غاعين ... كل فارس مثل سبع ومثل ديب
وهجمت عليه حالا بالعجل ... ووقعنا عليه بضرب عجيب
ضربته حتى انقطع منه النفس ... وانطرح بلا سعف ولا حبيب
ثم أخذته الى أخته ضباع ... لتأخذ ثأر ولدها الحبيب
أشعلت نارا لتحرقه بها ... وألقته على جمرة نار اللهيب
هذا الذى أجريت بعدك ياأمير ... ياحماة البيض فى يوم النكيب

قال الراوي فلما انتهى سلطان من كلامه شكره جساس على اهتمامه وقال بارك الله فيك ياهمام فان فعلك سيبقى مدى الايام ثم ساروا الى الحي وهم فى سرور وانشراح ولما وصلوا الى الصيوان جلس جساس فى الديوان واجتمعت حوله الفرسان ثم أمر بدق الطبول ونفخ الزمور وعمل وليمة عظيمة لها قدر وقيمة اجتمع فيها خلق كثير من كل أمير وسيد عظيم ورقصت النساء والبنات ودارت بينهم الافراح والمسرات وكان عندهم ذلك النهار من أعظم الاعياد قال الراوى وكان لما بلغ بنو قيس حقيقة الخبر وان المهلهل مات واندثر أيقنوا بالموت الاحمر فزادت ليتهم وعظمت

مصيبتهم فنهم من ارتحلوا من تلك الديار وقصدوا السهول والاوعار وتشتتوا فى البرارى والقفار ومنهم من قصدوا الامير جساس وطلبوا منه الامان دون باقى الناس فأعطاهم الامان وجعلهم من جملة الغلمان ولم يبقى عند أخوة الزير سوى شرذمة يسيرة فقصدهم جساس بالابطال ودار بهم من اليمين والشمال فسلموا أمرهم اليه ووقعوا فنهب أموالهم وساق جمالهم ثم شرط عليهم أن لا يوقدوا نارا فى النهار والليل ولا يركبوا ظهور الخيل بل يتربصوا مكانهم فى الخيام فأجابوه الى ذلك مخافة من الاندثار ونزول الدمار بعدهذا رجع الى الديار بالفرح والاستبشار فعظم شأنه وتأيد بالعز مكانه وصار فى مقام عظيم وحكم السبعة أقاليم واما اخوة المهلهل فانهم رحلوا بعد ذلك من أطلالهم ونزلوا فى واد الشعاب وهم فى بكاء وانتحاب وصبروا على حكم رب الارباب هذا ماجرى لهؤلاء من العبر وأما الزير الاسد القسور فانه لما ألقته أخته فى البحر كما سبق فقذفته الامواج الى أن ساقته المقادير إلى مدينة بيروت وكان اسمها الخبيرية وملكها يدعى حكمون بن عذار كان من أجل الملوك قدرا واتفق بالامر المقدر أن ثمانية من الصيادين بينما هم يصطادون السمك نظروا إلى ذلك الصندوق تتلاطم به الامواج فقال أحدهم لرفيقه انظر ياصموئيل قال هذا صندوق يا روبيل قد ساقه الينا إله إسرائيل ثم انهم قصدوه فى الحال وسحبوه الى الشاطىء بالحبال بعد تعب ماعليه من مزيد فقال رئيس الشختور لباقى الاعوان تعالوا نقسمه علينا قبل أن نفتحه فيأخذ كل واحد حقه على قدر مايستحقه فأجابه بعض الرجال ماهو مرادك بهذا المقال فقال إن لى النصف ولكم النصف لانى صاحب الشختور فقالوا وحق حمار العزيز ماتنال منه شيء ياشبير ثم وقع بينهم الخصام وتشاتموا بالكلام فضرب أحدهم الرئيس بسكين فقتله وكان للرئيس أخ فضرب القاتل بالمجذاف فجندله ومازالوا يتقاتلون طمعا بالمال حتى قتل منهم عدة رجال ولم يسلم سوى رجل واحد واتفق بالامر المقدر أن حكمون كان قد خرج فى تلك الساعة مع أكابر دولته للصيد والقنص فصادف مروره من ذلك المكان فوجد الصندوق وذلك الرجل والقتلى مطروحة على الارض فوقف وسأل الصياد عن السبب فأعلمه بما حصل فتأمل الملك فى الصندوق وتعجب من كبره وأراد أن يعرف مافيه فأمر بحمله الى السرايا وارتد راجعا مع باقى حاشيته فأمر بفتحه ففتحوه واذا به رجل طويل القامة عريض الهامة واسع المنكبين كبير القدمين مثخن بالجراح من ضرب السيوف والرماح فقال الملك لحواشيه ماذا وجدتم فيه قالوا ياملك الزمان فيه انسان كأنه من عفاريت سليمان له عيون كعيون السباع فلما نظره الملك اعتراه الخوف وقال لاتباعه لله يا ترى من الزمن فى هذا الصندوق وكان عند الملك حكمون طبيب اسمه شمعون فتقدم إلى الزير وهو مطروح وجس زنوده وعروق الروح فوجده

يختلج فى أعضاه فقال الملك ان الرجل على قيد الحياة فقال هل تقدر أن تشفيه وأنا أعطيك العطاء العظيم قال نعم يامولاى ثم نهض على الاقدام وقال بسم الله العلى العظيم وشمر عن زنوده وأخذ أسفنجة وبلها بالماء الحار ومسح الجروح ووضع المراهم على القروح ثم جاء بعسل النحل فغلاه وفتح فمه وسقاه وفى برهة قصيرة اختلجت أعضاه وتحركت وفتح عيناه فنظر وتأمل فى ذلك المحفل فرأى جماعه من الرجال صفر الوجوه بسوالف طوال فاعتراه الانذهال وشكر الاله المتعال فقال له حكمون من أنت ومن تكون وماهو اسمك قال اسمى موحد وأنا عبد الاله العظيم رب موسى وابراهيم فقال ماهى قصتك وسبب وضعك فى هذا الصندوق فقال كنا أربعة سياس عند أحد الملوك وكنت أنا المقدم عليهم فحسدونى وضربونى ذات يوم بقصد انهم يقتلونى فغبت عن الوجود من ألم الضرب ولم أدر نفسى الا فى هذا المكان فقال الملك للحكيم خذه الى عندك وداويه ومتى نال الشفاء أحضره الى عندى فامتثل الحكيم أمر الملك وعالجه مدة من الزمان حتى ختمت جراحه وتحسنت أحواله فأتى به الى عند الملك ولما دخل سلم عليه وتمثل بين يديه فقال له كيف أنت ياموحد فقال انى بحسب أنظارك الشريفة قد شفيت وحصلت على العافية فلله در هذا الحكيم لانه يستحق الانعام والاكرام فربما أنعمت عليه سأعطيك اياه فتبسم الملك من هذا الكلام وأنعم على الحكيم ثم التفت الى المهلهل وقال أعلمنى بحالك وكيفية أحوالك وأشار الملك يقول

قال أبو أستير حكمون الملك	يا موحد استمع منى المقال
هات احكى لى على ماصار فيك	ماعملت ومافعلت من الفعال
حتى طعنت يا موحد بالرماح	جرحوك كثير بسيوف صقال
ياموحد أنت اليوم رجل مليح	قرم فارس خيل ما أنت هزال
قول عن ذي الجروح كيف صار	ما سببهم قول ياسبع الرجال
ثم أعلمنى على قد ما أقول	ياز كى الاصل من عم وخال
فى بلادك ان أتوك الغائبين	يضربون الشورلك معهم مقال
بعد هذا قل لنا عن صنعتك	التى تأكل بها خبزك حلال

قال الراوى ولما فرغ حكمون من مقاله قال له الزير اعلم أيها الملك انى اذا سألت عن حسبى ونسبى ووظيفة أبى فانه كان من ملوك العرب غدر به الزمان حتى صار يعد من الخيار وأنا تبعته صنعته وهذه وظيفتى وصنعتى أشار يقول وعمر السامعين يطول

قال أبو ليلى المهلهل فى قصيد	ياملك حكمون ياحامى النزال
فى بلادى سألت عن الجلوس	مجلسى فى الوسط فى اعلا الجبال

وان سألت الشور كل الشور لى　ما أحد يقدر يخالف لى مقال
وان وقع الحرب وضرب سيوف　فالعذارى هللت فوق الجمال
والسيوف الحدب صار لها مرير　والقتلى تلول عادت كالرمال
وبذاك اليوم أنا عز الملاح　مامثالى فى اليمين وفى الشمال
وان أتانى ضيف ياعز الضيوف　واشبع الضيف من لحم الجمال
والفتى المعروف منجد ياأمير　ابن وائل ذاك يا أمير خالى
ان كنت تسأل ياملك عن صنعتى　صنعتى حاصود بروس الرجال
أما أبى ذو قدر عظيم　مال فيه الدهر ياحكمون مال
وبعد العز صار سايس للخيول　بالكرامه بعد عزه والدلال
وأنا قد صرت سايس بعده　سائسا للخيل ما مثلى مثال
والجروح هى من عض الجواد　قد ضربنى برجله أربع نعال
قمت من كدرى ضربته فى حشاه　راحت السكين تلعب للقزال
لاجل ذاك المهر سووها الفعال　وارتميت بالذل مع كثر الخيال

قال الراوى فلما سمع حكمون كلامه غضب عليه وقال له أنت كذاب لانك أخبرتنى قبل الان ان رفاقك ضربوك واليوم تقول الحصان ضربنى وتكذب على وتحتقرنى فلو كنت من الناس الا كارم ماجرت عليك هذه العظائم ثم أمر بقتله فشفعت به أكابر دولته ووضعوه فى الحبس وبقى على تلك الحالة سنة كاملة وكان يسطو على المحابيس ويأكل طعامهم فضجت المحابيس وشكوه الى الملك فأمر الملك باحضاره ولما تمثل أمامه قال له يا موحد هل أنت ماهر فى سياسة الخيل قال نعم فقال لاتباعه سلموه خيلنا فان وجدنا له معرفة فى سياسة الخيل أكرمناه فسلموه الاصطبل فكان يسوس الخيل أحسن سياسة واستقام على ذلك مدة من الزمان وكان كثيرا ماينفرد بنفسه ويتذكر أهله وعشيرته وماهو فيه من الاهانة والاسر ويقول ياليت شعري ماجرى عليهم من بعدى وهكذا كان الزير الذي قهر الابطال المغاوير فبعد أن كان صاحب العز والجاه وقع فى أسر بنو اسرائيل فكان الموت أهون عليه من هذا القبيل ولكنه سلم أمره الى الله وتأمل منه الخلاص وكان قد صحب له فرسا من أطايب الخيل وكانت طويلة العنق قصيرة الرأس أجود من القميرة فرس جساس واعتنى بتربيتها حتى حالت فأخذها الى شاطئ البحر وربطها هناك فخرج عليها من البحر حصان وشب عليها فراحت حامل وبعد عام ولدت له مهرا أدهم وكان كامل الاوصاف ململم فسماه الاخرج من أبيه من البحر ثم عاد ذلك فى العام الثانى فولدت له مهرا آخر كانه الابجر حصان عنتر فسماه

أبو حجلان واعتنى بهم داود باقي الخيل واستمر على تلك الحال مدة أربع سنين وهو يطلب الفرج والمعونة من رب العالمين
واتفق في تلك الايام أن برجيس الصليبي أحد ملوك الروم خرج مع أخيه في مائتي الف عنان من بلاد كسروان وتلك الحدود المجاورة حكمون ملك اليهود وذكر رواة الاخبار وعلماء الاعصار بان مدينة حكمون كانت نفس مدينة بيروت وكانت مزخرفة فلما اقترب اليها برجيس بالعساكر النصرانية انصب خيامه بالاشرافية وكتب كتابا إلى حكمون يقول فيه من الملك برجيس بن الملك ميخائيل إلى حكمون ملك بلاد اسرائيل اما بعد فقد خالفت الشروط ولم ترسل لنا الخروج المربوط وقد مضي خمسة أعوام وانت تحاور نابالكلام فاقتضى أن نقصدك بفرسان كانها من مردة الجان فان قدمت لنا الخراج المطلوب من عشر مالك توقفنا عن قتالك والا وحق من أوجد الانسان والمسيح الذي ولد بالادنس خربنا ديارك وقلعنا آثارك وجعلنا الولايات اليهودية تابعة للاقاليم المسيحية فاسرع في رد الجواب قبل حلول العذاب ثم أنه ختم الكلام بهذا الشعر والنظام

على ماقال برجيس الصليبي كريم لوالدين أبا وجدا
شديد البأس مابين البرايا على السادات دوما مستجدا
أذل القوم في سيفي ورمحي أقد الشوس والهامات قدا
أياقصد الحكمون اليهود فاعلمه بما قد استجدا
واخبره نفرساني وجيشي وما عولت ان أفعله جدا
بهم من كل قرم ليث أروع يصد الخيل في الميدان صدا
يريد المال ارساله سريعا وان لم يمتثل أمري فيردا
وعشر الخيل مع العذاري بنات قد زهوا وجها وقدا

ثم أن الملك برجيس ارسل الكتاب مع أحد قواده وأمره أن يسير لعند حكمون فيعطيه الكتاب ويأتيه بالجواب فامتثل القائد أمر مولاه وجد في قطع الفلاة الي أن دخل البلد وقصد حكمون دون كل أحد فتمثل بين يديه وأعطاه الكتاب وانتظر الجواب وكان عند حكمون جماعة من أخيار اليهود فلماقرأ الكتاب احمرت عيناه وصاح على الرسول بصوت مثل الغول وقال هكذا يكتب لي برجيس فلولا العار لقطعت رأسك وأخمدت أنفاسك فاذهب وقل لمولاك أن يستعد للقتال فاني لا أهابه ولا أحسب حسابه فخرج الرسول من بين يديه وهو ينفض غبار الموت عن عينيه ثم صاح حكمون على أخيه صهيون ووزيره وقال لهما استعدا للقتال وفرقا السلاح على الابطال فقد أتتنا العساكر النصرانية وعسكروا في الاشرافية فاجابه الى ماأمر وفي الحال أمر بتجهيز العساكر وفرق عليه السلاح

ولما بلغ رجيس كلام حكمون صار كالمجنون وعول ثاني الايام على الحرب والصدام وعند الصباح استعد حكمون للقتال نخرج من البلد بالعساكر والعدد ومن حوله الكهنة والاحبار وهم يتلون التوراة وكان الملك رجيس قد ركب في ذلك النهار وتقدم طالبا لاسوار فلما التقى العسكران وتقابل الجمعان ساحة الميدان هجمت العساكر النصرانية على الابطال الاسرائيلية وتضاربوا بالسيوف المشرفية فاستظهر عسكر الملك رجيس على عساكر حكمون حتى أذاقوه كاسات المنون وهو يتلهف ويتأسف على ما حل بعسكره في ذلك النهار ودخل البلد مع الجيش وأغلق الابواب وقصد قصره وهو خارج عن دائرة الصواب ونزل رجيس خارج المدينة وكان قد املك في ذلك النهار ثلاث قلاع حصينة وكان المهلهل قد سمع صياح القوم فسأل عن الخبر فاعلموه بواقعة الحال فاشتاقت نفسه للقتال وأخذ قصبيه بيده وصعد إلى السور ليشاهد تلك الامور وكان ذلك المكان يقرب حكمون فنظر القوم وهم يتقاتلون فكان كلما شاهد النصارى غلبوا يقول اليهود تقدموا ولا تنكسروا وكان يهدر كالرعد القاصف وهو راكب على الخيط كما يركب الحصان ويضربه برجليه ويصيح على الفرسان واستمر على تلك الحال الى أن رجع حكمون للبلد وهو في غم ونكد وكان لحكمون بنت كالقمر المنير اسمها أستير فنظرت من الشباك أفعال الزير فأخذها العجب وعند رجوع أبيها سألته عن حاله وما جرى في قتاله فاعلمها بواقعة الحال وانتصار رجيس عليه في القتال فعند ذلك شرحت أستير لابيها ما رأت في ذلك اليوم من اعمال الزير وقالت اذا كانت أعماله صحيحة فانه يكسر هذا العسكر ويذيقه الموت الاحمر ثم أنشدت

تقول إستير اسمع لي كلامي	نظرت اليوم بعيني العجايب
نظرت اليوم من هذا الموحد	فعال قد تعيد الراس شايب
فلما دقت الطبل النصارى	وقد هجمت عساكرها تحارب
والتقت العساكر بالعساكر	وراح السيف يعمل المناكب
فقد أبصرت أحوال الموحد	غرائب قد فعلها مع عجائب
ركب للحيط سواه حصانه	كانه يا أبي قاصد يحارب
ويزعق ثم يلكز في كعابه	إلى أن قد جري دمه سكايب
ويهدر مثل ليث أو رعي	ترج الارض منه والكتائب
اذا ولت رجالك قال باطل	وان ولت عداك يقول طائب
ينخي الناس واجد بعد واحد	فقتل وحده وهو للحيط راكب
فهذا ما نظرته اليوم حقا	من الاول إلى وقت المغارب

فلا أدرى أهو عقل صميدع ولا أدرى أهو مجنون غائب

فلما فرغت استير من كلامها تعجب أبوها وأراد أن يستدعيه اليه فقالت له من الصواب أن تركب أخوك نهار غدا لقتال العدا وانت تبقى فى القصر فلعله يفعل مثل أمس فتشاهد أعماله وتختبر أحواله. فاستصوب أبوها كلامها وبات تلك الليلة بغاية السرور ولما أصبح الصباح أمر أخاه أن يخرج لقتال النصارى فامتثل وركب فى عسكر اليهود فالتقته جموع النصارى مثل الاسود واشتد بينهم القتال وعظمت الاهوال فسمع الزير صياح الابطال فالتهب قلبه بنارا لاشتعال فصعد الى السور وهو حزين النفس وفعل كأفعاله بالامس وكان كثيرا ما يقول يا ثارات كليب من جساس المخذول وهو ينحي القوم ويقول اليوم ولا كل يوم وكان حكمون ينظر اليه مع ابنته فتعجب من أفعاله ومن صورته وأمرها أن تناديه ليمتثل أمامه فنادته فالتفت اليها وقد اندهل من حسنها فقالت له أبى يدعوك أن تحضر اليه فنزل عن السور وصعد الى القصر ودخل على الملك وقبل الارض بين يديه فقال حكمون ان كنت قادر على ما تقول وما شاهدناه منك فانزل وقاتل فى هذا فان لنا عليك جميل وأفضال وان كسرت الاعداء بلغناك الآمال وأغنيتك بالمال وأطلقتك من الاسر والاعتقال فاجابه الزير يقول

يقول الزير أبو ليلى المهلهل	ملك حكمون أبشر فى مرادك
أبو استير بشر بالغنيمة	صفا عيشك وقد ولى نكادك
أتينى بدرع مع سيف صقيل	ومهر أصيل من أحسن جيادك
فابرز للنصارى وأنت تنظر	واقتل كل من يبغى عنادك
وانت بقصرك المعمور تنظر	ولا تنزل ولا تركب جوادك
فان لم أطرد الاعداء وحدى	حرام على أن آكل زادك

ولما انتهى الزير من شعره أمر الملك أن يعطوه جوادا من أطايب الخيل ودرعا وسيفا فأتوا له بجواد فقال هذا لا يحملنى ثم اتكى عليه فكسر أضلاعه فأتوه بآخر فأتبعه به وما زال على تلك الحال حتى قتل عشرة خيول فتعجب الملك من قوة باسه وشدة مراسه ثم أتوه بعده حرب وجلاد ففعل كذلك الى أن أتوه بمهرة جدا الملك حكمون فلبسها وكانت من أحسن العدد واعتقل بالسيف المهند وركب حصانه الاخرج الذى كان ينتظر منه الفرج وأخذ فى يمينه الرمح الاسمر والتفت الى حكمون وقال له اليوم تنظر أفعالى وتشاهد قتالى ثم لكز الحصان وقوم السنان وانطلق الى ساحة الميدان وكانت النصارى قد كسرت اليهود وفتكت بهم فتك الاسود عندها تقدم الى أخو الملك حكمون وقال شدوا عزمكم وقاتلوا خصمكم ثم خاض المجال وطلب الميسرة فى الحال وقاتل

الابطال فلبدها على الرمال فلما رأت النصارى هذه الأعمال اعتراها الانذهال وهجموا عليه من اليمين والشمال فالاقهم بالذل والويل فكان كلما كثرت عليه العساكر يتذكر أخوه كليب فيهجم هجوم السباع الكواسر فعند ذلك تأخرت عنه الابطال وكان الملك برجيس من الفرسان الممدودة فلما بلغه ذلك تمايظ وهجم بالعساكر والاجناد طالبا ساحه القتال وعلى رأسه الرايات ولما اقترب من تلك الناحية وقعت عينه على أخوه الملك حكمون فتقدم اليه وضربه بالسيف فوقع على الارض قتيلا وعند ذلك ضجت طوائف اليهود ورأوا أميرهم مقتول وهجموا عليه بالتقام برجيس فقلب لايهاب الموت وقتل منهم مقتلة عظيمة ثم ان المهلهل يقاتل من بعيد الفرسان الصناديد فصار أى طوائف اليهود متأخرة بعد ان كانت متقدمة على قتل صهيون أخذته الحمية وقصد الملك برجيس الى ذلك المكان وفى الطريق التقى بأحد مقدميه وهو ينتخى الفرسان فهجم عليه وضربه بالسيف على عاتقه اطلعه يلمع من بين علائقه ولما نظرت النصارى أفعال الزير هجموا عليه من كل مكان وحمل أيضا الملك برجيس لما رأت اليهود ان المهلهل أيقنت ببلوغ الامل فارتدت بعد الانهزام وقاتلت حتى استقلت ولم يزالوا على تلك الحالة الى ان ولى النهار فافترقوا عن بعضهم البعض ونزلت كل طائفة بناحية على الارض قال الراوى ثم ان الملك برجيس قد صعب عليه قتل أخيه وندم على مجيئه الى تلك الاوطان ولما أصبح الصباح ركبت العساكر وانقسمت الى ميامن ومياسر فكان الزير كالاسد الكاسر واستمروا على تلك الحالة وهم فى أشد قتال عشرة أيام على التمام وكان الزير قد فتك فتكا عظيما وقتل من النصارى عددا جسيما فلما رأى الملك برجيس ذلك خاف من المهالك لانه كان من الملوك الكبار وأمره نافذ فى جميع الاقطار فجمع أكابر دولته وعقد معهم ديوانا فاستقر رأيهم على المصالحة وتوقيف الحرب وان يرحلوا بأمان من تلك الاوطان ويبقوا مع حكمون كالاصحاب والاخوان طول الزمان ثم ان الملك برجيس أرسل إلى حكمون بعض وزرائه المعتبرين ليعلمه بذلك ويأتيه بالجواب فسار الوزير إلى عند الملك حكمون واعلمه بواقعة الحال ففرح مع باقى الامة العبرانية لانهم كانوا يخافوا سطوة ملوك النصرانية فأجابه الى المطلوب وحمد الله لدى أقاله من غوائل الحروب وهكذا تم الاتفاق ووقع الصلح والوفاق ورجع برجيس من تلك الافاق بمن معه من الرفاق بعد أن رتب على الملك حكمون مالا معلوما يدفعه كل سنة الى خزينة المملكة قال الراوى وعظمت الزير عند حكمون وقال له مثلك تكون الرجال وأنت اليوم عندى كالولد وأعز من الروح فى الجسد فلولاك كنا فى حال تعس واستولى علينا الملك برجيس وكانت الاميرة استير قد شاهدت أفعال الزير فاندهشت منه ومال قلبها اليه ثم قالت لا عدمناك أيها النحرير فانك تستحق الاكرام والخلع والانعام وكان الملك قد مال اليه كل الميل فقدمه على جميع أبطال الخيل

ورفع منزلته على الكبير والصغير ولقبه بالامير وأنعم عليه بالنياشين من الماس ليمتاز على كبار الناس وأكرمه غاية الاكرام وأجلسه معه على سفرة الطعام ولما انتهوا من الاكل وشرب المدام قال له الملك تمن على أيها الامير فمهما طلبت أعطيتك اياه من غير تأخير ثم أنشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول حكمون من أبيات رتبها أحلا من الشهد والياقوت والمال
لله يوم به قد جئت زائرنا السعد وافى معك يا خير مفضال
الله ساقك لنا حتى هزمت لنا خيل العدا سحرا من غير إمهال
مهما تريد من الحاجات اعطنى ولو طلبت منى كل أموالى

فأجابه الزير على كلامه يقول

ليت لى عمرك يزيد أيها الملك السعيد
ما أريد منكم سوى السيف والدرع الحديد
والمهر الاخرج الذى قاتلت فيه يا فريد

ثم ان الزير بعد هذا الكلام اعلم حكمون بنفسه وطلب منه تجهيز سفينة وارساله بها الى مدينة حيفا ومن هناك يسير وحده الى مرج بنى عامر محل اقامته حيث اشتاقت نفسه الى أهله وعشيرته فلما سمع حكمون بوافعة حاله وانه هو المهلهل زاد مقامه عنده وقال له هذه بلادي أمامك وأموالى بين يديك فاقيم عندنا طول عمرك فاننا لا ننسى جميلك ومعروفك قال الزير لا بدلى من الذهاب لانني لحد لان ما أخذت بثاري ولا طفيت من الاعادى لهيب نارى فعند ذلك أهداه المهر الذى طالبه وأعطاه السيف والرمح وعدة الحرب وجهزله مركبا من أحسن المراكب وأصدر أوامره الى القبطان بمداراته وامتثال أوامره وانه بعد أن يصل به الى حيفا يرجع حالا ثم سار معه الملك الى المركب مع أكابر الدولة وقال له الله يبلغك الآمال فلا تقطع عنا الاخبار فشكره المهلهل ودعاله بطول العمر ثم رجع حكمون الى المدينة وسافر المركب بالمهلهل وفى اليوم الرابع أشرفت السفينة على ميناء حيفا فالقت مرساها ونزل المهلهل الى البلد وأبقى الحصان فى المركب وأمر القبطان بالاحتفاظ عليه لوقت الطلب وهناك تسربل بالسلاح تحت الثياب وقصد دياره فالتقى بطراف ابن ناصر حافى عريان وكان من الاكابر ومن أصحاب الزير فناداه فأقبل عليه وسلم عليه ثم عرفه بنفسه وأخبره بماجرى له من الاول الى الآخر فقال أهلا وسهلا بقدومك علينا فوالله قد كنا قطعنا الامل من سلامتك فالحمد لله فقم بنا الى ربعنا حتى تنظر أهلك لانهم دائما فى السؤال عنك فقال الزير أنا لا أذهب معك حتى أصل الى حي بنى مرة وأنظر باقى قومنا الذين التجأوا الى

بالامير سالم المهلهل فلما بعد الصيد مع جماعته ولما اقترب من المهلهل ونظره حن قلبه فحياه بالسلام وجعل يتأمل فيه ويقول والله من يوم غاب حامينا فقد ذهب عزنا وما أبصرنا قامته إلا هذا اليوم ثم دمعت عيونه فقال الزير كيف تبكي وأنت ملتجىء الى أعدائه فعندها عرفه ونزل عن ظهر الجواد ووقع عليه فاعتنقه المهلهل وطيب بخاطره وقال له ابقوا على ما كنتم عليه وعندما تسمعون ضرب السيف في أعناق بني مرة حينئذ تفعلون ما يجب عليكم فساروا وهم مسرورون حتى دخلوا بعضهم بعضا وأما الزير فانه سار مع طراف [illegible] متنكران حتى دخلا الى حي جساس عند المساء فوجد الحي جساس فسر معي فسار ناصر معه وهو فرحان وجدا في سيرهما حتي وصلا إلى أحياء بني مرة فالتقيا في دق طبول وأمور تدل على مسرات وأفراح فقال المهلهل ماعساه يكون هذا ولما اقترب من صيوان جساس وجده ممتلئا من الناس وجساس جالس في الصدر وحوله الاكابر والاعيان والمولدات تدق الدفوف وبعد قليل حضرت العبيد بسفرة الطعام فقام جساس الى المائدة وتقدمت بعده الامراء وجعلت تتوارد الفرسان وتتزاحم على بعضها فعند ذلك تقدم الزير من جملة الناس وجلس بقرب جساس وأخذ يتناول من كل الاطعمة فلما رآه جساس أنكر أمره واستعظم كبر جثته وهو يأكل كالجمال فقال له جساس ادع لي ياشيخ فقال داعياً أدعو لك ولست بناسيك أبدا فازداد جساس خوفا وارتجت أعضاءه ولما قام عن العشاء أمر باحضار الرمل وضربه في الحال فظهر له أنكيس واحمرار وأنه قادمة عليه أوقات منحوسة وسيظهر رجل نقي الخد عن قريب يذيقه الاهوال وقد تأكد عنده بأن ذلك الرجل هو نفس الزير حيث لا يوجد له عدو غيره فالتهب فؤاده وصاح من ملو رأسه ياستار فجاءت إخوته اليه وقالوا ما أصابك يا أمير فأنشد يقول :

يقول جساس بن مرة في بيوت اسمعوا يا إخوتي أهل الوفا
ضاق صدري وامتلا قلبي هموم والقلب والغم ضارب في الحشا
جبت تحت الرمل حررته سريع حتى أرى ما هو هذا البلا
رأيت الجود له في بيت ضد والجماعة شكلهم واقع حدا
ماعادلي عقل لهذا الرمل فقط حرت فيه اليوم يا أولى النها
لو يصح القول قلت الزير جا ها هو جالس بين الامـرا

ولما انتهي جساس من شعره و نظامه وفهم الزير فحوى الطوية وضع يده على قبضة سيفه حتى اذا قال جساس اقبضوا عليه يفتك به ويعدمه الحياة ومن كثرة ماجرى على جساس من الغم

والوسواس ترك من كان عنده من الناس ودخل على الحريم فلما رآه الزير على تلك الحالة قال لا بد من قتله فان لم يكن اليوم يكون غدا ثم طلع من الصيوان مع طراف وسارا قاصدين الاوطان حتى وصلا الى وادي الشعاب ودخلا الى الخيمة التي فيها بنات كليب فسمعت اليمامة ابنة كليب صوته فقالت من أنت وما هو اسمك فلما سمع صوتها عرفها فتقدم فوجدها مع شقايقها وعليها ثياب الحداد فتقطع قلبه وهطلت عيناه بالدموع وقال لهم أتقبلوا الضيف يا بنات الاماجيد قالت مرحبا فاننا كنا أول من ضاف ولكن قد جار علينا الزمان فأذلنا بعد العز والجاه وصرنا في حالة يرثى لها فاقصد محل الوليمة وهو المكان الذى تدق فيه الطبول فتحصل على بلوغ المأمول فقال بالله عليك احكي لى واقعة حالكم فقد جرحت قلبي بهذا الكلام فقالت اليمامة لقد ذكرتنا بمصابنا وماجرى علينا ثم بكت وأشارت تقول

قالت اليمامة ونار القلب مشتعلة في باطنى والحشا زادت لهاباتٌ
كنا بخير وكان السعد يخدمنا ونصرف الوقت في أهنى المسرات
قد كان والدنا ذو جاه وسلطة يدعى كليب له عز وسطوات
جا خالنا فقتله ضيفنا غدرا أسقاه من غدرات البين كاسات
وفرساننا التجوا يا ضيفنا عنده خوفا من القتل أيضا والمذلات
وكان لنا عم فارس مثلك بطل غلاب خيل العدا في يوم غارات
فقد وهذه ثمان سنين له غائب الآن لم يأتنا بشارات

ولما فرغت اليمامة من شعرها ونظامها جاس الزير هو وطراف وأجلساها بجانبهما ثم أنه عرفها هي وباقي شقايقها بنفسه وأنه هو عمها الزير وأن الله قد أعاده وارجعه سالما حتى ينتقم من أعداه فلما سمعت أنه عمها صاحت بصوت من ملو رأسها أهذا في الحلم أم في اليقظة ثم وقعت عليه هي وباقي شقايقها يقبلونه وقالت له الحمد لله الذي أرانا وجهك بخير فوالله لقد زالت أتراحنا وتجددت أفراحنا وسمع أبو شهوان عبد الزير هذا الخبر فدخل وسلم عليه ووقع على قدميه لانهم كانوا يظنون أنه قد مات فكانت عندهم تلك الليلة من أعظم الليالي وبعد ذلك جلسوا يتحادثون فقالت اليمامة اعلمنا يا عماه بقصتك وماجرى لك في سفرتك فقص عليهم الخبر وما سمع وأبصر وختم كلامه بهذا القصيد

يقول الزير أبو ليلى المهلهل عيونى دمعها جاري بكاها
بكت دما على ما صار فينا ليالى السعد ما عدنا نراها
عدمنا فارس الهيجا كليب عقاب الحرب ان دارت رحاها

دهتنى آل مرة جنح ليل لتقتلنى وتشفى مادهاها
فكنت بخيمتى ملقى طريحا ثلاث آلاف ردتنى قناها
وجابونى لعند ضباع أختى والقونى طريحا فى حداها
وقالوا يا ضباع خذى أخوك أخذنا روحه قبى عزاها
فالقتنى بصندوق مزفت وأرمتنى بوسط البحر ماها
وساقتنى مياه البحر حالا الى بلد اليهود على رماها
وجابونى لحكمون اليهودى أجل ملوك الارض جاها
فداوانى وعالجنى مريعا فزت كربتى مما دهاها
بقيت أنا ثمان سنين غائب وزال الشر عنى مع عناها
أتيت لكى أشاهدكم وأشفى برؤية وجهكم نفسى مناها
سألت الله أن يحفظكم جميعا على ما طالت الدنيا مداها

وكانت تلك الليلة عند بنات كليب من أعظم الليالى حضر فيها جميع أصحاب الزير ففرحوا وانشرحوا بقدومه وهنوه بالسلامة فقال لهم الاوفق أن تكتموا أمرى لحينما أتجهز لقتال الأعادى وأحضر جوادى وأعلمهم بخبر الحصان وانه بقاه فى المركب عند القبطان لبينما يكون شاهد أهله وأقاربه ولما انتصف الليل ودعهم وسار قاصدا شاطىء البحر. هذا ماكان منه وأما مرة أبو جساس فكانت له عادة أن يذهب كل يوم الى ساحل البحر ويتجسس الاخبار ويرجع آخر النهار فاتفق أن عبدين من عبيده قد نظروا المركب عند قدومه الى المينا فأعلماه به فركب قاربا وقصد المركب وعند وصوله اليه وجد ذلك الجواد فاندهش من رؤياه فسأل القبطان عنه فقال له القبطان هذا جواد الزير وقد حضر معنا من بيروت وسار من نحو يومين لزيارة أهله ولم يكن القبطان يعلم ماهو جارى بين القوم من العداوة فلما سمع مرة بخبر المهلهل وأنه عاد سالما غانما استعظم الامر وتعجب ولكنه كتم الخبر وقال للقبطان أتبيعنى هذا الحصان فقال كيف نبيعه وهو مودوع على سبيل الأمانة فقال لابد من ذلك فاما أن تقبض ثمنه خمسة آلاف دينار أو آخذه منكما بالقوة والاقتدار لان ابنى جساس ملك هذه الديار وبيده زمام الاحكام ومازال يخوفه بالكلام الى أن امتثل وأجاب خوفا من أن يأخذه بالقوة فقبض القبطان الدراهم وسار مرة بالحصان الى عند إبنه جساس وهو كاسب غانم وأعلمه بواقعة الحال وقدوم المهلهل الى الاطلال ففرح جساس بالجواد لأنه كان أجود خيول الاعراب ولكنه خاف الغوائل وعلم أنه لابد من تجديد الحروب بين القبائل فاجتمع بأهله وأعلمهم بالخبر وأن يكونوا على حذر هذا ما كان من جساس وأما الزير فانه

عند وصوله الى البحر سار الي المركب فلم يجد الجواد فسأل عنه القبطان فأخبروه بما جرى وكان فلما سمع منه هذا الكلام أراد أن يضرب عنقه بحد الحسام ولكنه توقف عن أذاه إكراما لخاطر مولاه ثم أمره بالرجوع الى عند الملك حكمون ليقص عليه الخبر و يطلب منه الجواد الآخر فامتثل القبطان أمره وأقلع من تلك الساعة حتى وصل الى بيروت فأنزل الزير بالقارب وسار به الى عند الملك ولما دخل الزير الى السرايه ورآه الملك حكمون فرح به الفرح الشديد وقال أهلا وسهلا بالصديق العزيز ورحب به غاية الترحيب وأجلسه بجانبه وقام بواجبه وأشار يقول وعمر السامعين يطول

قال حكمون اليهودى فى بيوت تشرح الخاطر وترضى السامعين
نورت الدنيا علينا يا همام يا مريع الخيل اذا طلع الكمين
يا مهلهل أنت عز المحصنات أنت فخر للأناس الماجدين
قصدت أهالك ثم جيت لعندنا هل شفت أهلك يامهلهل سالمين
إن كان يلزم نجدة إحكي لنا حتى أسير بالجيش كله أجمعين
طب قلبك يا مهلهل لا تخاف ثم اطلب يا ضيا عيني اليمين

فشكره الزير وأثنى عليه وأخبره بما جري وكان من فقد الجواد وأن سبب حضوره الآن لاجل سؤال خاطره الشريف وثانيا ليطلب منه المهر الآخر وختم كلامه بهذه الأبيات

قد أتيت اليوم فى قلب حزين على فقد مهري الاخرج الثمين
فان شئت أعطيني أخاه يا معز الجار وفخر العالمين
لا أريد مالا ولا كثرة نوال غير أبو حجلان مطلوق اليمين
يا ملك حكمون أنا مالى كثير كل مال البر فى يدى خزين

فلما سمع حكمون هذا الكلام تبسم وقال مهما طلبت منا لا نعز عليك وجميع أموالنا بين يديك فو الله انما لا ننسى جميلك على طول الزمان وأن أبو حجلان بعد رواحك من عندنا أظهر الوحشة وتفر من جميع الناس حتى لم يقدر عليه أحد من السياس وطلب منه أن يبقى عندهم مدة أيام ليستريح من الاسفار فاعتذر وقال لا بد من رجوعي اليوم ثم أعطاه حكمون الجواد وأخذه الى المركب قاصداحيفا وعند وصولهم اليها نزل بالجواد الى المدينة قاصدا القبيلة فاتفق مرور رحل من قبيلة جساس فأبصر الزير وعرفه وسار الى عند جساس وأخبره بقدومه وقال له انني خائف عليكم من سطوته لانني شاهدته فى هذا النهار وهو مثل الاسد الكرار ثم أشار يقول

يقول الشيخ يا أولاد مرة تعالوا واسمعوا لي يا فوارس

أيا جساس يا همام اسمع   أيا ملكا ويا أهل المجالس
لقد كنت بقرب البحر سائر   رأيت ظهر على اليوم فارس
على أدهم أقب الضلع قارح   وفوقه درع من بولاد لابس
وفى كتفه قنا أسمر مكعب   بطل صنديد يوم الروع عابس
فهذا فارس البيدا مهلهل   مريع الخيل للابطال داعس

(قال الراوى) ولما فرغ الشيخ من شعره ونظامه اجابه سلطان بن مرة بهذه الابيات

يقول سلطان بن مرة   كلام الشيخ صادق يافوارس
فان كان أبو ليلى سيظهر   يخلى دمنا مثل البواطس
ويسبى من قبايلنا عذاري   ويترك أرضنا قفرا دوارس
ولا يقبل رجاء ولا عطايا   ويطرحنا على الغبرا نواكس

قال الراوى فلما انتهى سلطان من كلامه وقع الخوف بقلوب القوم وأخذوا يستعدوا للقتال من ذلك اليوم هذا ما كان منهم وأما الزير فانه جد بالمسير حتى وصل الى دياره والتقى بانصاره فلما رأوه فرحوا به وأقبلت اليه اليمامة مع شقايقها وكذلك أخوه الزير وكل من فى الحى من النساء والرجال فوقعوا عليه وقبلوا يديه وانتشرت الاخبار بقدومه الى الديار فى ذلك النهار بين الكبار والصغار حتى ملأت الاقطار فأقبلت اليه الابطال والفرسان وتواردت اليه السادات والاعيان فسلموا عليه وتمثلوا بين يديه وهنوه بالسلامة فشكرهم وأثنى عليهم وترحب بهم وذبح لهم الذبائح وأولم الولائم وعدهم المكاسب والغنائم وبعد أن أكلوا الطعام وشربوا المدام أنشد عدى أخو الزير يقول :

يقول عدى أبيات فصيحة   أتانا الزير والمولى عطانا
وكنا قبل ما يأتى الينا   بحال الذل فى قهر حزانا
وجساس الردى عايب علينا   يريد هلاك تغلب مع اذانا
فامرنا ان نبقى جمعا   على طول الليالى مع نسانا
ولا نركب خيولا صافنات   ولا نقلد سيوفا فى حمانا
الينا جيت ياجمل المحامل   ويا كهف العذارى والامانا
أيا سالم فانهض شد عزمك   واركب ظهر مطلوق العنانا
ونركب ثم نحمل فرد حمله   على أولاد مرة فى لقانا
ونترك ديارهم بورا وقفرا   ونقتلهم ونأخذ ثار أخانا

قال الراوي فلما انتهى عدي من كلامه تقدمت اليمامة نحو عمها وشكرت الله على سلامته وأنشدت تقول

تقول اليمامة من أبيات حسان　　الهنا بقدوم عمي نالنا
وأقبل السعد يا عمي وجا　　في قدومك ياسياج عيالنا
حلت البركة علينا يا همام　　في قدومك نورت ديارنا
قبل ما تأتي بقينا في عذاب　　مع بني مرة جميع رجالنا
وانت جيت اليوم ياسبع الفلا　　قوم شد العزم وانظر حالنا
لا تبقي منهم نفاخ نار　　ولو أنهم باسوا جميع ديالنا

(قال الراوى) فلما فرغت اليمامة من كلامها ضمها الزير الى صدره والتفت على من حوله من السادات وأشار يقول

يقول الزير أبوليلى المهلهل　　ألا يابنات إن السعد جاكم
وأقبل سعدكم والشر ولى　　وراح الشر عنكم لاعداكم
فقروا وابشروا مني وطيبوا　　إله العرش قد زول عناكم
ثمان سنين وسط البحر غائب　　وبالي عندكم مما دهاكم
وفرج خالقي همي وغمي　　وخلصني وجيت الى حماكم
وحيث أتيت زال الشر عنكم　　ونلتم يا بنات مني مناكم
غدا جساس أقتله بسيفي　　وآخذ يا بنات بثار أباكم
وانتم يا دريعان ثم عدي　　وباقي اخوتي تملم لحماكم
فاتوا بالصوافن واركبوها　　وهبوا جمعكم ومن معاكم
ودقوا طبلكم يا آل قيس　　وقيموا النار في سائر حماكم
وخبوني بعيد عن المنازل　　غدا جساس يبرز لالقاكم
فلاقوه على الخيل الضوامر　　واني سوف أهجم من وراكم

(قال الراوى) ولما فرغ الزير من كلامه طابت قلوبهم وانشرحت صدورهم وزالت عنهم الاتراح وأيقنوا بالنصر والنجاح ومازالوا بني قيس يجتمعون الى الزير يتواردون حتى صار في جمع غفير وعدد كثير فاستعدوا للقتال والحرب والنزال فأطعموا الجياع وكسوا العرايا وأشعلوا النيران ورجع الحي الى مثل عادته الاولى هذا ما كان من الزير وقومه وأما بنو مرة فلما بلغهم الخبر وكيف أن بني قيس التموا بعد التفريق والشتات من جميع الجهات وهم في أفراح ومسرات

اجتمعوا بجساس وقصوا عليه ذلك الخبر وقالوا له لو لم يكن الزير قد ظهر لما كانت بنى قيس اجتمعت على بعضها فى هذا الايام وخافت أواركك ومراسيلك العظام فقال لهم كفوا عن هذا المقال ولا يخطر لكم الزير ببال فاستعدوا للحرب والقتال فعند ذلك استعدت الفرسان الفحول وركبوا ظهور الخيول وتقلدوا بالسيوف والنصول وقد أملوا بالنجاح وبلوغ لارب وركب جساس الجواد الذى أخذه من المركب وسار بذلك الجم الغفير ولما اقتربوا من حى بنى قيس وسمعت قوم الزير صوت طبولهم وصهيل خيولهم هاجروا ماجروا وامرهم الزير أن يتأهبوا للقتال ويلاقوهم الى ساحة المجال فتبادروا فى الحال وتقدمت الابطال وركب الزير على مهره أبو حجلان وسبقهم الى الميدان وكمن فى بعض الروابى والتلال فى جماعة من الرجال ولما قترب جساس من رحال بنى قيس قال لهم خالفتهم أوامرى وغركم الطمع فسوف ترون ما يحل بكم من الهوان بساحة الميدان ثم هجم بالرجال والابطال وأحاط بهم من اليمين والشمال فالتقوه بقلوب كالجبال واشتد بينهم الكرب وعظمت المصائب ما بين مغلوب وغالب فلما رأى المهلهل تلك الأمور لكز الجواد وتقدم الى ساحة الميدان فشق الصفوف والكتائب ومزق بحملته المواكب وهو يهدد فيهم ويصيح من قلب جريح أبشر ويا بنى بكر بالذل والويل فقد أتاكم المهلهل فارس الخيل فسوف ترون ياأنذال ما يحل بكم من الويل على ما عاملتمونى به من سوء الفعال وقد أقسمت برب الانام أنى لا أترك منكم شيخ ولا غلام ثم مال وجال وضرب فيهم بالسيف النصال وتبعته الرجال من اليمين والشمال فلما سمع جساس صوت المهلهل انقطع ظهره من الخوف والوجل ولكنه ثبت فى حومة الميدان خوفا من الهلاك والقلعان وأخذ ينخى الفرسان على القتال والثبات والصبر على لقاء الاعداء قبل الهرب فثبتوا ثبات الجبابرة وقاتلوا قتال الاسود الكاسرة ولكنهم لم يقدروا أن يثبتوا أكثر من ربع النهار حتى انصبت عليهم النكبات وبليوا ببلايا لا تطاق من سيف المهلهل فارس الآفاق فولوا الأدبار وركنوا الى الهزيمة والفرار بعد أن قتل منهم عشرة آلاف فارس وتبعهم جساس وهو فى قلق ووسواس وغنمت بنى قيس منهم غنائم عظيمة ومكاسب جسيمة ورجعت الى الديار بالعزو الانتصار والبطش والاقتدار وفى مقدمتهم الامير مهلهل الجبار وهو مثل شقيقة الارجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان ولما وصل الى المضارب بقواد الكتائب والمواكب لاقته بنات أخيه وجماعة من أقاربه وأهاليه وشكروه على تلك الفعال وقالوا مثلك تكون الابطال ثم أنه جلس فى الخيام وجلست حوله السادات العظام فتحادثوا فى الكلام وشكروا رب الانام على بلوغ القصد والمرام وبعد أن أكلوا الطعام وشربوا المدام التفتت بعض القواد الى المهلهل فارس الطراد وقال له بالله عليك أن تنشدنا شيئا من أشعارك لان قلوبنا مشتاقة الى الوقوف على أخبارك وما جرى لك فى أسفارك فعند ذلك

ثم انشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول الزير أبو ليلى المهلهل فكل مقدر لا بد يأتى
نزلت باخوتى وابناء عمى بجنح الليل لايدروا صفاتى
فقالوا ضيفنا شرطوا علينا فلا نوقد النار فى الفلاة
ولا نفزع ولو فزعوا علينا ولا نركب خيولا صافنات
تكالمت اليمامة مع حمامة وقالوا عمنا هيهات يأتى
فقلت لها أنا لبيك جيتك أنا مروى السباع الكاسرات
جيت لعندها فى قلب جامد وحدت عيونها متقرحات
فقلت لها يمامة ليش تبكى جرحت بالبكا قلبى فانى
فهمك يا يمامة ليس مثلى اذا ثارت حروب فى الفلاه
أنا عمى كراديش الفوارس اذا ما وهجت نار العداه
وجيت أنا على جساس رامح هرب منى وقالوا أتوا العداه
وقال الزير جانا يا بلانا وطالب ثاره المرهفات
فقولوا لابن مرة أين بعدى أتاه الزير ذباح العداة

قال الراوى فلما فرغ الزير من كلامه شكروه جميع الحاضرين وعند ذلك تقدم سلام المهيا اليه وقبله بين عينيه وأشار يقول

على ما قال سلام المهيا مهلهل جيت هذا اليوم يومك
وزال العنا والتوفيق أقبل وأضحى القطر يزهو بقدومك
ولما جيت يا زين الفوارس أزلت همومنا زالت همومك
فقم اركب عليهم يا مهلهل نهار وليل ما أحد يلومك
وخذ بالثار من جساس حالا وافرج غمنا واجلى غمومك

فلما فرغ سلام من شعره طابت قلوب الجميع وعادوا الى ما كانوا عليه من الفرح والمسرة وأما بنو مرة فانهم ابتلوا بالذل والويل من حرب الزير فارس الخيل ولما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح ركب المهلهل فى مائة الف بطل وطلب حرب القوم فالتقاه الامير جساس فى ذلك اليوم وكان معه مائة الف مقاتل بين فارس وراجل فانتصب بين الفريقين القتال وعظمت بينهم الاهوال وقاتل المهلهل حتى استقتل فنكس الابطال الفحول على ظهور الخيول وقتل جماعة من السادات الاعاظم الذين اشتهروا بالفضل والمكارم وشاع ذكرهم فى الافاق فنهم الامير شهاب المكنى بعقاب وغيره

من السادات الانجاب واستمر القتال على تلك الحال طول ذلك النهار فانكسرت بنو مرة أشد انكسار ورجع المهلهل بالعز والانتصار وفى صباح اليوم الثانى ركب بفرسان الكفاح فالتقاه جساس بالرجال والابطال وتقاتلوا أشد قتال ولما تقابلت الصفوف وتبادرت المئات والالوف برز شاليش أخو جساس إلى بين الصفوف ولعب برمحه أنداب حير عقل الشباب وطلب المهلهل فانطبق عليه وحمل كأنه قطعة من جبل أو قلة من القلل فتطاعنا بالرماح وتضاربا بالصفاح وثبت شاليس أمامه ثبات الابطال لانه كان من الرجال المشهورة والفرسان المذكورة واستمر الاثنان نحو ساعة من الزمان وهم فى ضراب وطعان وكان الامير شاليس قد حتم على نفسه أمام الابطال اما أن يهلك في ذلك النهار أو يظفر بخصمه ويعيش فى عز واقبال ثم صاح على المهلهل وطعنه بالرمح قاصدا قبض روحه فالتقاها المهلهل بالدرقة فراحت خائبة بعد ان كانت صائبة ثم تقدم اليه وهجم وضربه بالسيف على عاتقه فطلع يلمع من علائقه فوقع قتيلا وفى دمه جديلا ثم هجم على الرايات وطعن فى الفرسان والسادات فقتل الرجال والابطال فى ساحة المجال وفتك بهم فتك الاسود الكاسرة وفعل أفعالا تعجز عنها الجبابرة وفعلت جميع أبطاله مثل أفعاله وقاتلوا القتال المنكر وأذاقوا الاعداء الموت الاحمر فلما رأى جساس ما حل بقومه من العذاب اشتعل قلبه بنار الالتهاب وزاد اكتئابا على اكتئاب على أخيه ليث الغاب لانه كان يحبه محبة عظيمة ويوده مودة جسيمة فبكى وانتحب وولى يطلب لنفسه الهرب وتبعته رجاله وفرسانه وأبطاله ورجع الزير بباقي الفرسان الى المنازل والاوطان وهو مثل شقيقة الارجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان. فالتقته اليمامة بالاعتزاز والكرامة ثم نزل في الخيام مع السادات فأكلوا الطعام وشربوا المدام وكان كل يوم يركب حسب عادته لحرب القوم حتى بلغ منهم المنى وأبلاهم الذل والعنا فلما طال على بنى مرة المطال جمع جساس الرجال ومن يعتمد عليهم من الابطال وقال لهم ما قولكم فى هذا الامر العسير فقد حل بنا التدمير وهلك كل سيد وأمير وان طال القتال لم يبق أحد من الرجال فقال سلطان الرأى عندي أن نأخذ أختنا الجليلة وبعض نساء القبيلة ونذهب اليه ونقع عليه ونطلب منه كف الاذى والضرر ونعطيه دية أخوه مهما أمر ونقيمه ملكا على الشام وندفع له الجزية فى كل عام فقال جساس ومن يذهب اليه بهذه المأمورية قال أنت يا أخى فتبسم جساس وقال هل سمعت ان أحدا من الناس يرى الموت أمام عينيه فيزحف اليه على رجليه فقال سلطان أنا اذهب اليه لان بيني وبينه مودة قديمة ثم انه نهض فى الحال وتأهب للمسير والترحال وأخذ امرأة أخيه الجليلة وبعض نساء القبيلة وقصد المهلهل حتى وصل اليه فدخل وسلم عليه وقال بالله اصفح عنا فقد أهلكت رجالنا ولم تبق أحد منا فقد أتيت الآن مع الجليلة امرأة أخيك وأكابر نساء القبيلة

حتى نقع عليك ونطلب العفو من جنابك ونبلغك الارب من الفضة والذهب ونقيمك ملكا على هذه الديار ونكون طوعا لك مدى الاعصار لانك سيفنا الصقيل ورمحنا الطويل ثم انشد هذه الابيات بحضور الامراء والسادات

قال سلطان مرة في بيوت — يامهلهل استمع مني القصيد
ليت عمرك يا مهلهل الف عام — ياحماة البيض في اليوم الشديد
فاعف عنا ياسياج المحصنات — ليت عمرك كل يوم في مزيد
نحن منك وأنت منا يا همام — كلنا أولاد عمك يا رشيد
فاعف عنا ثم دعنا في حماك — تحت ظلك عيشنا يبقى رغيد

ألما انتهى من شعره ونظامه أجابه المهلهل بهذا القصيد

أفتهم يا ابن عمي ما أريد — واستمع خوى كلامي والقصيد
ليس لي من ذنب في هذي الامور — وأنا في حقكم لست عنيد
غصب عني يا سياج المحصنات — ليت عمرك يا ولد عمي يزيد
كل ذا جاري عليكم يا رجال — من يمامة بنت أختك بالاكيد
اليمامة كل يوم تقول لي — خذ بثاري أيها البطل العنيد
فان عفت أنا عنكم اعف — كل قولي صادق والله شهيد
وان أبت لست أخالف قولها — انى عن أمرها لست أحيد

قال الراوي فلما انتهى الزير من كلامه قال لسلطان ومن حضر معه من أقوامه إني لا اكف الحرب والقتال ولا أرفع عنكم السيوف الصقال إلا الى يوم القيامة أوان تعفى اليمامة فاذهب وخاطبها كما خاطبتني به أمام السادات فعساها أن تجيب طلبك يا سلطان فعند ذلك قصد سلطان اليمامة مع اخته الجليلة ومن حضر معه من نساء القبيلة والاعيان فدخلوا جميعا وسلموا عليها وقبلت الجليلة بناتها وقالت من اما كفي يا بنات الا كارم والوفا فقد هلكت الفرسان والابطال وساءت أحوال الناس رناعرة لن اعتبر ومثلا بين البشر فأجابتها اليمامة إن لا نصلح حتى لا يبقى منا أحد يقدر أن يكافح وان كان عمي عجز عن قتالكم فانا أنوب عنه والتقى أبطالكم ثم ختمت الكلام بهذا الشعر والنظام

قالت يمامة من قول صادق — يا جليلة اقصري عنا عناكم
أنت واخوالي وكل عشائري — لا تزيدوا افظكم الذي لعناكم
قتلتم الماجد كليبا والدي — غدرا وما له ذنب معاكم

جساس طعنه من قفاه بحربة ودماه على الغبرا عفير حداكم
وأنا واخوتي بقينا بذلة نمسي ونصبح لسنا ننسى بلاكم
إنا لا نصالح حتى يقوم والدي ونراه راكب يريد لقاكم

فلما فرغت اليمامة من شعرها ونظامها وفهمت الجليلة فحوى كلامها رجعت هي وأخيها مع باقي النسا إلى الحي بدون أدنى إفادة وأخبروا جساس واقعة الحال وما سمعوه من المقال فاعتراه الخوف وأيقن بالهلاك والوبال فقال له أخوه سلطان وكان ذا مكر عظيم اني سأهلك الزير أيها الامير وأقوده اليك عند الصباح كالبعير فقال ماذا عولت أن تفعل وما هو العمل قال اني أقصد الميدان في جماعة من الاعوان واحفر هناك ثلاث حفائر ونغطيهم بالقش حتى يختفوا عن عيون العساكر فاذا كان الصباح والتقى الجحفل بالجحفل فتبرز أنت إلى المهلهل وتكون عارف بهم فتقوده اليهم وبهذه الوسيلة تتم الحيلة فيسقط في هذا الشرك فنهلكه ونخلص من شره ودهاه فاستصوب جساس هذا الرأي وخرج في ذلك الليل مع أخيه سلطان في جماعة من الاعوان حتى وصلوا إلى ذلك المكان فحفروا ثلاث حفاير عميقة وغطوها بالقش ووضعوا عليها التراب حتى تختفي عن العيون ثم رجعوا الى مكانهم وهم مسرورين وباتوا تلك الليلة على مقالي النار ينتظروا طلوع النهار هذا ما كان من هؤلاء وأما الزير فانه ركب عند الصباح بفرسان الكفاح وقصد ساحة الميدان بقلب أقوى من الصوان فالتقاه جساس بالعساكر ثم انفرد نحو تلك الحفير وأخذ يلاعب الجواد أمام العساكر والقواد فرآه بعض الفرسان وهو يجول في ذلك المكان على ظهر الجواد فاعلم المهلهل بذلك الشأن وقال ان خصمك ظاهر للعيان في تلك الناحية من الميدان فلما رآه المهلهل قصده على عجل ليقتله ويبلغ الامل فلما اقترب منه بعد جساس عنه فتبعه على الأثر فسقط في إحدى الحفر فارتد عليه جساس وانطبقت عليه الناس فقصدوا ربطه [illegible] وعدموه فلله در الحصان أبو حجلان فانه كان من عجائب الزمان وغرائب الاوان أخف من الغزلان وأسبق من البرق عند اللمعان فانه عند وقوعه ضرب بحوافره الارض حتى صار [illegible] عنه مدورة فاستعظم تلك الامور المنكرة ونأى عن [illegible] فرأى جساس ينخى الابطال ويصيح برجاله فتقدم [illegible] بالماية ووثب به الجواد وانتصب [illegible] العساكر عضوا على بعض فزاد الزير [illegible] وعدم الحواس [illegible] وضعف وانحل عصبه حتى [illegible] وطاش واعتراه الخوف

والارتعاش وأيقن بالهلاك والممات وآيس على نفسه من الحياة وقد وقع في بلية عظيمة وداهية جسيمة فلما بلغ جساس الامل وأيقن بنجاح العمل أمل ببلوغ الارب وصاح من شدة الطرب على رجاله ومن يعتمد عليهم من أبطاله يا ويلكم أدركوه وأطعنوه لانه إذا تخلص هذه المرة من هذه الحفره لا تتأملون بنجاح أو نصرة فلما سمعت الرجال منه المقال قصدوا ذلك المكان يمينا وشمالا وكانت أيضا بنو تغلب قبيلة الزير قد أقبلت وأبطالها ورجالها بار انتشب بينهم وبين القوم قتالا لم يسمع بمثله قبل ذلك اليوم وكان القتال في هذه المرة بجانب تلك الحفرة ولما عظمت الاهوال وتكردس جثث القتلى على الارض مثل التلال من ضرب السيوف وطعن النصال هجم جساس أمام الناس وقال للفرسان أدركوني في هذا النهار واسعفوني بالتراب والاحجار واردموا هذه الحفرة في سرعة الحال وأنا أرد عنكم هجمات فتقدموا بالعجل وبادروا باجراء هذا العمل غير أنهم لم يبلغوا المطلوب لان اخوة الزير وباقي الفرسان هجموا عليهم من اليمين واليسار وضربوا فيهم بالسيف البتار فأبلوهم بالذل والدمار وكان الامير مرة بالقرب من تلك الحفرة فرآه عدي أخو الزير وقال أهلا بالعم وقبض عليه والقاه الحفرة وقال خذه يامهلهل وعند وصوله ضربه بالسيف فقتله وبعد قتال عظيم اخرجوا الزير من تلك الحفرة بالقوة وعند ذلك انشرحت من بني تغلب القلوب وزالت عنهم الكروب وايقنوا بالنجاح وقصدوا الحرب والكفاح والتقوا الاعداء بالانفس ومال الزير على القوم ونادي اليوم ولا كل يوم وفي الحال اصطلت نيران الحرب والقتال وقامت الحرب على قدم وساق وخمدت من القوم الاحداق وفعل الزير في ذلك اليوم افعالا لا تطاق وما زالوا في أشد قتال الى قرب الزوال وعند ذلك دقت طبول الانفصال فرجعت بنو مره بالويل والحسره والمهلهل بالنجاح والنصرة ثم نزل عن ظهر جواده وخلع آلة حربه وجلاده فجاءت الاعيان والامراء وأكثر من زاده ولما جلس في الديوان نادى على عبد هادي شهوان باحضار المدام الى الديوان فأحضره بالعجل فتناول منه المهلهل ومن حضر في ذلك المحفل وعند ذلك تذكر الزير ما جرى له في ذلك اليوم المهول فأنشد يقول

يقول الزير أبو ليلى المهلهل   فدمع العين هطال همانا
لقد قتلوا اخي أولاد همصي   وقلوا ما وراه الا جبانا
ولا يدرون بأسي واقتداري   قطعتهم ولم أخشى الزمان
اتتنا في كليب أولاد مرة   اتونا واقعين على نسانا
وقالوا كف عنا يامهلهل   فقد حكمت سيفك في اذانا
فاطلب ما تريد اليوم منا   واتركنا لقد صرنا حزانا

فقلت لهم فروحوا لليمامة رضاها اليوم أحسن من رضانا
قتلنا فى كايب ألوف قوم فما فيهم ردى ولا جبانا
قتلنا من بنى مرة امارة ملابسها ثياب الطيلسانا
فراحوا الكل قد وقعوا عليها وقالوا عمك أرسلنا عيانا
فقالت اذهبوا يا آل مرة فهذا القول ضحك فى لحانا
فانا لا نصالح فى كايب إلا أن نراه على الحصانا
وقد حفروا لقتلانى حفاير وغطوها وقالوا قد كفانا
فركبوا خيولهم وأتوا حدانا وقالوا قد أتانا قد أتانا
وقف جساس ما بين الحفاير هجمت عليه أطعنه السنانا
فولى هاربا من هول حربى ومرة قد قتلناه عيانا
رجعنا بالغنايم والسبايا وقد نلنا المقاصد من عدانا
فكونى يا يمامة فى انشراح وحظ دائم طول الزمان
فسوف أبيد جساس بسيفى وكل صميدع يبغى أذانا

فلما فرغ الزير من شعره ونظامه شكره جميع أقوامه ولما أصبح الصباح رجعوا الى ما كانوا عليه من الحرب وما زالوا فى قتال وصدام مدة من الأيام ولما طال المطال اتفقوا على توقيف الحرب وأخذوا مدة شهرين لراحة الفريقين فاتفق بعض الايام بينما كان الزير خارج الخيام ومعه جماعة من الخدام واذا برجل يقود مهرا أدهم كامل الصفات فاستحسنه الزير غاية الاستحسان وقال لقائده ما هو أصل هذا الحصان فقال يا حلو الشمائل انه من الخيل الاصائل أتيت به من أبعد الحلال هدية للامير مهلهل فتعجب الزير من هذا الاتفاق وقال لقد نلت مرادك الآن فأنا هو مهلهل الذى أنت قاصده ثم أخذ منه الجواد وأمر له بألف دينار فدعا له بطول البقاء ومزيد الارتقاء وسار من يومه الى قومه فاعتنى الزير بالجواد وفضله على جميع الخيول الجياد واتفق فى ذلك النهار أنه التقى برجل اختيار وهو راكب على دابة سوداء مثل الظلام ووراها كر ابن سبعة أيام وهو يبرطع خلفها وتارة من قدام فلما رآه الزير أعجبه وقال يا شيخ أتبيع هذا الكر فقال نعم قال بكم قال ليس على الكريم شرط فأعطاه الزير ماية دينار وأخذه منه وسلمه للسايس فرباه مدة أربع سنوات ثم دخل الزير ذات يوم إلى الاصطبل فنظر الكر وهو متعافى فأمر السايس باخراجه وأن يضع عليه عدة ولجام فاخرجه وأدرجه وألجمه فركب عليه الزير وساقه فرجع الى الوراء فرده الى اليمين فراح شمالا واجتهد أن يعديه باطلا فغضب ولكزه برجله فى الركاب فتضايق المشوم من فعاله

وضربه بنعاله ثم ضربه ضربة عظيمة من شدة الوجع كانها لمدافع فغضب الزير وتألم وضربه فقتله ودخل إلى صيوانه واجتمع بقومه وقال لقد حرت دنيا الآمر وأكرمتنا فضاع جميلي معه ثم أنه ركب ذلك الحصان الذي اشتراه بلاول وحمده من عجائب الزمان فزاد انشراحه به وأمر السايس أن يسوسه ويداريه ثم أنشد يقول

يقول الزير أبو ليلى المهلهل ... دموع الشعر من غلي بمالي
أيا عادى رضيت الخيل تركب ... تعال واستمع مني مقالي
جميع الخيل للحمراء حوادم ... شبيه ... تخدمها الموالي
وأما الشقران ضروا ... ق ... ذات الرمح تسبق في المجال
وأما الخضر مركوب الامارا ... فتركبها الملوك وكل والى
وأما الدهم زينوهم عليقا ... وحبوهم لدهات الليالي

قال الراوي فلما فرغ الزير ... شكره قومه على حسن اهتمامه ثم استعد الفريقين للقتال وجرت بينهم عدة وقائع ... بها ... ل وكسب أموالا كثيرة فلما رأه مشهود بن حتى ضعفت بنو بكر وذلت وبعد كثرتها قلت واضمحلت وبينما هو في حالة الذل واذا بغبارة علا وثار قاصد تلك الديار فشخصت اليه الابصار وبعد ساعة تمزق الغبار وبان من تحته ألف فارس وكلهم بالحديد غواطس وفي أوائلهم فرس كأنه قطعة من الليل أو قطعة ... من ذيل جبل وعلى رأسه البيارق والرايات فلما رآه جساس استبشرون لما به من الكدر وأيقن بالفرح بعد الشقا ولما اقترب العيان وتأملته الفرسان إذ هو أسد الآجام الامير شيبوز بن الامير همام وكان المذكور قد خرج في جماعة من الفرسان الصدام للغزو على بلاد الروم وذلك من عهد وقوع الزير في البحر كما سبق الكلام فلما عرفوه وتحققوه خرجوا اليه واستقبلوه فرحوا بقدومه إلى الديار وكان ذلك اليوم عندهم من أعظم الاعياد فذبحوا الذبائح وأطعموا الغادي والرائح وكان أفرح الخلق أبوه همام وامه ضباع لم يكن لهما غيره بعد الذي قتله الزير ... لم يزل في صيوانه باطاله وفرسانه خلع عدته وغير بدلته ودقت النوبات وقامت الافراح ... وأولم جساس وليمة عظيمة لها قدر وقيمة دعا اليها جميع الاكابر وأمراء القبائل ... شيبوز قد وجد الامراء والاعيان في غموم وأحزان فسألهم عن تلك الاشارة فقال لهم ... ابن أخي عما اصابنا ودهانا من ذلك الزير الهمام لانه لا يكتفي بقتل السيد ... جميعنا ... على طول الزمن فاه أفنى رجالنا وأهلك ... ... لنا ... والخبر كل هذا ... ولا يقبل ولا مال ولا فدية وهو ... لا ... القصة وأوقفه على ما صار ... شيبوز هذا الكلام

صار الضيا فى عينيه الظلام ومن أعظم ما ناله احمرت عيناه وشتم خاله ووعدهم بالمساعدة وأن يكونوا يداً واحدة فى القتال ثم نظم هذه القصيدة وأرسلها له على سبيل الملام والتهديد

قال شيبون بن همام الامير حامى الزينات قهار العدا
مرعب الفرسان فى يوم اللقا ساقيا أعداء كأس الردى
ضرب سيفى يقطع الصخر المتين ثم يقدح للصخور الجلمدا
كل من يبغى قتالى يرتدي ويرى فوق الصعيد ممددا
لم يبقى لى من مقارن بالمجال حين يلقونى يولوا شردا
وانت ياخالى مهلهل ياهمام شد عزمك للقتال الى غدا
لاتقل ياخال ما أعلمتنى ياقليل العقل لاتتمردا
ابرز الى فى الصباح ولاقنى ثم أبشر يامهلهل بالردى

قال الراوى فلما فرغ شيبون من شعره ومقاله ختم الكتاب وأرسله إلى خاله مع أحد رجاله فلما فتحه الزير وقرأه وعرف محتواه احمرت من الغيظ عيناه وقد شفق عليه وتأسف وصفق كف على كف وقال انه معذور فى هذه الامور لانه جاهل مغرور فيقتضى أن ينتصح قبل أن يقتل ويفتضح فاجابه على أبياته يقول

قال أبو ليلى المهلهل اننى مفرج الكربات في يوم الزحام
يافتى شيبون ياابن أختى ضباع تهددنى فى كتابك ياغلام
ثم تطلبنى الى سوق المجال وأنت قصير عن ضرب الجسام
أنت ياشيبون لاأسخي عليك ياحمادة البيض فى ضرب الجسام
أحتفي من أن تجهل ياامير فالجهل يسقيك كاسات الحمام
أطرد الشيطان ابليس اللعين وانتصح من قول خالك ياهمام
لاتخالفنى واسمع ماأقول يقتلك جهلك وما تبلغ مرام
رد عما انت فيه لاتزيد ان كنت تبغي حربى والصدام
شد عزمك غدا نتلاقى سوي من طلوع الفجر الى وقت الظلام

(قال الراوى) فلما انتهى الزير من نظامه أرسل الكتاب إلى ابن أخته شيبون فلما فتحه وعرف المضمون مزقه ولم يكترث به وعند الصباح أمر بدق طبل الحرب وركب شيبون وجساس وكذلك فعل الزير الفارس لدعاس والتقوا بابطالهم ورجالهم وتشددوا فى قتالهم فبرز شيبون الى ساحة الميدان وتبعته الابطال والفرسان والتقى بفرسان تغلب وفعل بهم العجب فاتت دم فارساً الا اعطبه وعن

أجواده أقبله ثم صاح وحمل بقلب أقوى من جبل وطلب براز خاله المهلهل وكان الزير لما شاهد أفعال ابن أخته وما فعل بأبطاله حمل عليه وقد احمرت عينيه وقال له اذهب ياوجه العرب قبل أن يحل بك العطب فقال أين أذهب ياخالي وأنت غاية آمالي فوالله لاقتلك في هذا اليوم وأطفي أخبارك من بين القوم لانك طغيت وبغيت فاغتاظ الزير من هذا الكلام والتهديد والتقا بقلب شديد وجرى بينهما في القتال مايشيب رؤس الاطفال ولما طال الامر قال الزير أمام الفرسان ارجع يا ابن أختي ياماذ قبل أن يحل بك الهوان وتلحق أخاك شيبان فاذهب الى أهلك وارسل لي ابطال قومك أو جساس عمك فلم يجبه شيبون بكلام بل هجم عليه كسبع الآجام وكان الزير كلما احكم عليه الضرب في أثناء الحرب يتمنع من أذاه شفقة عليه واكراما لخاطر والديه ومايطاوله وينصحه بالرجوع عما هو فيه الى ان أقبل الظلام فعند ذلك توقف القتال ورجعت الابطال عن ساحة المجال ثم التقوا في اليوم الثاني وكان أول من برز الى الميدان الامير شيبون فصاح وحمل وطلب براز المهلهل ونصحه فلم ينتصح بل تقدم وهجم عليه وأشار يقول متهددا اياه أمام الفرسان الفحول

قال شيبون ابن همام الامير	فارس الفرسان في يوم النكير
استمع يازير قولي وافتهم	لا بد من قتلك أيا وغدا حقير
ما بقالك مخلص مني ولا	من حسامي اليوم لوانك تطير
ثم آخذ ثار أعمامي الجميع	كم بطل صنديد صيرته عفير
ليست لك قلب على أختك يحن	وأولاد عمك ذا قومنك النكير
كم قتلت منهم خلق كثير	كم يتمت منهم طفلا صغيرا
سوف تنظر كيف حربي ياأمير	في لقا الابطال مالي من نظير
أخبروني حين حضوري أنه	ياقليل العقل تركب للحمير
مايقتني الحمار الا الحمار	ماأنا مثلك ولاعقلي صغير
هات لي سيفك ورمحك والشهاب	هات أبو حجلان كالطائر يطير
حتى أقيلك من حسامي والفنا	وتطلب الجيرة ومالي من يجير
إن كنت تنتصح هذا حربنا	ويكون النصر من رب القدير

فلما سمع الزير كلامه اشتد به الغضب وأجابه يقول

قال أبو ليلى المهلهل ثم قال	أنت ياشيبون ماعاد لك مجير
هرجت ياشيبون في قولك كثير	الجحش لا يحمل كم يحمل بعير
لوسقيت الجحش من سكر وسمن	ولو خلطت الصبر بالشعير

لا عاش أصله ما ينفع معه الحيل … أكيده هو مجنون من يقفى الخير
وانت ياشيبون لو لم تكن حمار … ما رجعت اليوم الى حربى تغير
فانا عفوت عنك بارحة … من أجل أمك أوك نعم النصير
وأنت تعلم انى سبع الرجال … قتلت منكم اثنى عشر الف أمير
هذا من غير التوابع والغريب … تاه فيهم العدد ناس كثير
كم نصيحة أنصحك لا تنتصح … جاهل سوف تقع فى وسط بير
لم يبق لى ذنب أن أتاك منى ضرب … يهدى الأبدان ما عاد لك مجير
دونك الميدان يا شيبون قم … شد عزمك لا يكن باعك قصير

قال الراوى فلم يلتفت شيبون الى كلامه بل حمل عليه حملة أسد الغاب وأخذ معه في الكر والفر فالتقاه مهلهل بالعجل بقلب أقوى من جبل واشتد بينهما القتال وعظمت الاهوال حتى تعبت من تحتهما الخيل وارتخى منهما العزم والحيل ومالا على بعضهما كل الميل وكان الزير يطاوله ويحاوله واستمرا يتقاتلان ثلاث ساعات من الزمان حتى تعجبت من قتالهما الفرسان وشخصت اليهما عيون الشجعان وكان الامير شيبون يود أن يقتل خاله ويعدمه الحياة ويفتخر بقتله على الابطال الى أن اغتنم الفرصة عليه فهز الرمح وطعنه بين ثديه فخلى منها المهلهل فراحت خائبة بعدما كانت صائبة وزادبالزير الغضب وتوقد قلبه والتهب وصمم أن يسقيه كاس العطب فجذب سيف حكمون وقال اليوم أريك يا مجنون كيف الضرب يكون لانى نصحتك فلم تقبل فأنت الخسران ثم تقدم وهجم عليه وضربه على مفرق رأسه شقه الى تكة لباسه فوقع قتيلا وفى دمه جديلا فلما رآه المهلهل وهو قتيل بتمامل ندم على مافعل فتحسر وهطلت دموعه وعندما قتل الامير شيبون احمرت من بنى مرة العيون وأيقنوا بالهلاك ولكنهم أخفوا الكمد وأظهروا الصبر والجلد وقاتلوا قتال الاسود وطلبوا الرايات والبنود فالتقاهم الزير بالعساكر وضرب فيهم بالسيوف البواتر وأحاط بهم احاطة السوار بالمعصم وقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنائم جسيمة فلما رأى جساس ضعف حاله وموت رجاله ولى يطلب الهرب خوفاً من العطب وتبعته فرسان العرب وقد أبصروا العجب من قتال بنى تغلب فرجع عنهم الزير وهو حزنان على فقد ابن أخته الامير شيبون فنزل فى صيوانه مع الامراء والاعيان ولم يكن له دأب إلا البكا والانتحاب ولما زاد به الحزن وضاقت منه النفس أنشد هذه الابيات

الزير أنشد شعرا من ضمائره … العز بالسيف ليس العز بالمال
شيبون أرسل نهار الحرب يطلبنى … يريد حربى وقتلى دون أبطالى

نصحته عن قتال لم يطاوعني بارزته فشوى للارض بالحال
المال يبنى بيوتا لا عماد لها والفقر يهدم بيوتا سقفها عالى
ذع التقادير تجرى فى اعنتها ولا تبيتن الا خالى البال
مابين لحظة عين أنت راقبها يغير الله من حال الى حال
فكن مع الناس كالميزان معتدلا ولا تقلن ذا عمى وذا خالى
عم الذى أنت مغمور بنعمته خالى الذى أنت من أضراره خالى
لا يقطع الرأس إلا من يركبه ولا ترد المنايا كثرة المال

قال الراوى فلما فرغ الزير من كلامه انطرح على فراشه من شدة حزنه على ابن أخته ولما بلغ قتل شيبون أبوه همام وأمه ضباع احترق قلبهما عليه لانه كان وحيدهما بعد شيبان أخيه وكانت الفرسان قد أتت بجثته اليهما فبكيا البكاء الشديد ومزقا عليه الثياب وبعد ذلك واروه فى التراب وفى ثانى الايام ركب الامير همام لقتال الزير وتبعه جساس والابطال وبلغ المهلهل الخبر فركب فى أبطاله وفرسانه ولما التقى الفريقان وتقابل الجمعان برز الامير همام الى الميدان وطلب المهلهل وكان قد وضع لثاما على وجهه حتى لا يعرفه فبرز اليه المهلهل وهو لا يعلم انه الامير همام فاقتتلا ساعة من الزمان وكان همام قد ضرب الزير بالحسام قاصدا أن يسقيه كاس الحمام فخلى الزير منها فراحت خائبة ثم هجم عليه وطعنه بالرمح فى صدره خرج يلمع من ظهره فوقع عن ظهر الجواد كأنه طود من الاطواد فالتفت الى الزير وهو على آخر رمق آه يامهلهل لقد قتلت أمس ابن أختك واليوم قتلت همام صهرك فلما سمع الزير هذا الكلام تنغص عيشه وتكدر وقال له ياهمام ماعاهدتنى أن لا تقاتلنى أبدا وأن نكون أصحابا على طول المدا فلماذا خاطرت بنفسك وأنت تعلم أنت لست من رجالى قال لقد جرى القلم بما حكم وانقضت حياتى ودنت وفاتى وهذا الامر مقدر بامر رب البشر ومادام الامر كذلك يافارس المعارك فكف عن هذا الحرب واجعلنى فدى أخيك فانى والله يعز على فقدك وقد تكدر صفو عيشى من بعدك ولكنى لا أكف الحرب والصدام حتى لا يبقى من بنى بكر شيخ ولا غلام ثم انه بعد هذا الكلام هجم على المواكب وفرق الكتائب فتأخرت الفرسان عن قتاله ورجعت إلى الوراء وهى فى القلق والاكدار ولما بلغ ضباع قتل بعلها ضاع عقلها وعظم مصابها فسارت الى بنى تغلب ودخلت على أخيها الزير وقلبها يتلهب وقالت له كلام الغضب أهكذا تعمل يا أخبث العرب تقتل أولادى وبعلى وتحرمنى أهلى وأبقى حزينة طول الدهر أقاسى الذل والقهر أهكذا تكون الاخوان فوحق الاله القادر الفاحص الضمائر ان موتى يامهلهل ألذ عندى من الحياه وأفضل فانك نسيت الجميل والمعروف وقابلتنى بالغدر والمألوف بعد أن

خلصتك من الحريق وكشفت عنك هذا الضيق فلما سمع الزير منها هذا الخطاب أظهر الحزن والاكتئاب وتلقاها بالاكرام والترحاب ثم اعتذر لها بذلك الغلط وأخذ يطيب خاطرها ويعزيها عما فرط وأمرها ان تسكن عنده بخدمها وحواشيها فامتثلت كلامه وأقامت من ذلك اليوم في بيت أخيها قال الراوي ولما عظم الامر على جساس وبني بكر وكثر فيهم السبي والقتل أرسلوا يستنجدون أهل اليمامة فأمدوهم برجل منهم يقال له الفند بن سهل وكان من جبابرة ذلك الزمان لا يبالي بالاهوال ولا يخاف كثرة الابطال وكان يلقي نفسه بالمخاطر ويصيد الاسود الكواسر فسار الى مساعدة القوم وقد انتخب سبعين فارسا من الشجعان يقاربوه بالشجاعة والفروسية والهمة العالية وكانت أهله قد كتبت اليهم تقول قد أمددناكم بعشرة آلاف فارس من الفحول وبهم تنالون القصد والمأمول فلما قدموا الى تلك الاطلال ورآهم جساس وباقي الابطال اعتراهم الاندهال فانهم لم يروا أكثر من سبعين تحت راية الفند الاسد العربن فقالوا أين جماعتكم الباقين فقال الفند أنا بسبعة آلاف بطل فارس ورفاقي ثلاثة آلاف بطل مداعس فتبسموا من هذا الكلام والتقوهم بالاكرام وذبحوا النوق والاغنام ونصبوا لهم المضارب والخيام ثم استعدوا للقتال فسمع بهم المهلهل فغضب وزحف من يومه في فرسان قومه فالتقته بنو بكر في مكان يدعى عقبة الريحان ولما تقارب العسكران قال الحارس بن عباد وكان من الفرسان الاجواد الى جساس هل تطيعني أيها الامير فيما أشير قال قل ما بدالك قال إن القوم مستخفين بقتالنا وذلك لضعفنا وقلة رجالنا فقاتلهم بالنساء مع الرجال فتبلغ منهم القصد والآمال فقال جساس وقد اعتراه الاندهال ما معنى هذا الكلام وكيف تقاتل النساء مع الرجال قال إنك تحلق رؤوس الفرسان وتجمع البنات والنسوان اللواتي اتصفن بالشجاعة وقوة الجنان فتحملهن الماء والقرب وتعطي كل منهن مطرقة من خشب وتصفهن خلف الرجال وقت الحرب والقتال فان هذا مما يزيد الابطال نشاطا في ساحة المجال فاذا خرج منكم أحد الناس بعرفنه من رأسه فيسقينه الماء فيسعفنه وإذا مررن بالعدو عرفنه فقتلنه فاستصوب جساس رأيه واستحسنه وفي عاجل الحال جمع النساء والرجال وعرض عليهم ذلك الامر فامتثلوا وأجابوا أمره لم يبق من بني بكر أحد إلا حلق رأسه واستعد إلا رجلا اسمه [illegible] بن مروان وكان ذا هيبة [illegible] فقال يا قوم اني قصير وإذا حلقت رأسي [illegible] الكبير والصغير [illegible] لكم قتل خمسة فوارس من تغلب [illegible] ولما التقى العسكران وتضاربوا بالسيوف والخناجر وانصبت تغلب على بكر كليوث الآجام [illegible] بضرب السيوف فارتدت بنو بكر طالبة الانهزام فأشهر جساس في يده الحسام وصاح بصوت كالرعد وقال يا ويلكم ارجعوا

وقاتلوا بهمة وعزيمة فإن الموت أفضل من الهزيمة فارتدت بنو بكر بعد الانفلال الى الحرب والقتال وضموا خيولهم كتيبة واحده وطلبوا المكافحة والمجادلة وصاح الفند بن سهل والتى نفسه فى الميدان وهو ينخى الابطال ويصيح على الرجال ففرق المواكب وأظهر فى قتاله العجائب فلما رأى المهلهل أعماله برز اليه وطلب قتاله فالتقاه الفند بقلب كالحديد وهجم عليه هجوم الصناديد وماز الا فى عراك شديد وحرب ماعليه من مزيد إلى أن صار وقت الزوال فتوقفا عن الحرب والقتال وافترقت العساكر عن بعضها البعض ونزلت فى جوانب تلك الارض وكان ربيعة الذى لم يحلق رأسه من بنى بكر قد قاتل قتالا شديدا حتى أثقلته الجراح من ضرب السيوف والرماح فوقع طريحا بين القتلى على وجه الفلا فمرت عليه نساء بنى بكر فوجدنه ذا لحية طويلة لشعر فحسبته من بنى تغلب فضربته بالمطارق حتى أوردته موارد العطب فضربت فيه الأمثال وتحدثت السنة الرجال قال الراوى وعند الصباح ركبت الفرسان ظهور الخيول واعتقلوا بالسيوف والنصول وتقوموا إلى ساحة الميدان للضرب والطعان وكان المهلهل فى أول الجحفل كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من ذيل جبل فصاح وهو ينشد ويقول

شفيت النفس من أبناء بكر واهلكت الحواسد والاعادى
وبكر قد هزمناها وذهلا بأسياف مهندة حداد
وهمام بن مرة قد تركنا صريعا فى الفلاة على الوهاد
تركت الطير عاكفة عليه كشىء هالك من عهد عاد
اذا ما الخيل والابطال جالت هزمت جموعها فى كل وادى
بضرب تذهل الابصار منه وطعن مثل أفواه المزاد
وكل مجرب بالحرب ليث اذا ما جال فى ظهر الجواد
على أن ليس يوف من كليب اذا سرنا الى يوم الطراد
هلموا يا بنى بكر هلموا فان بقتلكم يشفى فؤادى
وإنى سوف أفنيكم جميعا وأبلغ منكم نيل المراد

ثم أنه بعد هذا الشعر والنظام هجم على جيوش الاعداء كليث الآجام وضرب فيها بالحسام وتبعه امرؤ القيس بن أبان وكان صنديدا طعان واشتد بين الفريقين القتال وكثر القيل والقال وتقطعت الاوصال وجرى الدم وسال وكان يوما مهولا لم يسمع مثله فى الاجيال وكثر فيه القتل والجراح وتعددت الفرسان على وجه البطاح وسار تحت الارض من قعقعة السلاح وصهيل الخيول وكان الفند قد حمل على كواكب المهلهل وقاتل حتى استقتل وفمات فرسانه بمثله وبذل جساس

فى ذلك اليوم المجهود وهجم بقومه على الرايات والبنود وهجوم الاسود واشتد على مهلهل القتال وأحاطت به الاعداء من اليمين والشمال وهو يقاتل ويمانع وينخي رجاله على الثبات ويدافع حتى جرح فى ثلاثة مواضع فلما زاد عليه الحال وازدحمت حوله الرجال تأخر عن ساحة المجال خوفاً من الهلاك والوبال وانكسرت بنو تغلب فى ذلك النهار أشد انكسار وتفرقت فى تلك القفار واستظهرت عليها بنو بكر غاية الاستظهار وقتلت جماعة من الامراء والاعيان وصناديد الفرسان ومن جملتهم ليث الميدان وزينة الشجعان امرؤ القيس بن أبان وكان من الاعيان صيته محمود مشكور وهو غير امرئ القيس الشاعر المشهور فبكى المهلهل عليه وكان يحبه ويميل اليه ورجعت بنو بكر الى الديار وهى فى غاية الفرح والاستبشار على ذلك الانتصار وفى أوائلها الفند بن سهل الاسد الكرار وهو ينشد مفتخراً فى ذلك اليوم المهول

عجلا اليوم صاحبي الرواحا ... وأسقياني قبل المدامة راحا
أين ليلى وأين ليلى وليلى ... أعشقت قلبنا رجالا ملاحا
لا ترى عاشقا تعلق ليلى ... ويلاقى العذاب منهم مباحا
لقيت تغلبا كعصبة أعاد ... إذ أتاهم هول العذاب صباحا
ونهمنا عن حربنا تغلب الشوم ... فما عافت البلاء البلاء مناحا
دون أن أبصرت خيولا لبكر ... وخيولا هندية ورماحا
وقتلنا بواردات رجالا ... إذ بدا كاتم الضمير فباحا
سفهوا حلمنا فلما اثاروا ... للقاء الكماة طاحوا طياحا
ورحمت تغلب تعيد كليبا ... فأطحنا سراتهم حيث طاحا
قد تركنا نساءهم نادبات ... معلنات مع البكاء النواحا
وتركنا ديار تغلب قفرا ... وكسرنا من العدو الجناحا
وترى الزير يكثر القول فينا ... بعد ما صار مفردا مستباحا

ولما بلغ المهلهل هذا الشعر زاد حنقه على آل بكر وبات تلك الليلة على مقالى الجمر ثم جمع باقى الفرسان وتقدم للقتال فالتقته بنو بكر بقلوب كالجبال وجرت بينهم وقائع وأهوال لم يسمع بمثلها فى سالف الاجيال واستمر هذا الحرب مدة عشرة أيام وكان المهلهل قد انتصر فى أكثر الوقائع وقتل جماعة كثيرة من الفرسان ولما كثر القتل بين الفريقين اتفقوا على توقيف الحرب مدة شهرين فافترقت الفوارس عن بعضها ونزلت كل فرقة فى أرضها

﴿ خبر ظهور الجرو بن كليب الفارس الدعاس ﴾

قال الراوي وكان لما قتل كليب كما تقدم الكلام وكانت امرأته الجليلة حاملة بهذا الغلام فلما طردها الزير وجاءت إلى عند جساس أخيها فولدت غلاما فسمته الهجرس ولقبوه الناس بالجرو وكان عم أخواله بني مرة وأولادهم وكان خاله نشفق عليه فيكرمه والغلام قد أحب خاله جساسه دون باقي الناس فلا يدعوه إلا أبا ونشأ الغلام ذا عقل وأدب وحبته جميع العرب لفصاحته وبراعته وشجاعته فكان يركب ظهور الخيل ويتعلم عليها الفروسية في النهار والليل فبرع واشتهر بين فرسان القبيلة فلما بلغ عمره خمسة عشر عاما زادت شهرته وارتفع مقامه فرآه جساس في بعض الايام وهو كأنه ليث الآجام والشرر يتطاير من عينيه فلا يقدر أحد عليه فاندهش وخاف منه وارتعش وكان كثيرا يتأمل في أمره ويخاف سطوته وشره حيث أنه قتل أباه بالغدر وتركه يتيما مدى الدهر واتفق في ذات يوم أن الجرو ركب في جماعة من الشبان وأخذوا يلعبون بالجريد في الميدان وكان من جملة الغلمان عجيب بن جساس وكان شديد اليأس فطعن عجيب الجرو طعنة قال عنها فراحت خائبة ثم أن الجرو تقدم نحو عجيب وطعنه جريدة أصابته فألقته عن ظهر الجواد إلى الأرض فنهض غضبانا فشتم الجرو وأهانه بالكلام وقال هكذا تفعل يا ابن اللئام بأبناء السادات الكرام ثم أشار يهدده بهذا الشعر والنظام .

يقول عجيب من قلب موجع ألا يارفقتي حالي عجيب
ضربني الجرو منه لي جريده فأدماني وصيرني كئيب
ولم يعلم بأني خير ماجد ولد جساس قرم مستهيب
ولولا عمتي لقطعت رأسه وأدعيته على الغبرا قليب
فهذا ولد كليب من الاعادي وما ضد الكلاب إلا القضيب
دعوه يروح عنا لا يماطل ويذهب مرعة قبل المغيب

قال الراوي فلما عجيب من شعره ونظامه وفهم الجرو فحوى كلامه أجابه على شعره يقول

يقول الجرو اسمع يا ابن خالي كلامك ليس يسمعه أديب
تقول اليوم تقتلني بسيفك وتتركني على الغبرا قليب
إذا أبصرتني يوما فريدا فتقتلني بسيفك ياعجيب
فانزل عن جوادك يا ابن خالي وافعل ما تريده عن قريب
وافعل ما تريد اليوم فينا فاني لا أخافك ياعجيب

فلما فرغ الجرو من كلامه وإذا بسلطان أخو جساس مقبل عليهما فوجد الدم يسيل من ابن

أخيه جساس فلما علم بواقعة الحال اغتاظ غيظا شديدا وشتم الجرو وسبه وقال له والله لولا امه
أمك لقطعت رأسك وأخمدت أنفاسك فقال يا خال ها أنا واقف بين يديك فافعل بي ما تريد ثم
هطلت عيناه بالدمع وتنهد من فؤاد موجوع ل سار الى أمه وأعلمها بما جرى وطلب منها الرحيل
من تلك الديار فتكدرت أمه لكدره وأجابته الى طلبه ثم انهما صبرا حتى أظلم الليل فهد المضارب
والخيام وسار تحت جنح الظلام فى جماعة من العبيد والخدام وجد فى قطع البرارى والآكام
مسافة عشرة أيام واتفق فى اليوم الحادى عشر أنهما التقيا بشيخ في ذلك البر وهو راكب على
فرس تسابق الريح وكان بصحبته عشرة أبطال من صناديد الرجال وكان قد خرج لصيد الوحوش
والغزلان وهو راجع إلى الاوطان فتقدم الجرو اليه وسلم عليه فرد له الشيخ وقال له أيها الفتي من
أين أتيت والى أين قاصد فقال طردونى أهلى وربيت يتيم وأنا طالب إنسان كريم التجأ اليه
وعنده أقيم فقال الشيخ اذا كان الامر كما تقول فشرفنى الى الاطلال وأنا أفديك بروحى
ومالى وأشار اليه يقول

يقول أمير منجد فى قصيد ألا يا قصيد نيل المآرب
شرف منزلى وامر عبيدك يردون الاباعر والنجائب
بكم قد حلت البركة علينا وزال الشر عنا والمتاعب
فقلى ما تلاقوا أين مرتم وعندي تبلغوا كل المطالب
أنا منجد فمن نسل أكارم أبى وائل وما فينا معائب
الوف الوف تخدمنى وتخضع لامرى فى المشارق والمغارب
أنت بقيت بعد اليوم ابنى ولست اليوم فى قولى بكاذب

قال وكان هذا الشيخ اسمه منجد بن وائل وهو خال كليب وقد كنا ذكرنا عنه أول الكلام
بأنه بعد قتل ربيعة أبو كليب استخدم اخوته الثلاثة عند التبع فى بلاد الشام ولما قتل التبع حسان
ولى وهرب وسكن فى آخر بلاد العرب خوفا من كليب أن يقتله كما قتل باقى إخوته لأنه كان يبغضه
دون أهله وعشيرته فلما فرغ منجد من شعره وفهم الجرو فحوى كلامه فرح واستبشر ورجع إلى
عند أمه وأعلمها بما جرى ثم انهم ساروا معه الى الاوطان ونصبوا هناك المضارب والخيام فأكرمهم
منجد غاية الاكرام وانزلهم في أعز مقام وكان لهذا الشيخ عشرة أولاد ذكور كأنهم البدر فالتفوا
الجرو وأحبوه وكانوا لا يفارقوه وكانت الجليلة عرفت الامير منجد حق المعرفة ولكنها كتمت
الامر عن زيد وعمرو خوفا من العواقب وحلول النوائب فاجتمعت بابنها وقالت له إذا سألك أحد
عن اسمك فقل اسمى الهجرس ولا تقول الجرو فقال إن الاثنين بمعنى واحد فما هو مرادك بذلك

فقالت وإن يكن الهجرس كلب الصياد فانه أصلح الجرو ابن الكلب وأنت أمير وأبوك كان من الفرسان المشاهير ومن ذلك اليوم تسمي بالهجرس بين العرب وكانت خائفة عليه فاجتمعت ذات يوم بشيخ عبيدها وكان اسمه صبيح وأشارت اليه تقول

تقول الجليلة بدمع سجام ... أيا صبيح اسمع الكلام
فهذا الشيخ الذى نراه ... مكيد الاعادي بضرب الحسام
يسمي منجد صميدع عنيد ... ولد وائل وفى الذمام
فهو أمير وابن أمير ... حوله عساكر كفيض الغمام
فهذا خال كليب الامير ... مع سالم الزير قوم همام
فهو خاله قد عرفته صريح ... مكيد الاعادي بضرب الحسام
وهو خال زوجي ولكن عدو ... كيف العمل الآن صرنا نضام
وأصل العداوه كليب الامير ... قتل اخوته فى دمشق الشام
قتل اليماني وأخذ ثار أبوه ... وأهلك منجد ونال المرام
ونحن الآن نزلنا عليه ... عرفته وقد اعتراني السقام
إني أخاف على ابني حقيق ... يهينه ويدعى دمه سجام
عدوك أياك تركن اليه ... ولو أنه سقاك المدام

فلما فرغت من شعرها ونظامها وفهم العبد فحوى كلامها قال لها أين نتوجه الآن وقد صار لنا عنده مده من الزمان والصواب أن نكتم أمرنا عن كل انسان لبينما يفرجها الرحمن واستمروا مدة طويلة فى تلك القبيلة وهم فى عز واقبال وأرغد عيش وأحسن حال إلى أن كان فى بعض الايام أغار على الامير منجد بعض ملوك العربان فى ثمانين الف عنان فالتقاه منجد بعسكر جرار فانكسر حتى آل امره إلى الدمار وشاهد الجرو تلك الافعال وما حل بمنجد من الاهوال برز إلى ساحة القتال وقاتل الشجعان والابطال واظهر فى ذلك اليوم العجائب ففرق الصفوف والمواكب وكسر ذلك العسكر وفعل أفعالا تذكر وعند رجوعه من معركة القتال بالانتصار شكره منجد على تلك الفعال وقال له مثلك تكون الرجال فوالله لقد حميت الحريم وطردت الغريم وخلدت لك ذاكرا جميلا طول الدوام وعند وصولهما إلى سراية الاحكام وجلوسهما فى الديوان قال له منجد بحضور السادات والاعيان مثلك تكون الفرسان فاخبرني عن حسبك ونسبك ومن تكون قومك وعربك وأشار اليه يقول وعمر السامعين يطول

على ماقال منجد من ضميره ... أيا هجرس أجبنى على سؤالي

واعلمني باسمك يامدلل واسم ابوك يازين الرجال
وماهي كنيتك بين القبائل ومن اي المكارم والمعالي
بحق الله خبرني حقيقا ابا حامي النسا يوم القتال

فلما سمع الجرو فحوى كلامه وما ابداه في شعره ونظامه شكره على ذلك بهذا القصيد وهمر السامعين يزيد

ألا يافخر الاماجد في الرجال فاسمع ياملك فحوى مقالي
أنا أسمى اليتيم أبا مسمى ولا أعرف أبوى ولاخوالي
واني قد سألت أمي مرارا فتصكت لاترد الى سؤالي
تقول أبوك شاليتين بن مرة قتله الزير في يوم النزالي
فاطلب من اله العرش ربي لاخذ الثار منه بالقتال

(قال الراوى) فلما فرغ الهجرس من كلامه زاد منجد في احترامه ونهض على الاقدام واعتنقه أمام السادات وقال أبت من بني مرة أصحاب الشجاعة فعربك من عربي و نسبك من نسبي فوالله ماضاع نظرى فيك فاطلب من الله أن يحفظك و يبقيك وينصرك على حسادك وأعاديك ومن ذلك الوقت زادفى اكرامه ورفع مقامه وأقامه ملك على تلك الديار وصار له مزيد الاعتبار والوقار عند الجميع كبارا وصغار وكان لانجد بنت بديعة الجمال متصفة بالادب و الكمال كانها الهلال ذات عقل ثاقب ورأى صائب لا يوجد مثلها في العرب والاعاجم اسمها بدوباسم فزوجه اياها وتمتع الجرو بحسنها وبهاها وأيام في أرغد عيش وأحسن حال وهو يحكم على تلك الاطلال محبوبا من الجميع قال الراوى هذا ما كان من الهجرس وأمه الجليلة وماجرى لهما في القبيلة وأما جساس فانه بعد رحيل أخته من الديار زادت اكداره وكان كثيرا يتذكرها في الليل والنهار فاتفق في بعض الايام بينما هو جالس في خيمته اذ دخل عليه بعض الشعراء فسلم عليه وعلى باقي الامراء واخذ يمدحه بهذا الشعر والنظام على جارى العادة في تلك الايام

قال جابر في بيوت صادقة أنت ياجساس رب المكرمات
سمعت في صيتك انا ياذا الامير في الكرم والجواد يافخر الذوات
انت ملك للبلاد جميعها حاكما في الارض من كل الجهات
قاتل للضد في يوم الوغي مكرم للضيف سنة المحملات
لولاكم ماكنت جيت لارضكم ماكنت فارقت العيال مع البنات
أنت ياجساس ملك البلاد مع اخوتك وشقيقك السيدات

وتركت أختى يامالك وأولادها | وزوج أختى يامالك هذا العامات
أولاد أختى يامالك سبعة ذكور | عند أولادى وفى أهلى ثبات
جور هذا الدهر يا مالك عجيب | كم له فى كل يوم تقلبات

(قال الراوى) فلما فرغ جابر من شعره ونظامه وفهم جساس فحوى كلامه أمر له بألف دينار وأمر باكرامه ثم التفت عليه أخيه سلطان وقال له أمام السادات والاعيان أسمعت كلام الشاعر الذى يدور القبائل ويمدح السادات والاكابر لابالمكاسب وبلوغ المآرب كيف أنه ذكر أختنا فى شعره ولم يتهها فى سفره فكيف نحن نكون سلاطين الزمان وملوك العصر والاوان ونترك أختنا تغضب منا وتبتعد عنا ولا نعلم الى أين ذهبت وفى قبيلة طلبت فهذا تقول عنا هؤلاء الملوك اذا سمعت عنا ذلك فمن الواجب أن نقتفى أثرها ونعيدها الينا معززة مكرمة ثم أنه بكى وبكت اخوته لبكائه وندم سلطان على ما فعل ثم التفت جساس على ذلك الشاعر وقال له أنت تعرف حال العرب وتمدح الملوك وأصحاب الرتب فاريد منك أن تستقصى لنا عن أخبار الجرو أختى الجليلة وتعلمنى الى أى حلة قصدوا وعن اسم الملك القبيلة فان أتيتنى صحة الخبر أبلغك الوطر فامتثل الشاعر الى أمره وسار على عجل يطوف الحلل ويستقصى عنهما الاخبار من الشعراء والتجار حتى سمع بخبرهما ووقف على حقيقة أمرهما فقصدهما الى ذلك المكان واجتمع بهما فى الصيوان وحدثهما بما سمع فى حقهما من جساس وسلطان ثم أشار يمدح الجرو ويقول وهو فرحان على بلوغ القصد والمأمول

يقول جبر من قلب حزين | فدمعى سال من وسط الاماق
أدور على القبائل والعشائر | لاحظى بالمكاسب والنياق
فاصغى يا أمير الى كلامى | فانت أجل فرسان السباق
وصيتك شاع فى كل القبائل | فمن يمن الى أرض العراق
ومالك فى البرايا من شبيه | ونجمك فوق هام المجد راق
سألت الله أن يحفظ جنابك | على طول المدى والدهر باق
رحنا من حماه لعند خالك | ملك جساس سلطان الافاق
فاهدنا وقد أنعم علينا | وقلبه من بعادك فى احتراق
وأرسلنى لاكشف أين أنتم | ليحظى بكم بعد الفراق

قال وكانت الجليلة تسمع كلام الشاعر من وراء الحجاب فهان عليها أن تسمع ذكر اخوتها الذين كانوا سببا بالخراب بهاو فراقها من حلتها فأمرت كبير العبيد أن يوقف الشاعر عن اتمام القصيد

وأن يكتم خبرها عن هذا وذاك خوفا من الفضيحة والانتهاك ثم أمرت له مع ولدها بألفي دينار ففرح الشاعر واستبشر ورجع على الاثر واعلم جساس بذلك الخبر فأرسل في الحال أخوه سلطان في جماعة من الابطال ليأتوا بأخته الجليلة وابنها الجرو من تلك الاطلال فلما اقترب سلطان الى تلك الاوطان أرسل بعض الفرسان يعلم منجد بقدومه الى أوطانه فخرج في الحال في جماعة من فرسانه فالتقاهم أحسن ملتقا لانهم كانوا أقارب وأصدقا وانزله في سرايه الاحكام وذبح له النوق والاغنام وفي ثاني الايام اجتمع سلطان بأخته الجليلة وولدها الجرو واعتذر لهما عما فرط منه وطلب منهما الرجوع الى الديار وشدد عليهما في ذلك غاية التشديد فأجاباه الى ماطلب واعلم الجرو الامير منجد بانه يريد الرجوع الى أهله وعشيرته مع أمه وزوجته ومن يلوذ به من جماعته لان نفسه قد شتاقت للوطن فقال منجد والله يا أمير يعز علينا فراقك ولا زالت أرواحنا في كل وقت تشتاقك لكننا لا نقدر أن نمنعك عن أهلك وأصحابك وبني عمك ثم أعطاه مائة ناقة محملة من نفائس الاقمشة والذخائر ومائة جواد وغير ذلك من المعادن والجواهر ومائة عبد ومائة جارية واركب بنته زوجة الهجرس على هودج كبير وساروا لوداعهم مسافة نصف يوم ورجع الى الديار وسار الهجرس مع أمه وزوجته يقطعون القفار حتى وصلوا الى منازل بني مره فالتقاهم جساس بالفرح والمسره وأمر بذبح الذبائح واطعم الغادي والرائح وأشار الى الجرو يقول وعمر السامعين يطول

لما قال الفتى جساس صادق	الا يا مرحبا بك يا ابن أختي
فبيكم حلت البركة علينا	وضاء الحي في قربك الينا
وأمك يا فتى عيني وروحي	وعمرك يا جليـــلة ما فرحت
فابنك قد غدى كالسبع كاسر	فان الجرو للاعداء كاسر
بيوم الحرب والاهوال جاسر	اله العرش أرجعـــه لتختي
فلا تعتب على سلطان خالك	ولا قوله سيخطر قط ببالك
فلا ابني ولا نحن مثالك	أنا ســـأحكمك فوق تختي
أنا أبكي على المرحوم أبيك	قتله الزير تكشف في ربعك وحيك
فقم اركب الا ياروح أخيك	واشخت للمهلهل أي شخت
سالت الله أن تأخذ بثارك	بقتل الزير تكشف عنك عارك
مرادي بقتله تأخذ بثارك	وتحرقه بنارك يا ابن أختي

قال الراوي فلما فرغ جساس من شعره ونظامه تبسم الجرو من كلامه وقال كن مطمئن الخاطر ياخال من هذا القبيل فلابد لي من قتله عن قريب هذا ما كان من الجرو وجساس وأما

الزير الفارس الدحاس فانه بينما كان راقدا ذات ليلة إذ رأى فى منامه ولذيذ أحلامه أن أخاه الامير كليب يعاتبه بهذه الابيات على أخذ الثار وكشف العار يقول وعمر السامعين يطول

تنام الليل كله يا مهلهل ... وثارى ما قدرت على وفاه
وعظمى ذاب حتى صار كحلا ... وجساس بن مرة فى الحياة

فأجابه الزير يقول

أمير كليب ما قصرت يوما ... بأخذ الثأر من قوم البغاة
فقم واسأل بناتك ياحبيبى ... على طعنى وفعلى فى العداة

قال الراوى فاستيقظت بنات كليب من المنام وأيقظن عمهم بهذا الشعر والنظام

يقولون اليتامى يا مهلهل ... أتانا كليب يستنجد أخاه
كليب قد قام من وسط المقابر ... وصار كليب فى وسط الحياد

قال الراوى وكان الزير قد استيقظ من منامه فرأى البنات حواليه فقال لهن رأيت أبا كن فى المنام ثم حدثهن بما رأى الكمال والتمام فبكين بكاء شديدا فقال الزير إن هذا المنام يدل على أمر عجيب وحادث قريب فاستدعى بعض الرمالين إليه وقص ذلك المنام عليه فضرب الرمال الرمل ورسم الاشكال وولد البنات من الامهات وعرف حقيقة الخبر فقال له اك البشري يا فارس الصدام فان جساس سوف يقتل بعد أيام وذلك من يد شخص يظهر من لحمك ودمك وأشار يقول وعمر السامعين يطول

يقول بشير اسمع يا مهلهل ... أيا سالم فأبشر زال همك
أتاك النصر من رب البرايا ... إله العرش بالخيرات عمك
ضربت الرمل لاجلك يا مسمى ... لا كشف عنك همك ثم غمك
فقد نظرت رسوم الرمل عندى ... سيظهر شخص من لحمك ودمك
فيقتل فى الوغى جساس حالا ... وأنت تزجه ويزول همك
وتهلك بعده أولاد مرة ... وتسقيهم جميعا كاس سمك

(قال الراوى) فلما سمع كلام الرمال فرح واستبشر ثم قال له ان تم كلامك هذا أبشر منى ببلوغ مرامك ثم أحسن اليه ووعده بكل جميل وعند الصباح ركب المهلهل الى الحرب والكفاح وتبعته الابطال والفرسان وركب أيضا الامير جساس بالفرسان واقتتلوا طول ذلك النهار وقتل المهلهل منهم عددا كثير المقدار وما زالوا فى أشد قتال الى أن دقوا طبول الانفصال فافترقت الطوائف عن بعضها ونزلت كل فرقة فى أرضها وأما الهجرس فانه لم يركب مع جساس فى ذلك اليوم فاجتمع جساس عند المسا بأخته الجليلة وقال لها ان ابنك لم يقاتل معنا ولم نعلم ما هو السبب فاسئليه

واعلميني بما يقول فسألته أمه عن عدم خروجه إلى الحرب فقال لها أعلمي يا أماه أنه لا يلقاني الى قتال الزير سوى حصان خالي جساس الأخرج فان وهبني اياه فأنا أعطيه عوضه رأس المهلهل فان قبل بهذا الطلب بلغته الارب فرجعت الجليلة وأعلمت أخاها بهذا الخبر فوهبه الحصان وقال له ان أنت قتلت لنا هذا الشيطان تكون علينا ملكا ونحن لك غلمانا وأعوانا ففرح الجرو بذلك الجواد وضمن لخاله قتل الزير أمام الفرسان والقواد ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركب الجرو الحصان المذكور وتبعه كل فارس مشهور وكان المهلهل قد حمل وركب وطلب برز الفرسان وقال أين جساس القرنان فليبرز الى الميدان فبرز الجرو اليه وهجم عليه فأشار يقول ومسمع السامعين يطول

قال هجرس يامهلهل أن عزرائيل أقبل أين تغدى اليوم مني
سوف تلقاني وتقتل لا تحسبني بظنك أني كمن جاك أول

قال الراوى فلما فرغ الجرو من شعره حمل عليه وكان المهلهل قد مال قلبه اليه وتحركت له جميع أعضاه باذن الله هذا والهجرس قد قصد قتله وقلما انه ليوفي اجساس ضمانه وكان الزير يبطل مضاربه بحسن اختباره وكان يطاوعه قلبه على قتله وماز الا على تلك الحال وهما في عراك وقتال الى المساء فرجعا عن ساحة المجال ورجع المهلهل الى الاضطل واجتمع ببنات أخيه كليب وأعلمهن بحديث الغلام وماجرى بينهما في معركة الصدام وكيف أنه أشبه الناس بأبيه كليب في الصورة والقتال ثم قال لليمامة اعلميني هل كانت امك حامل لما ذهبت من عندنا فقالت نعم ياعمي كانت لها اشهرين فما معنى هذا السؤال فأنشد وقال

يقول الزير أبو ليلى المهلهل — مريع الخيل ان قصدت الينا
يمامة اسمعي مني كلامي — أيا ست الملاح المحسنينا
برزت اليوم للميدان حتى — أقاتل آل مرة أجمعينا
فبارزني غلام غريب منهم — له عزم كما الصخر المتينا
كمثل أباكم وجها وحربا — فذكرني ليالي الماضينا
فقد قاتلته في كل لطف — وهو يطعن طعان القاتلينا
فحملاته وطعناته قويه — تقد الصخر الزرد المتينا

فلما انتهى الزير من كلامه أجابته اليمامة تقول

ألا ياعم اسمع ما أقوله — لتفهم سالم الخبر اليقينا
فأمي حامله من يوم راحت — وحق الله رب العالمينا
وليس أدري ايش جابت — أبنت يا غلام يافطينا
ثلاث أشاير لي في كليب — اشارات بعقلي راسخينا

ركبت يوما بقرب البيت مهره　　وقال أيا يمامة انظرينا
من التفاح أعطانى ثلاثة　　وقال بذى الثلاثة أضربينا
فانك سوف تحتاجى اليهم　　إذا ظهرت لنا حقا بنونا
ضربته بواحدة ياعم راحت　　بضرب ركابه صارت طحينا
وثانى واحدة فى رأس رمحه　　وثالثهم خطفهـا باليمينا
غدا أنزل وضربه ثلاثة　　كفعل أبى أيا عمى الحـونا
يكون أخي اذا سوى نظيره　　وان خالف يكون غريب فينا
عسى الله يدركنا بلطفه　　وينصرنا إله العالمينـــا

(قال الراوى) فلما فرغت اليمامة من شعرها ونظامها وعمها يسمع كلامها قال لها متى فعل أبوك ذلك قالت قبل موته بشهرين لمـا كنت أنت على بير السباع وقد صممت الآن أن أرافقك إلى الميدان واضربه بالتفاح فى ساحة الكفاح فان فعل كما فعل والدى يكون بلا شك أخى وبه أبلغ أربى وفى ثانى الايام ركب الزير وركبت معه اليمامة وقد أخذت معها ثلاثة تفاحات وكان الجرو قد ركب أيضا بالابطال وتقدم الى الميدان وطلب الزير للقتال فبرزت اليه اليمامة وقالت أنا أقاتلك اليوم دون عمى فاستعظم الجرو ذلك ولم يعلم السبب ثم أن اليمامة أخذت تفاحه لوحتها بيدها وضربته بها فأخذها برجله مع الركاب فطحنها ثم انها ضربته بالثانية فأخذها على سنان الرماح ثم أخذت الثالثة وقالت اللهم ياخالق الخلق أمح الباطل واكشف الحق فأخذها بيده ووضعها بجيبه فلما شاهدت تلك الحال علمت أنه أخوها فنزلت عن ظهر جوادها والقت نفسها عليه وقالت أهلا وسهلا ياأخى ابن أمى وأبى فأنت والله ابن كليب بدون ريب وقد ربيت فى ديار العدا والحمد لله الذى عرفناك فقال لها أنا ابن شاليس أيتها السيدة الحرة وأمى هى الجليلة بنت الامير مرة فقالت أنت ابن الامير كليب ثم أنشدت تقول من فؤاد مبتول

قالت يمامة قصيدا من ضمائرها　　دمع العيون على الخدين هتان
افهم أخى قصتى وافهم معانيها　　ياقاهر العدا فى وسط ميدان
أبوك قد خانه جساس ياسندى　　بطعنة يا عظيم القدر والشان
شاليس خالك وكل الناس تعرفه　　أهل الاقارب من قاص ومن دان
وعمك الزير فخر الناس كلهم　　وفارس الخيل من عجم وعربان
فاسأل لوالدتك واكتم سرك　　وارجع الينا فأنت اليوم أيمانى

قال الراوي فلما فرغت يمامة من شعرها تأكدت عنده تلك القضية لأن قلبه لا يميل إلى جساس ولا الى أحد من بنى مرة لاسيما وقد حن قلبه الى اليمامة فقال لها صبرا لقد صدقت فاذهبي

الآن وعند الصباح أتبعكم الى الاوطان ثم توقف عن القتال ورجع الى عند أمه حالا وأخبرها بذلك الشأن وان تعلمه من هو أبوه من الفرسان وأقسم بالله أنها اذا كتمت عنه الحقيقة قتلها وجعلها عبرة لمن اعتبر فلما علمت أمه بأن الخبر قد اتصل اليه وأن الامر ما عاد يختفي عليه أعلمته بالقصة من أولها الى آخرها ثم أشارت تقول من فؤاد مبتول

الجليلة قالت أبيات ملاح   نار قلبي بالحشا زادت لظاه
استمع يا ولدي فيما أقول   يا ضيا عيني ويا كل المنا
أنت روحي أفتهم مني الكلام   قول صادق ليس فيه خفا
ان أبوك كليب صور المحصنات   قاهر الابطال في قوم الوغا
وأخوته خمسون أعمامك جميع   كلهم فرسان طعناته قنا
ربعه من الست يا ابني حقيق   كل واحد سبع ربي بالفلا
منهم أبوك كان يدعى كليب   والفتى الزير المهلهل يا منا
والفتى المسمى عدي ودر يعان   هذي الاربعة أتو منها سوى
ثم ست وأربعون خلافهم   من الجواري والسراري والاما
كلهم يا أمير أعمامك لهم   كل واحد الف يطعن بالوغا
وأبوك كليب ساد على الجميع   بالفروسية مع جود وسخا
جاء جساس خالك باق فيه   وتركني بعده مثل الاما
وطردني عمك الزير بعده   فرحت الى أهلي دون الملا
قد كنت حامل بعد أبيك   فولدتك في هذا الحما
رحت سميتك على اسم الكلاب   صرت مثل السبع رابي بالفلا
وأنا والله من خوفي عليك   قلت أخي شانيش انه لك أبا
وأنا أعلمتك فافعل ما تريد   ما بقيت أخاف يا فخر الملا

قال الراوي فلما فرغت الجليلة من شعرها بكى بكاء شديدا ولام أمه على كتمان الامر ثم أنه صبر الى الليل فركب وسار بالعجل الى عند المهلهل وصحبته العبد أبو شهوان الذي كان أرسله اليه عمه الزير وفي أثناء الطريق أراه العبد قصر أبيه وقبره المصفح بالذهب فلما رآه بكى وانتحب وعند وصوله الى عند عمه سلم عليه وقبل يديه واجتمعت شقايقه وجميع من يلوذ به من أهله وأقاربه فوقعوا عليه وترحبوا به وكان الزير من أفرح الخلق به ولما استقر به الجلوس وطابت من القوم النفوس قال الجرو الحمد لله رب الكائنات الذي جمع شملنا بعد الشتات فوالله لا بد لي من قتل

جساس واجعله مثلا بين الناس لانه فجعني بابي وتاجي وفخري وتركني يتيما طول دهري فقال المهلهل لابد من قتله على رؤس الاشهاد وأنت تكون الحاكم بعد أبيك على هذه البلاد ثم أنشد يقول وعمر السامعين يطول

يقول الزير أبو ليلى المهلهل صفا عيشي ووقتي ما تكدر
أتاني السعد من رب البرايا وزال النحس عن ربعي وأدبر
فقبل ظهوره كنا حزانا نقضي الليل قلق ونسهر
على فقد الفتى الماجد كليبا نوى غدرا له جساس قطر
وفي دمه كتب لي في البلاطه وصايا عشر أبيات وأكثر
يوصيني بقوله لا تصالح فسالم أنت ان صالحت تخسر
واطرد للجليلة من حمانا عدوه كعبها ما كان أخضر
طردناها وهي بالجرو حامل ومن يقدر على رد المقدر
انا فيهم فتكت بحد سيفي ونلت القصد منهم بالمشهر
واني ما بكيت على كليب أخذ بثاره بالسيف مجهر
فأبكي حيث ماخلف ذكورا بنات الكل ماله أحد يذكر
ولما خالقي أنعم علينا وجانا الجرو كالسبع الغضنفر
صفا عيشي وقد نلت المقاصد وزال النحس عنا ثم أدبر
وبعده يابني اسمع كلامي أنا عمك وأنت الليث قسور
فقم وا لمس على كرمى أبيك وفي أحوال أخواتك تبصر

قال الراوي فلما انتهي الزير من كلامه قال الجرو أطال الله بقاك ونصرك على جميع أعداك وبلغك مناك اني والله ياعم في قلق وغم لا تزول أحزاني وأنال أربي حتي أخذ بثار أبي وأقطع رأس جساس وأجعله مثلا بين الناس ثم أنه بعد حديثه وكلامه أجاب عمه المهلهل بهذه الابيات على شعره و نظامه

يقول الجرو قهار الاعادي ألا يا عم يا حصن البنات
فافهم قصتي ونشيد شعري فأنت اليوم نصري في الغزاة
تقول اليوم قوم أملك علينا وأنتم كالسباع العاديات
ألا ياعم أنت أمير حاكم وذكرك سائع في الكائنات
أيصلح لي أنا يا عم أملك واركب فوق ظهر الصافنات
وخياتي ينوحوا ثم يبكوا وبعد كليب صاروا سبايات

يريد واقتل جساس بن مرة يشوفوا رأسه فوق القناة
فذلك الوقت وليني لاحكم وافعل ماتريد أيا منداتي
دعونا نطلق الغاز عليهم ونشهر للسيوف الماضيات

قال الراوي فلما فرغ الجرو من كلامه شكره جميع أهله وأعمامه وبعد ذلك قال له الزير ما هو الرأي عندك يا ابن أخي قال الرأي عندي هو أني أغار عليكم نهارغدا وآخذ مواشيكم وجمالكم الى جساس وأقول له يا أبي قد أتيت اليوم بأموالهم وغدا آتي برأس الزير ثم أبرز لمحاربتك وأنت تضع قربة من الدم تحت جانبك فأطعنك بالرمح فيأخذ تحت ابطك وانت ترمي نفسك على الارض فتنشق القربة ويهرق الدم وانا أصيح الى جساس وأقول له قد قتلت عدوك يا خال فانزل اليه واقطع رأسه فقد زال الكدر وبلغنا الوطر وعندما يأتي اليك فقوم اليه بالعجل وتعدمه الحياة لانه لم يعلم بقدومي عليكم وبهذه الوسيلة تتم الحيلة ونتخلص من هذه الورطة الوبيلة فاستصوب الزير رأيه ثم انه ودعهم وسار وحده الى ديار بني مرة وعند الصباح ركب الجرو في جماعة من الفرسان وساق مواشي بني قيس باتفاق المهلهل ليث الميدان ففرح الامير جساس وسادات بني مرة وشكروا الجرو على هذه الغنيمة والنصرة

قال الراوي واتفق في ذلك الليل بان جساس رأى حلما غريبا وهو انه ابصر ذاته بانه كان قد ربى عنده جرو ذئب وكان يحبه ولما نشا وترعرع تصاحب مع سبع كاسر فألفه إلى ان كان في بعض الايام اغار السبع على مواشي بني مرة وهجم على نسائهم واولادهم ويفترس كبارهم وصغارهم وكان الذئب يساعده عليهم فاغتاظ جساس من افعال الاسد وهجم عليه يريد قتله فوثب عليه الذئب من ورائه ونهشه فألقاه صريعا على الارض فقام جساس مرعوبا من هذا الحلم فنهض في الحال وسار الى الديوان وجمع اخوته وباقي السادات واعلمهم بذلك المنام فقالوا هذا اضغاث احلام وما زالوا يهونون عليه الامر حتى راق وزال عنه القلق والكدر ولما اصبح الصباح ركب الزير يطلب الحرب والكفاح وركب جساس وهو في قلق ووسواس وكان الجرو قد وعده بهلاك القوم وقتل المهلهل في ذلك اليوم ولما التقى الفريقان برز الجرو الى الميدان فبرز اليه المهلهل فالتقاه الجرو وحمل وطعنه بالرمح طعنة كاذبة فسحبها المهلهل من تحت ابطه فراحت خائبة والقى نفسه على الارض من ظهر الحصان خديعة للفرسان ليظهر لهم بانه قد مات وحلت به الآفات فعندها صاح الجرو الله اكبر على من طغى وتجبر فقد نلنا المراد بقتل الزير الذي اهلك العباد ثم انه صاح على جساس وقال له انزل يا خالي واقطع راس عدوك فقد قتلته واكتفينا شره فلما رآه يختبط بدمه نزل عن ظهر القميرة وفي ظنه انه بلغ مراده ولما اقترب منه نهض الزير في الحال وقبض على لحيته وهجم الجرو ايضا ووضع الرمح بين كتفيه فعندها علم جساس بأنها حيلة قد تمت عليه وتأكد عنده صحة ذلك المنام

فأشار يخاطب الجرو يقول

قال جساس الذي شاهد وفاه يا سياج البيض فى طعن القنا
إننى يا ابن أختى بك مستجير فأجرنى يا ابن أختى من القنا

فأجابه الجرو ألا ياخال أقصر عن ملامك دنى أجلى وقد وافى حمامك
تقول أجيرنى يا ابن أختى ألا يا جرو أعطينا زمامك
قتلت كليب عدوانا وظلما تظن بأنى أسمع كلامك
وبعد كليب قد أضحيت حاكم تسامى فى الملا أيضا مقامك
طغيت وجرت فى حكمك علينا فأذنى لم تعد تسمع كلامك
تريد اليوم منا أن نجيرك فهذا ما تشوفه فى منامك

قال الراوى فلما فرغ الجرو من كلامه جعل جساس يتوسل اليه بأن يعفو عنه قائلا بالله عليك اصفح عنى فان الذى مضى قد مضى وهل اذا قتلتنى يقوم أبوك فاتركنى لوجه الله الواحد القيوم فقال الجرو لابد من قتلك كما قتلت أبى حتى أكون بلغت أربى فلما طال بينهما الخطاب قال الزير أراكما قد أطلتما العتاب فعند ذلك طعنه الجرو بالرمح فى صدره وتقدم الزير وضربه بالسيف على رأسه فقطعه ثم وضع فمه على عنقه حتى مص دمه وكان الجرو ينهش فى لحمه حتى بلغ مراده وشفى فؤاده وبعد ذلك أعطى الزير الرأس لابن أخته ليأخذها الى شقايقه فسلمها الجرو الى بعض عبيده وهجم مع عمه مع باقى الابطال على جموع بنى مرة فأذاقوهم الوبال وبلغوا منهم الآمال وكانت مرة لما علمت بقتل جساس أيقنت بالموت الاحمر لانه كان القائد الاكبر وعليه الاعتماد فى القتال فولت الادبار وطلبت الهزيمة والفرار وكان المهلهل قتل فى ذلك النهار خلقا كثيرة منهم أمراء وقواد وسادات أمجاد والذين سلموا منهم طلبوا من الزير والجرو الامان فأجابوهم وعفوا عنهم بشرط أن يكونوا مثل العبيد لا ينقلوا سلاحا ولا يحضرون حربا , لا كفاحا ولا يقدون نار الا ليلا ونهارا ولا يعرف قبر ميت فى جوار ولا فى مقبرة ولا فى دار بل مشتتين فى البرارى يقضون حياتهم بضرب الطبل وان غابت نساهم طول النهار لا يسألها فين كنت بل يسألها إيش جبت وليس لهم صفة سوي الرقص والخلاعة فقبلوا هذه الشروط بكل رضا وقناعة وبعد ذلك تسلطن الجرو على كل القبائل نظير أبيه وطاعته العباد وفرحت بنات كليب كل الفرح وزال الغم والترح وخلعن عنهن ثياب السواد وكان عندهم ذلك اليوم من أعظم الاعياد وكان الجرو قد تزوج ثلاثة نساء وولد له ولدان فسمى الاول تغلب والثانى مالك ولما بلغا سن الرجولية زوجهما بابنتين من بنات الامير هلال حاكم حماه وزوج اخته اليمامة للامير مفلح ابن الامير المذكور وهكذا اتصل بينهم الحسب والنسب وخمدت نيران الحروب بين العرب وكان أفرح الناس المهلهل وكان الجرو

قدعرض عليه الزواج فامتنع وكان منعكفا على الجلوس فى الخيام وأكل الطعام وشرب المدام وأقام له عشرون عبدا لخدمته وكان يرقد وينام وهو لابس آلة الحرب لانه كان اعتاد عليها مدة الحروب التى استمرت نحو أربعين سنة وكسور كما هو فى التاريخ مذكور وهذا ما كان من أمر المهلهل فى تلك الايام وسوف يقع له حديث وكلام وأما الجرو فانه كان قد زوج أربعة من شقايقه الى جماعة من الامراء وصنع لهن ولائم وأفراح مدة طويله وأما ولداه مالك وتغلب فانهما بقيا مدة خمسة عشر عاما ولم يرزقا أولادا من بنات الامير سلال المذكور وبعد نهاية المدة طلبت نساؤهما زيارة أهلهما بحجازه فطلب أزواجهما من أبيهما الجرو أن يأذن لهما بذلك فأذن لهما فسارا مع نسائهما الى تلك الاطراف ولما بلغ الامير هلال قدوم أصهاره بنساء هما خرج للنقائهم مع ولده الامير مفلح مع زوجته اليمامه وخرجت أيضا أكابر المدينة والتقوهم بالترحاب والاكرام وأنزلوهم في أحسن مكان وأقاموا فى تلك الاوطان مدة من الزمان وهم فى سرور وأفراح وبسط وانشراح ولما صمم الامير مالك وتغلب على الرجوع الى الاطلال مات الامير مفلح مع أبيه الامير هلال فاقاما مكانهما حاكمان فى تلك الديار وانقادت لامرهما أهل تلك البلاد وكانا محبوبان من جميع العباد وكانت اليمامة بعد وفاة بعلها ذهبت الى عند أهلها فاتفق ذات يوم أن الامير مالك قال لاخيه تغلب اعلم يا أخى انه قد مضى علينا مدة من الزمان ولم نرزق بولد ذكر حتى يبقى لنا ذكر يذكر بين البشر فدعنا نتزوج الآن على نسائنا فلعل الله يرزقنا بأولاد والا نقطع نسلنا من بين العباد فقال تغلب من الصواب أن نصلى الى الله فى هذه الليلة ونتضرع اليه أن يرزقنا أولادا من نسائنا فهو على كل شىء قدير فامتثل أخوه رأيه وصليا تلك الليله بحرارة قلب وأشار تغلب يقول وعمر السامعين يطول

يقول الفتى تغلب على ماجرى له	بدمع جري فوق الخدود نهور
أقول وفى قلبي من البين لوعه	وبى حسرات على الفؤاد تثور
لفراق أبينا بين الجرو والزير همنا	عليهم قلبي والحشا مكسور
أيارب يارحمن يا سامع الدعا	عليك اتكلنا يا جابر المكسور
سألتك ربى بالخليل وابنه	بحق الذي اليه العبيد تزور
فيارب يا رحمن تجبر قلوبنا	بجاه موسى وعيسى الفاضل المشهور
بجاه داود مع يحيى مع الخضر	بالعرش والكرسى وبحر النور
ترزقنا ولدين يحيوا ذكرنا	أيا من ترزق كل وحش كمور

قال الراوى وكان الامير تغلب ينشد هذه الابيات وأخوه مالك يقول آمين يارب العالمين فاستجاب الله دعاهما ولم تمض مدة يسيرة وبرهة قصيرة حتى حبلت نساؤهما ولما تمت أيامهما ولدن الاثنتان فى يوم واحد فولدت زوجة مالك بنتا وزوجة تغلب ذكرا فقامت فى الحى الافراح

والمسرات وكان الاميرين فى الصيد والقنص فأرسلوا لهما بعض العبيد يبشرهما بذلك الخبر وكان اسمه مسرور فلما أقبل العبد اليهما قالا له علامك يا مسرور أبشير أم نذير فقال أنى بشير وأشار اليهما بهذه الابيات يقول :

قال الداعى المسمى مسرور ياسادتى اتيتكم قاصد بشير
يا أمير مالك أتاك بنت كالقمر وجهها كالشمس والبدر المنير
وأنت ياأمير تغلب اتاك غلام يفرح القلب المتيم ياأمير
أتيت أليكم حالا بلا بطا فوق حمرا كأنها طير يطير
أريد منكم بإكرام بشارتى اجبروا بالله قلبى الكسير

قال الراوى فلما سمعا كلام العبد فرحا فرحا شديدا واعتقا العبد واعطياه الف دينار ومائة رأس من المواشى والماحصر والى الحي أمر بذبح الذبايح وأولما الولائم وأقاما الفرح والسرور مدة شهرين كاملين وأرسلا حالا يعلمان اباهما الجرو وعمهما الزير ويبشرها بأن الله قد رزقهما بأولاديهما وذكرها وقد سميا الغلام الاوس والبنت مى وتعهد الاخين على زواجهما ببعضهما متى كبر ولما بلغ الجرو والمهلهل ذلك الخبر فرحا فرحا شديدا وحمد الله على هذه المنة العظيمة على الارامل والايتام ثم ركب الجرو فى جمع غفير من الاكابر والاعيان والابطال والفرسان لزيارة اولاده لانه كان فى غاية الاشتياق لاجل مشاهدتهما ولما اقترب من تلك الديار وبلغت الاخبار بقدومه الى ولديه خرجا لملتقاه بموكب عظيم من الامراء والاعيان والطبول تدق والموسيقى تعزف باطيب الالحان الى ان دخل المدينة وعند وصوله سلما عليه ووقعا على يديه يقبلانها فقبلهما بين عينيهما ودعاهما بطول العمر والانشراح ثم سالا عن عمهما فقال أنه بخير وعافية وأنه مازال فى خيامه وهو ملازم طعامه مع مدامه ثم سار الى المدينة وكان ذلك اليوم أعظم من يوم الزينة ونزل الجرو فى القصر الكبير ووقف بخدمته الصغير والكبير والمأمور والامير واقام فى تلك الديار مدة شهرين كوامل والمهلهل تردعليه وهو يحسن لماله ويفرق العطايا على المساكين والارامل والايتام وكان فى آخر هذه المدة مرض الامير تغلب مرض شديدا فاقام فى فراشه عشرة أيام ومات فحزن عليه الجرو حزنا عظيما وعملوا عليه مناحة عظيمة حضرها الامراء والاعيان والابطال والفرسان من سائر البلدان ودفنوه بكل اكرام ووقار ولما عزم الجرو على الرجوع الى بلاده استدعى ولده مالك اليه واشار يقول .

يقول الجرو من قلب حزين ودمعى قد جرى تحت العيون
كوتى البين فى أول زمانى بفرقة تغلب زادت غبونى
لقد كنا بخير مع سرور فجار الدهر فينا فى البنين

فربي يحفظك مالك دواما إله فيه قد طابت ظنوني

قال الراوى فلما فرغ الجرو من شعره ونظامه أوصاه بالرعية وأن يكون عادلا فى حكمه وأن يزوج ابنته مى بالاوس ابن أخيه وبعد ذلك ودعه وسار وجد فى قطع القفار إلى أن وصل الى أطلاله واجتمع بأهله وعياله وأما الاميرمالك فانه اعتنى بتربية ابنته وابن أخيه كما أوصاه أبيه حتى كبرا وبلغا درجة الكمال وكان الاوس يركب ظهور الخيل ويتعلم الفروسية من الفرسان واستمر على ذلك مدة من الزمان حتى صار من صناديد الرجال وشاع ذكره فى كل مكان وكانت ابنة عمه مى من أجمل النساء وكان الاوس يحبها محبة عظيمة ولا يطيق فراقها ليلا ولا نهارا فلما شاع ذكرها فى قبائل الاعراب تواردت على أبيها الخطاب وكان قد سمع بها الصنديد بن الاكوع وكان ابن عم الملك تبع فعشقها على السماع وكان من الملوك العظام فأرسل وزيره ليخطبها من أبيها فعند وصوله طلبها لمولاه فقال والله نعم الصهر وبه أنال الفخر على طول الدهر غير أنه لا يخفاك أطال الله بقاك بان ابنتى مخطوبة لابن عمها الاوس ونحن الآن مباشرين بأمر العرس فلا يمكننى أن أنقض الكتاب ألا هذا الذى يمنعنى عن إجراء الايجاب فقال الوزير اكتب لى الجواب فكتب له هذه الابيات :

يقول الفتى مالك على ماجرى له بدمع جرى فوق الخدود صدود
أيا غاديا منى على متن ضامر تساق لضرب المرهف المبرود
تهدى هداك الله خذ لى رسالتى وأعطيه مكتوبى تنال سعود
إذا جيت قداء الصنديد قل له بأنى على طول الزمان ودود
ومى ترى مخطوبة لابن عمها ومعها ترنى والانام شهود
فحاشى لمثلى أن يخون أقاربه وافسخ ذمامى ثم أكون عنود
ترى الاوس روحى ومهجتى وهو عندنا أحسن من المولود
فلو كنت أعطيها لغير ابن عمها لكنت أنت اليوم أولى بالمقصود

فأخذ الوزير الجواب ورجع إلى عند الصنديد وأعطاه إياه فلما وقف على حقيقة الحال خرج عن دائرة الاعتدال فغير زيه وتنكر وركب جواده وسار الى تلك الديار وحده وعند وصوله الى مضارب الاميرمالك لم يجده هناك ولم يكن فى الحى الا النساء والبنات فسأل بعض النساء عن غياب الرجال قالت منهم من سار الى القبائل ليعزموا الناس الى العرس والفرح ومنهم من ذهب مع الاميرمالك الى الصيد والقنص ففرح بهذا الاتفاق وتقدم نحو الصيوان وأركز رمحه ووقف على الباب ونادى هيا يا أصحاب البيت فقد أتاكم ضيف من أبعد مكان وكانت مى داخل الخبار وحدها فما ردت جوابا ولا أبدت خطابا ولما أبطأ عليه الجواب وعرف أن الصيوان خاليا من الرجال أنشد

قل الفتى الغريب الذى شكى ولى قلب من بين الجوانج ذاب

أتيت قاصد مالكا فى حاجه ولى ساعة أنا واقف بالباب
يااهل هذا البيت أين أميركم وأين مضى من الديار وغاب
يا ربة البيت الذى داخل الحى ما بالكم لا تردوا الجواب
ألا فاخبرونى يابنات بحالكم قلبى عدا من أحلكم مرتاب
إذا كان أهلى الحى غابوا جميعهم أما فيكم كريمة ذات حجاب
فتقري ضيفا قد أتى من غربة وتستر أهاليها من الغياب
أكيد ما كل النسا تستر الفتى ولا كل من يحوى الردية صاب

فلما سمعت مى شعره ونظامه وعرفت قصده ومرامه أخذتها الغيره والمروءة لتستر عرض أهلها من القيل والقال وأشارت تقول :

تقول فتاة الحى مى التى شدت ألا فاستمع للقول يا نجاب
يا مرحبا بالضيف لما زارنا لك الخير والا كرام والترحاب
أنزل مكانك حتى أحضر لك الغدا وتأكل من زاد لنا وشراب
أنا بنت مالك راح للصيد والدى مع ابن عمى الاوس والاحباب
انزل ألى أن يرجعون رجالنا ويأتو لنحو الحى بعد غياب
فكم جاء الينا يا أمير مثالكم خلايق كثيرة مالهن حساب
نحن نحب الضيف إذا جاء محلنا انزل واجلس جانب الاطناب

قال الراوى فلما فرغت من كلامها هام الصمند يد فى حبها وغرامها ورفع ستار الخيمة بسنان رمحه فوجد صبية بديعة الجمال فزاد به البلبال فصاحت عليه من خلف الستار تنظر إلى بنات الملوك ياحدار ثم ردت منديلها على وجهها وقالت له لا شك أنك قليل الحياة فان كنت ضيفا كما تقول فانزل كى آتيك بالغذاء وإلا فاهذه الوقاحة ثم قالت لجاريتها اطلعى افرشى له حتى يجلس و يتغذي لبينما يأتى أبى من الصيد فخرجت إليه الجارية وسألته ان ينزل فى الصيوان فقال لها أنه عيب على أن أنزل عند الحريم وأنا سيد عظيم لئلا ادعى بكامح وهذا من أعظم القبائح وما اتيت الى هذه الديار الا لامر ضرورى جدا ثم أنشد وقال :

قال الفتى المدعو الامير فالح لى عند أبيك حاجة ومصالح
لست لجوجا على الغدا يا منيتى لكن أتيت لقيت أبوك سارح
وابن عمك مع جموعك فى الفلا والحى خالى صاح فيه الصائح
عيبا على فى النزول فاننى بين الحريم أصير فأين كامح
ان الملوك لهم كلام مجالهم ما يدعو الاسرار عند البائح

وكذا الحريم ليس تحفظ سرنا ... دومى على خير فانى رابح
ردت عليه ثم قالت بالعجل ... يا أمير انزل لا تكونى مرامح
انزل تغدى يا فتى من زادنا ... ان كنت بين كرام قوم ملح
بحيات رأسك لا ترد ضيافتى ... اسمع كلامى ثم كون مسامح
فأبى أمير وابن عمى مثله ... فى جوده يا أمير بحر طافح

قال الراوى فلما سمع كلامها قال لها مادام لامر كذلك فانى لا أخالف مقالك فقالت للجارية أن تأخذله ترموس خبز وقدح زبدة ولما أتته الزاد صاح فيها وشتمها فقالت مى علامك ياغانم فقال أكون أمير وذكرى بين الناس شهير وآكل من يد جارية لاقدر لها ولا قيمة فعند ذلك وضعت على رأسها الغطاو أخذت من الجارية صينية الطعام وقدمتها له فعند ذلك قبض عليها من يدها وغطاها بعباءته وأردفها خلفه على ظهر جواده وسار أسرع من هبوب الرياح فصاحت الجارية وضجت نساء الحى واتقليت لافراح بالاتراح وعلامنهم الصحيج والنواح وهو يجد فى قطع البطاح الى أن أمسى المساء فنزل على بعض الغدران وهو مسرور فرحان فأجلسها قربه وأراد أن يمازحها بالكلام فنفرت منه وابتعدت عنه وصارت تشتمه وتلعنه وتقول له ياخائب ياخائن ما الذى حملك على هذا الفعل القبيح وأنت تقول انك أمير عظيم وسيد كريم أتحسب أن كل الطيور يؤكل لحمها فسوف تندم على هذا العمل ويحل بك من ابن عمى الاوس البؤس والنقم فمن تكون من قبائل العربان ياذليل يامهان فاشار اليها يقول وعمر السامعين يطول

قال الفتى الصنديد ابن الاكوع ... انى أميرا بالملوك مسمى
حولى من الفرسان كل محرب ... منسوب من أب وخال وعما
فسمعت أما فى حسنك وجمالك ... والقلب فيك يا مليحة هما
أرسلت الى أبيك الوزير عناية ... حتى يزوجك لى وينعما
فاجابنى بكلامه لا يعطينى ... كلا ولو سقوه كأسا سما
فاغاظنى بكلامه فحضرت في ... ذلك اليوم وحدى وأبيك لايعلما
فاخذتك وبلغت كل ماربى ... واليوم أنت مى بنت العما

فلما فرغ الصنديد من كلامه ومى تسمع نظامه بكت بكاء شديدا وجعلت تصيح وتستغيث وتطلب منه اطلاق سبيلها لترجع الى الاوطان فلم يسمع لها كلام وجعل يلاطفها ويقول لا بد من أخذك الى الاطلال وأتزوجك بالحلال وأعزم الامراء والسادات من جميع البلدان ليحضروا الافراح والليالى الملاح لانى أتيت من بلاد بعيدة لاجل هذه الغاية الوحيدة وقد نلت مرادى وحصلت على مسرة فؤادى ثم أقام تلك الليلة فى ذلك المكان وهو مسرور فرحان ولما أصبح

الصباح وأضاء بنوره ولاح ركب ظهر الحصان وأردفها خلفه وصار يقطع البراري والقفار والسهول والاوعار ويوصل سير الليل بسير النهار حتى وصل الى الديار وهو بغاية الفرح والاستبشار ولما سمعت أكابر قومه بقدومه ظ فرا غانما اجتمعوا اليه وسلموا عليه وهنأوه بالسلامة وسألوه عن سفرته وماجرى له في غربته فقال اني عند وصولي الى تلك الاطلال هجمت على الفرسان والابطال ومددت أكثرهم على بساط الرمال وفعلت فعالا تذكر على طول الاجيال وقتلت الامير مالك وابن أخيه الاوس وأتيت الى هنا بالعروس وقد نلت غاية القصد والمنا وعن قريب أباشر الافراح فأذبح الذبائح وأطعمه الغادي والرائح فلما سمعت منه هذا الكلام كان عليها أشد من ضرب الحسام فنهضت على الاقدام وقالت له أمام السادات والاعيان أيها الخائن القرنان لقد نطقت بالزور والبهتان فوحق الاله الديان الذي لا يشغله شان عن شان لو كان أبي مالك وابن عمي الاوس حاضران لما بلغت مطلوبك ولا نلت مرغوبك ولا رجعت سالما لاوطانك ولا اجتمعت بأهلك وخلانك ولكنك خطفتني بالاحتيال وهربت في الحال خوفا من أن تدركك الرجال ويحل بك الوبال فوحق علام الغيوب انك لن تنال مني المطلوب ولو قطعتني اربا وجعلت لحمي مأكلا لطيور السماء ثم أن بعد هذا الكلام بكت بدمع سجام وقد خنقتها العبرات وتذكرت ليالي المسرات وأسارت تقول من فؤاد مبتول

تقول فتاة الحي مي الغريبة ... بدمع جرى فوق الخدود سجيم
ألا يا جميع الناس بالله اسمعوا ... تري صنديد كذاب لئيم
يا حيف تكذب يا أمير أمامنا ... حاشا لمثلك في الكلام يهيم
نرى الكذب لا يليق علك ... ترى الكذب مصرعه وخيم
فما أنت فارس خيل تكسب للثنا ... ولا أنت من أهل الكرام كريم
وما أنت ممن ينقلون ... ولا أنت ممن يعرف التكريم
أتيت نيننا تطلب الزاد حيلة ... أتيناك زاد الغدر منك عظيم
وكان أبي مع ابن عمي لصيدهم ... ولا كان الساذا في الحي مقيم
غريمك ابن حجر ومن قيس أصله ... شجيع في الحرب وأنت غريم
وابن عمي الاوس قرم صميدع ... أمير ابن أمير للعداة خصيم
الاوس بن عمي فارس الوغى ... والله اقول يا رجال عليم
فلابد يأتيك يا ناس الردى ... سريعا وتنجى ... عظيم
دعوة يا قوم وأنتم ... حذر ... ولا يكون أحد منكم غشيم
فسوف يأتيكم ... على عجل ... وتبقى منكم كل قرم عظيم

قال الراوى فلما فرغت من شعرها و نظامها و سمع الحاضرون نحوى كلامها خافوا من العواقب وعلموا أن كلام الصنديد ليس له صحة فهو فى حديثه كاذب ولاموه على أفعاله وصاروا يخوفونه من الاوس وقتاله أما الصنديد فانه اغتاظ من هذا الكلام فنهض ولطمها على وجهها وقال هكذا تتكلمين يابنت اللئام أمام هؤلاء السادات الكرام ثم سل سيفه من غمده وهجم عليها قاصدا قتلها فعند ذلك وثب الوزير وباقى الامراء بالعجل وردوه عن ذلك العمل وقالوا له أنت أمير وسيد خطير أتجعل عقلك مثل عقل النسوان وتبقى معيرة عند جميع قبائل العربان فماذا تقول عنك ملوك الممالك إذا سمعت بذلك وما زالوا يتوسلون اليه بالكلام حتى لان وكان عنده سجان قلبه أقسى من الصوان فاستدعاه اليه فحضر وكان اسمه مروان بن الازور كانه الشيطان بصفة انسان لا يعرف الحلال من الحرام ولا يراعى حرمة ولا زمام فقال له خذ هذه الملعونة الى بيتك وسلمها لزوجتك لتقيدها بالحديد وتعذبها العذاب الشديد وتلبسها ثياب الشعر وتضربها خمسة مرات فى النهار واطعمها خمسة رغفة من الشعير فقال يامولاى إن هذه الصبية لا تمكنها احتمال هذا العذاب وربما تموت تحت الضرب فقال ان ماتت أحسنت اليك وأنعمت عليك وأكثرت النفاق اليك وان رأيتها لانت وندمت على قولها وشتمت أهلها وذكرتنى بالخير فأحضرها لعندى حتى تقبل يدى فأخذها العبد الى بيته وسلمها لزوجته وأعلمها بواقعة الحال وما سمعه من المقال فلما رأت حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وأدبها وكمالها شفقت عليها وقالت لبعلها والله ان هذه الصبية لا تستحق الضرب والانتقام ولا تستاهل غير الاعزاز والاكرام فانها كالبدر التمام فقال لها وقد لان قلبه من كلام زوجته وكيف العمل وما نحن إلا عبيد الملك الصنديد فعند ذلك قامت ونزعت عنها ثياب الحرير وألبستها ثوبا من شعر الخنزير وأرادت أن تضربها بالسوط على قدميها فوقعت هى على رجليها وجعلت تبكى وتتوسل اليها وتثنى عليها وأنشدت تقول

بالله انى ترثى الى أحوالى … فالدهر فرق صحبتى وعيالى
ياوحدتى يا ذلتى ياغربتى … قد صرت بعد العز بالاذلال
قد كنت فى جاه وعز ورفعة … والله ربى عالم الأحوال
فترفقى هذا النهار بحالتى … فلعل الله يستجيب فى الحال
و يعيدنى بعد العناء الى الوطن … وأرى جميع الأهل والاخوال
انى كريمة من أكابر معشر … فاقوا الورى بالجاه والافضال
ولهم وقائع فى البلاد جميعها … بين الملوك وزمرة الابطال

قال الراوى فلما فرغت من شعرها ونظامها رق قلبها عليها وقالت طيبى نفسا وقرى عينا فانى سأصنع معروفا لوجه الله تعالى ثم أنها جاءت بحلة جاموس يابس ففصلته ثوبا وألبستها

إياه من تحت الثياب وقالت إلى متى ضربك فلا تشعرين بألم الضرب وما قصدي بذلك الا أن يسمع الملك صوت الضرب وأنت من الألم تصيحين وتستغيثين وأنا أقدم لك جميع ما تحتاجين اليه من الأكل والشرب ومتى دخل الليل تتملحين الثوب الجلد وترقدين براحة إلى أن يأتي الله بالفرج فشكرتها مي على معروفها ودعت لها بطول العمر ووعدتها بالجميل والخير هذا ما كان من مي وماجرى لها وأما ما كان من أبيها فانه عند رجوعه عند الصيد سمع الصياح والبكاء فسأل عن ذلك فأخبرته زوجته بواقعة الحال فغاب من شدة غيظه عن الصواب وأما الأوس ابن عم الصبية فانه غشى عليه لأنه كان يحبها محبة عظيمة ولما أفاق من غشيته فصار عمه يلاطفه بالكلام ويقول له طب قلبا ياولدي فما يصلح الحزن إلا للنساء فاصبر لبينما نرسل من يكشف لنا خبر ذلك الرجل وبعد ذلك نسير إلى دياره فنحر بها وننهب حريمه وعياله فقال الاوس ومن يذهب غيري فوالله لامرت الاوحدي ولا أريد رفيقا ولا معين سوى رب العالمين ثم نهض يا عتد بعدة جلده وركب ظهر جواده وودعهم وسار . جد في قطع القفار ودموعه تجري على خديه كالانهار وهو لا يدري إلى أين يذهب وإلى أي حلة يقصد من قبائل العرب إلى أن وصل إلى واد عميق ضيق الطريق كثير الاشجار . الوحوش والاحجار فبينما هو يتأمل في ذلك المكان وإذا قد ظهر عليه أحد الفرسان وهو بالسلاح الكامل والفروسية عليه علائم ودلائل فلما رأى الأوس منفردا وحده مال اليه وقصده ثم قال له أنزل ياجبان عن ظهر الحصان وأخلع ماعليك من الثياب وفز بنفسك في هذه الهضاب قبل أن أسقيك كأس العطب فأنا جمره بن جمرة فارس العرب فلما سمع الاوس كلامه صار الضياء في وجهه ظلام وهجم عليه في الحال وصدمه صدمة ترعزع الجبال فالتقاه جمرة أيضا والتحما في ساحة المجال واشتد بينهما القتال وتجاولا ساعة من الزمان وهما في ضرب وطعان تقشعر منه الابدان فاختلف بينهما ضربتين قاتلتين وكان السابق الاوس بن تغلب فجاءت في صدره خرجت تلمع من ظهره فوقع قتيلا وفي دمه جديلا فأخذ عدته وجواده ثم سار وهو يقطع البراري والقفار والسهول والاوعار ولما اشتد عليه الحال ينشد وقال :

يقول الفتى الاوس المفارق في حبيبته دمعي جرى من فوق خدي قناه
نيران قلبي أشعلت في ضمايري يهب لها بين الضلوع لظاه
ياليت من كان السبب بفراقنا يطعن بحربة في صميم حشاه
يارب فاهديني عليها عجلا ليزول من قلبي العنا وشقاه

ثم أنه رجد في المسير وهو يقطع البراري والآكام مدة خمسة أيام واتفق في اليوم الخامس أنه التقى بفارس وهو يجد في قطع القفار كالسهم الطيار فتقدم إليه وسلم عليه وقال له إلى أين أنت سائر والى من تنتسب من القبائل والعشائر قال اني من بني عبس وعدنان أصحاب الفضل

والاحسان وإنى سائر الى ديار بنى عامر لأستدعي حاميناعنتر فارس الخيل لانه سار من عشرة أيام ليحضر وليمة دعاه اليها عامر بن الطفيل وفى غيبته غزانا عمرو بن معديكرب فى خمسة آلاف فارس منتخب فحار بنا محاربه شديدة وجرى بيننا وبينه وقائع شديدة فأرسلني مولاى قيس بن زهير لاستدعيه للحضور قبل أن يظفر بنا عمرو والمذكور فقال الاوس وقد تعجب من هو هذا عنتر بن شداد فارس الصدام الذى اشتهر ذكره فى هذه الايام بطعن الرمح وضرب الحسام وقهر الجبابرة وحارب الملوك الاكاسرة والقياصرة وافتخر على الابطال والفرسان فى ساحة الميدان فلما سمع الاوس هذا الخبر تحير وانبهر ثم ودعه وجد فى البر الاقفر ومازال يقطع البرارى والآكام مدة سبعة أيام حتى رأى جماعة من العبيد ترعى الاغنام فحياهم بالسلام وأحد يسألهم بهذا الشعر والنظام

يقول الفتي المضنى الفائض مابه ... فدمعي جري فوق الخدود سايح
ألا يا عبيد الخير بالله اشفعوا ... لصب بعيد الدار ولهان نازح
فجيع وجيع مستهام مــلوع ... تركه البين مضنى كثير الجرايح
لقد ضاع لى حرة عفيفة عن الخنا ... فهل من يبشرنى بها يا فوالح
ويخبرنى لاى بلاد توجهت ... من أجلها نارى تزيد اللقائح
لقد أحرقت قلبي ولى ومهجتى ... وكل عظامى أوثقتهم جرايح

قال الراوي فلما فرغ من كلامه تقدم اليه كبير الرعيان وكان اسمه مرجان وقال له اعلم ياغلام أنه من برهة عشرة أيام سبي أميرنا الصنديد ابنة اسمها مي لايوجد أجمل منها فأراد أن يتزوجها فامتنعت عنه ولم تميل اليه فقيدها قيود من حديد وهو كل يوم يعذبها العذاب الشديد فعسى أن تكون هى هذه الابنة التى ذكرتها لنا فى نظامك فرج الله عنك همك فلما سمع الاوس هذا الكلام أيقن ببلوغ المرام ونزل عن ظهر الحصان وقبل العبد مرجان وأوعده بالجميل والاحسان فبينما هم فى الحديث والكلام واذا بسعد بن أخت الصنديد قد أقبل فى ذلك الوقت ليفتقد المراعى فنظر الاوس فاستغربه وسأل عنه بعض العبيد فقال هذا ابن عم الصبية التى عند خالك الصنديد قد جاء ليأخذ ثارها ويرجع بها الى ديارها فلما سمع هذا الكلام رجع الى خاله وأعلمه بما شاهد وماسمع وأشار يقول

قال سعد قد أتيتك غارا ... ياخال منى فاسمع الاخبارا
البنت التي غربتها عن أهلها ... من خلفها فارس أتاك جهارا
يا خال فرس فى اللقا مجرب ... وعيونه يا خال تقدح نارا
ان كان رافت لك اوبقات اصفا ... فبصنعوها تأتى لك الاكدارا
قد جاء الى عند العبيد يسأل ... أنبوه كالاسد هدارا

لما سمعت أتيت نحوك بالعجل   هــذا الذي ياخال تم وصارا

قال الراوى فلما فرغ سعد من كلامه قال له الصنديد فارس واحد قال نعم أيها السيد الماجد فشتمه خاله وقال ما قدرت أن تقتله حتى أتيتني بهذا الخبر فمن يكون هذا القرنان الذي أتى الى هذا المكان فارجع وخذ روحه من بين جنبيه فانه لا يليق لى أن أركب لقتال صعلوك من صعاليك العرب فخرج سعد من عند خاله وقصد الاوس فلما اجتمع به صاح فيه وحمل عليه فالتقاه كالاسد ضربه بالحسام المهند فألقاه على الارض قتيلا وأخذ سلبه وثيابه ولما بلغ خاله الخبر طار من عينيه الشرر وركب ظهر جواده واعتد بعدة جلاده وقصد الاوس حتى التقى به فوجده شابا لا نبات بعارضيه فأشار اليه يقول

يقول الامير صنديد كلاما   أنا البطل الهمام بلا توانى
أنا صنديد عزمى مثل اسمي   شديد البأس فى يوم الطعان

فاجابه الاوس بهذه الابيات

أنا فارس على كل الفوارس   وذكرى شاع فى قاص ودان
أيا صنديد لا تشكر بنفسك   فسوف ترى ضرابي مع طعانى

فلما فرغ الاوس من هذا الكلام انطبق على الصنديد كانه الليث وأخذ معه فى القتال والصدام ولم تكن الا ساعه حتى أثخنه بالجراح فولى وطلب لنفسه الهرب خوفا من حلول العطب فتبعه الاوس مثل السرحان حتى وصل الى الصيو واحتمى عند النسوان وكانت قومه تبغضه وتكرهه كثيرا لانه كان زنديقا شريرا ولهذا السبب كانت تتمنى هلاكه ولا تعاونه فى أمرهما كان فلما دخل على الحريم قالت له زوجته سعدا غلامك داخل الينا مرعوب قال كل هذا لاجل الابنة التى احتطفتها ومانلت المرغوب فقالت انك تستحق أكثر من ذلك ثم وبختته بالكلام وقالت له أنت تدعي الفروسية وتهرب من ولد أمرد هذا والاوس يصيح عليه ويقول أخرج يالئيم من بين الحريم حتى أريك كيف القتال وأجازيك على تلك الفعال ياعدو الاحتيال فخاف الصنديد وقال لزوجته سعدا أعطيه ابنة عمه واكفينا شره فخرجت زوجته اليه ووقعت عليه وطلبت منه العفو والسماح عن حرى وكذا أجابها الى ذلك الشان وأعطاهم الامان فجاؤا اليه بابنة عمه بعد أن ألبسوها ثياب الحرير وذبحوا لها الذبائح وقدموا لها الاطعمة ولما اجتمع بها زال عن قلبه الكدر ومن كثرة فرحه أخذ يسكب العبرات وهكذا فعلت هى وكذا ذلك اليوم عندها يوم العيد لاجتماعهم بحبيبها الوحيد قال الراوى فبات تلك الليلة فى الحلة وعند الصباح أركبها فى هودج وسار معها جملة من العبيد وتوجه قاصدا دياره ولما اقترب من بلاده أرسل

يبشر عمه مالك بقدومه وشاع الخبر فى الحي فخرجت النساء والبنات وأكابر السادات للتقاهم ولما اجتمعوا به وسلموا على بعضهم وشكر الامير مالك ابن أخيه على فعله وعند وصوله الى الخيام حدثهم الاوس بما جرى وكان فتعجبوا من فعاله ثم حدثهم بحديث عنتر وما سمع عنه من الخبر فقال عمه لقد سمعنا بذكره وأنه أفرس فرسان عصره وبعد ذلك دارت فى القبيلة الافراح زفوا الاوس على ابنة عمه فكانت ليلة من أعظم الليالى حضرها جمهور كبير من الامراء والسادات فزادت أفراح الاوس بعروسه ونال منها القصد والامل وحظي منها بذلك الحسن وعاش معها بأرغد عيش وأحسن حال وبعد ذلك وضعت غلاما سماه مالك وله حديث طويل عريض فاتفق بعد عشرة أيام أن عم الاوس مرض مرضا شديدا ومات فحزن عليه ودفنه بكل احترام ووقار وبكى عليه الجميع بالدموع الغزار لانه كان محبوبا من كل قبيلته وأرسل الاوس واعلم جده بذلك الخبر فحزن وتكدر فقالت له أخته اليمامة أرسل يا أخي واحضر ابن ابنك الاوس ليرجع إلى أهله ويجتمع شملنا بشمله فأجابها إلى ذلك وفى الحال أرسل رجلا من بنى عمه ليحكم مكانه فجاء الاوس مع أهله وسكن عند الجرو جده وراق لهما الزمان وعاشا فى عز وأمان * قال الراوى هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من البطل الهمام والليث الضرغام صاحب الذكر الشهير المهلهل المدعو بسالم الزير فانه كان قد أحناه الكبر لما عليه من السنين قد عمر وكان قد ضعفت قواه وهو مع ذلك مواظب على أكل الطعام وشرب المدام وكان لا ينام إلا وهو لابس عدة الحرب ومازال على تلك الحال حتى بزله أسنان حدد وكانت بنات أخيه تخدمه وتداديه فاجتمع يوما بالجرو وقال له يا ابن أخي قد ضاقت أحلاقى من الوحدة والانفراد فأريد منك أن ترسلنى مع بعض الاتباع للتنزه فى البلاد فأجابه إلى ماطلب وأركبه فى هودج على ظهر جمل وأعطاه عبدان برسم الخدمة وجميع ما يحتاج اليه من لوازم السفر فودعه المهلهل وسار ومازال يجول من مكان إلى مكان حتى اقترب من بلاد الصعيد وكان العبدان قد تعبا من مشقة الطريق وهما يلاقيان التعب أشد الضيق فصمما على قتله واعدامه الحياة ويقولان لأهله قد أدركته المنية فعرف الزير قصدهما فقال قد دنا حمامى وليس إلا القبر أمامى فانا أركتى منيتى أريد منكما أن تبلغا أهلى وصيتى ولا مانع تعاهدهما على حفظها ... ثم فحلفا له باعظم الاقسام تبليغها بالكمال والتمام فقال إذا وصلتما الى الحى فاقرئا أهلى منى السلام وأنشدوهم هذا البيت وقولا لهم أنى فى القبر قد احتبيت

من مبلغ الاقوام أن مهلهلا لله دركما ودر أبيكما

وكرره عليهما حتى حفظاه وادحل الليل ذبحاه ودفناه تحت التراب ورجعا إلى دارهما ودخلا على سيدهما الجرو وأعلماه بموت عمه الزير فبكى بكاء شديد هو ومن حضر ثم أراد العبدان

اقتربا من الجرو وأنشداه البيت المذكور

من مبلغ الاقوام أن مهلهلا لله دركما ودر أبيكما

فلما سمع الجرو هذا الشعر بحيث لامعنى له فاستدعى باخته اليمامة وكانت من أذكى نساء العرب وأعلمها بموت عمها وأنشداها ذاك البيت فلطمت على وجهها وبكت وقالت ان عمي لايقول أبيات ناقصة بل أراد أن يقول

من مبلغ الاقوام أن مهلهلا أضحى قتيلا فى الفلاة مجندلا

لله دركما ودر أبيكما لا يبرح العبد ان حتي يقتلا

ثم أنهما قبضا على العبدان وألقوهما تحت العذاب والضرب الى أن أقرا بانهما قتلاه ودفناه فقتلهما الجرو في الحال وهكذا انتهت حياة الزير وقد أخذ ثاره فى حياته وبعد مماته قال بعد وفاة البريد وضعت امرأة الاوس غلاما فسماه عامرا وعندما بلغ سن الرجولية تزوج بامرأة من أشراف العرب فولدت له غلاما فى نفس الليلة التي مات فيها الجرو وقد عاد هلال وهو جد بنى هلال قال الراوى ولما كبر الامير هلال تزوج بامرأة ذات حسن جمال فولدت له غلاما دعاه المنذر واتفق أن هلالا زار مكة فى بعض السنين بار بعمائة فارس وكان وقتئذ ظهور النبي المختار وعند وصوله ضرب الخيام وطاف برجاله حول البيت الحرام وتشرف بمقابلة النبى صلى الله عليه وسلم وقبله بين عينيه وصار له من جملة الاصحاب والاعوان فامره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزل فى وادى العباس وكان النبي فى تلك الايام يحارب بعض العشائر فعاونه الامير هلال وأمده بالعسكر وقاتل معه فى ذلك النهار وكانت فاطمة الزهراء راكبة فى هودجها فلما رأت هول القتال ومصارعة الابطال زجرت جملها لتخرج عن مشاهدة الرجال فشرد بها فى تلك البرارى كان السبب بالبلاء والشتاء فقال لها أبوها ادعى لهم بالانتصار فانهم بنى هلال الاخيار وهم لنا من جملة الاحباب والانصار فنفذت فيهم دعوتها بالتشتيت والنصر على طول الدهر

تم الكتاب بعون الملك الوهاب